ذخائر المغرب العربي

احمد توفيق المدني

مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار

نقيب اشراف الجزائر



احمد توفيق المدني

مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار

نقيب اشراف الجزائر

1168 - 1246 هـ

1754 - 1830 م

رقم النشر 352 / 74
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ©
الجزائر 1974

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين

المقدمة

انني ، حين أقدم هذا الكتاب للشعب الجزائري ، الحر ، المناضل ، انما أقوم باداء واجبين أكيدين :

أولهما ، اني أضع وثيقة جديدة ، صادقة ، في سجل تاريخ العهد العثماني الطويل، بهذه البلاد الجزائرية . ذلك العهد الذي ظلم كثيرا ، وأعطانا الاستعمار وأعوان الاستعمار عنه صورة قاتمة ، بشعة ، لا تمت الى الحقيقة التاريخية بسبب .

وثانيها ، انني أفي بعهد قطعته لسيد فاضل ، من رجال الجزائر القدماء ، هو الشيخ سيدي محمود الشريف الزهار ، نقيب الأشراف الأخير ، عندما تسلمت منه هذه المخطوطة من الكتاب ، وانتزعناها انتزاعا من يد مسيو ميرانت مدير الأمور الأهلية بالولاية العامة بالجزائر . فمسيو ميرانت كان يلح على نقيب الأشراف ، في تسليمه هذه النسخة من اجل مطالعتها ، حسبما يزعم ، ومن أجل الاستيلاء عليها واعدامها أو على الأقل الاحتفاظ بها في حقيقة الأمر . وقص علينا الشيخ محمود القصة ، فاقنعناه بان تسليم الكتاب لميرانت ، انما هو اعدام لاسم جده الحاج احمد رحمه الله . واتلاف لأمانة تاريخية وضعها الله بين يديه ، أما أن سلمها لي ، فانا اتعهد أمام الله بأنني ساقوم في الوقت المناسب بنشرها ، والتنويه بذكر مؤلفها ، وهكذا نصون

صفحة من التاريخ ، ونحفظ اسم مؤلف كريم ، ومناضل صادق . ونجح المسعى ، فتسلمت منه هذه المسودة ، على هذا العهد .

ولقد كنت نشرت سنة 1937 ، كتابا عن محمد عثمان باشا ،داي الجزائر ، كانت حجرة الأساس فيه ، ما نقلته عن سيرة هذا الباشا البطل ، من كتاب نقيب الأشراف ، مضيفا اليها بحوثا أخرى . فكان هذا أول كتاب أماط اللثام عن حقيقة الوجود العثمـاني التركي بهـذه البلاد ، نسف تلك الخرافات والأكاذيب التي اختلقها الاستعمار من أجل تشويه هذا الوجود ، وبينت فكري بكل صراحة وجلاء عن ذلك العهد المظلوم ، فكان ذلك الكتاب مفاجأة للناس ، ومنارا للباحثين ، ولطمة قاسية في وجه الاستعمار .

ثم أردفت ذلك بعد حين ، بكتابي ((حرب الثلاثمائة سنة)) بين الجزائر واسبانيا ، بينت فيه اجلى بيان حقيقة الوجود العثماني بالبلاد الجزائرية ، وهي أن ذلك الوجود ما كان الا فترة بطولية ، من تلك الملحمة الرهيبة التي شنتها اروبا الصليبية ضد الاسلام ، مبتدئة بدولة الأندلس ، ذات المدنية الشامخة والعمران الذريع ، مولية وجهها بعد ذلك ، شطر الديار الاسلامية بالشمال الافريقي ، وكانت دولها واهية ، ونظامها مختل ، وشعبها المناضل لا يجد الحاكم الصالح ، ولا القائد الحكيم ، ولا الزعيم الذي يرفع راية الجهاد أمام العدو الغاصب القوي . وكان ذلك العدو ، الذي التفت حوله راية المسيحية ، هو اسبانيـا .

فكان من جملة ما أظهرته في الكتابين الآنفي الذكر ، ما يلي :

أولا : ان اسبانيا والبرتغال اتفقتا على اقتسام المغرب العربي ، على أن يكون المغرب الأقصى من نصيب البرتغال ، وأن تكون الجزائر وتونس وما يليها ، من نصيب اسبانيا .

ثانيا : أن اسبانيا ابتدأت ، اثر تحطيمها مملكة الاندلس ، واستيلائها على غرناطة ، توطد قدمها بالبلاد الجزائرية ، فاحتلت وهران ، ومستغانم وبجاية ، من أقصى الغرب الى أقصى الشرق بهذا القطر . ولم تكن دولة بني حفص بتونس ، ودولة بني زيان بتلمسان وقد انغمستا في حمأة الانحلال ، واشرفتا على الموت ، بقادرتين على رد العدوان ، أو الوقوف في وجهه . وارتكبت اسبانيا من الفظائع والموبقات وأعمـال الارهاب والتنكيل ، ما يعجز القلم عن وصفـه .

ثالثا : الشعب الذي كان ضحية ذلك العدوان العظيم ، والذي لم يجد من يقوده تجاه تلك الحملة المجنونة ، ارسل رسله تستنجد المجاهدين التركيين العظيمين ، عروج وشقيقه خير الدين ، وهما على رأس تشكيلة قوية من القرصان المسلمين ، تقاوم بصفة بطولية الأساطيل المسيحية .

رابعا : لبى المجاهدان التركيان الدعوة للانقاذ وجاءا بأسطولهما ورجالهما ، فكان حصار بجاية ، وكان تخليص مدينة الجـزائر ، وكان تنظيم المقاومة الشعبيــة .

خامسا : طلب الجزائريون بقاء خير الدين بينهم ، أميرا للجهاد ، عندما اراد الرحيل فاشترط عليهم ثلاثة شروط ، هي :

ا) ان يطلبوا ذلك مــن السلطان سليم العثماني ، الذي اصبح خليفة للمسلمين ، فخير الدين ليس حرا يفعل ما يشاء ، بل هو من قراصنة السلطان والدولة العثمانية .

ب) أن يطلبــوا الانضمام الى مجموعة البــلاد التي تؤلف الامبراطورية العثمانية ، فهذه المعركة الحامية يومئذ بين المسيحية والاسلام ، ليست معركة عارضة ، ولا هي محلية بل انما هي جــزء من معترك رهيب ، عام ، تقف الدولة العثمانية في جانبه الاسلامي وتقف اسبانيا ، وما وراءها من دول أروبا في جانبها المسيحي ، فمن انفصل بنفسه عن جامعة المسلمين ، كان مثله كمثل الشاة تنفصل عن القطيع فتكون فريسة للذئاب .

ج) أن هذه البلاد ، وما كانت تدعى الا بلاد الواسطة ، او المغرب الاوسط لا يمكن أن تقاوم العدو منحلة ، متخاصمة ، كل جزء من أمتها منكمش حول نفسه ، في شبة ادارة اقطاعية سيئة ، يتنازع الامر فيها امراء ليس لهم من الأمر شيء ، بل الواجب هو تكوين دولة مركزية ، قوية ، تكون عاصمتها الجزائر ، ويكون جميع السكان من حدود تونس الى تخوم المغرب الأقصى ، خاضعين لها ملتفين حولها ، وهكذا نشأت لأول مرة في التاريخ والى الأبد هذه الدولة الجزائرية ، بحدودها الحالية منذ ما يقارب الخمسمائة سنة .

سادسا : كان عدد الأتراك ، طيلة ايام الدولة الجزائرية العثمانية ، أي اكثر من ثلاثمائة سنة قليلا ضئيلا ، لم يتجاوز الثلاثة آلاف رجل في أي وقت من الأوقات الا قليلا . وكان الاتراك جنودا يحمون مركز الدولة المستمد من سلطة الخليفة العثماني الشرعية ، وكانوا ضباطا يقودون الجماعات المجاهدة الجزائرية في ميادين القتال والنضال . وكانت صفحات المجد

والبطولة التي سجلها الجزائريون ، تحت قيادة الأتراك العثمانين ، صفحات ثرية خالدة قلما سجل قطر اسلامي آخر مثلها فوق اديم أرضه ، أو عرض بحـــره .

ولم يكن الأتراك مستعمرين ، لانهم لم يملكوا أرضا ، ولا أبعدوا مزارعا عن مزرعته ، ولم يكونوا محتلين ، لأن جيشهم لم يكن ذا عدد يمكنهم اصلا من احتلال جزء من البلاد فضلا عن مجموعتها . كان ببسكرة والزيبان مثلا : 63 تركيا وكان ببجاية 44 رجلا وكان بمعسكر 42 رجلا (1) فهل بمثل هذا العدد يكون الاحتلال ؟ فالحقيقة أن الوجود العثماني كان معتمدا من جهة على رجال القبائل الجزائرية ، ومن جهة أخرى كان معتمدا على فكرة الجامعة الاسلامية التي تمثلها الخلافة العثمانية . وكانت السلطة كلها ، تحت ادارة الباشا والبايات ، بيد شيوخ البلاد الجزائريين ، شرقا وغربا ، سهلا وجبلا .

سابعا : كان الاقطاع بكل جهات البلاد الجزائرية يدافع عن نفسه ، وعن مكاسبه وامتيازاته . فكانت محاولاته تترى وكان رجال الشعب تحت القيادة التركية يخمدون تلك التحركات المريبة ، وكان بعضها يتصل بالاجنبي ويستمد الاعانـــة منه (2) .

ثامنا : لم يكن الولاة الاتراك كلـــهم صالحين . هذه حقيقة ناصعة ، خصوصا أيام الاضطراب الهائل العظيم ، الذي ساد مركز السلطنة العثمانية ، من جراء اقدام السلاطين على تغيير النظام العسكري والغاء جيش الانكشارية الذي أصبح مثيرا للاضطراب والحوادث الدامية التي ادت الى قتل السلاطين ، أو خلعهم عن كرسي السلطنة والخلافـــة ! لكنني اؤكد ، حقيقتين أثنتين .

أولهما : ان ما كان يقع في العهد الأخير ، من انقلابات داخل القصر ، أو قتل لبعض الدايات ، لم يكن يؤثر على العامة شيئا ، بل لم تكن العامة تعلم به الا بعد حدوثه فتلك حوادث — كما سنرى اثناء قراءة الكتاب — كانت تقع بين بعض الفئات من رجال الجيش التركي الذي ناله نصيب من فساد الجيش العثماني كله في ذلك العهد .

ثانيهما : ان الولاة الأتراك الذين لم يكونوا صالحين للولاية ، وهم قلة ، كانوا أفضل كثيرا من معظم الولاة الأروبيين الذين كانوا يتداولون الحكم في البلاد الأجنبية ، والذين كانوا لا يقفون في مظالمهم وآثامهم وجرائمهم عند حد . واذا رأيت مظالم واضطهادات الملوك والولاة ، في أروبا وأمريكا ، خلال هذه الفترة ، لوقفت مشدوها ، ولما كدت تصدق ما تقرأ .

تاسعا : كانت مدينة الجزائر تدعى ، منذ تاسيس الدولة الى وقائع الاحتلال الفرنسي ((بلد الجهاد)) كان ذلك هو اسمها الرسمي . فالجزائر كانت أول قاعدة لأعمال الجهاد ضد اسبانيا ، الى أن تطهرت البلاد الجزائرية ، وبصفة تامة مطلقة من ادران الاحتلال الاسباني ، بعد حرب دامت ثلاثمائة سنة ، ثم كانت قاعدة لأعمال قرصنة شهيرة ، كان يقوم بها القراصنة الجزائريون الوطنيون ، في مغامرات بحرية سارت بذكرهـــا الركبان . ولم تكن هذه القرصنة الا دفاعا اسلاميا مشروعا ضد لصوصية البحر الخسيسة التي وصل اليها الاسبانيون والبرتغاليون وغيرهم ، والتي ذهبت ضحيتها الآلاف المؤلفة من مهاجري الأندلس . فالقرصنة نوع من الحرب المشروعة المقننة التي تخضع لمنهاج عام معترف به من الجميع . ولا تكون حرب القرصنة الا ضد سفن الدولة المعادية لا غير . أما سفن الدولة الصديقة المرتبطة مـــع الجزائر باتفاقات ، فكانت سفن القرصنة الجزائرية تدافع عنها وتحميها (3) .

هذه ملاحظات اساسية ذكرناها عن اسباب وكيفية استقرار الوجود العثماني في ارض الجزائر خلال ما يزيد عن الثلاثة قرون . وقد تقدم لنا تفصيلها باسهاب في كتابينا السالفين ، منذ سنة 1927 ، فليرجع اليهما من اراد التعمق في الاطلاع على الحقائق الدامغة .

ولنلو الآن صفحات البحث الى حيث نجد الحاج احمد الشريف الزهار ، ومخطوطه الذي يسعدنا ان ننشره اليوم .

عين من أعيان الحضرة الجزائرية ، ووجه من أكمل وجوهها ، ومناضل شهم من اكبر مناضليها المجاهدين . هو الحاج احمد ، ابن الحاج علي النقيب ، وينتهي نسبهم في ذرية محمد صلى الله عليه وسلم الى ادريس الأكبر ، مؤسس الدولة الادريسية بالمغرب الأقصى .

ولد بمدينة الجزائر سنة 1196 (1781) أيام الباشا المجاهد العظيم محمد عثمان باشا . وتعلم وتفقه على يد كبراء العلماء ، تولى نقابة الأشراف بعد وفاة والده ، وكان حوالي الخمسيـــن من عمـــره عندمـــا جاءت كارثة الاحتلال ، فضرب بسهم في الدفاع ، ثم ابعدته فرنسا مع جملة من أبعدت من فحول العاصمة الجزائرية سنة 1832 ، فأم مدينة تونس ، وازداد تبحرا في العلم والفقه على يد الشيخ ابراهيم الرياحي ، ثم ارتحل الى قسنطينة ، مركز البطولة والفداء ، والمقاومة العصماء ، فتولى الكتابة لدى الأمير الحاج احمد باشا ، الى ان دالت الدولة وانتهت المقاومة سنة 1837 ، تحت ضربات الجيش الفرنسي الفتاكة ، الذي اندحر قَبل ذلك وكسرت شوكته مرتين أمام

المدينة الباسلة ، فانتقل الى الأمير عبد القادر ، بطل المقاومة الشعبية وتولى كتابة سره ، وصحبه أثناء المعامع والفتن في السراء والضراء ، وكانت والدته ممن أسر مع الأمير عبد القادر ، وبقيت بفرنسا ردحا من الزمن طويلا (4) ، أما هو فانتقل بعد ذلك الى بلاد المغرب الأقصى ، ورأيناه يقول انه زار مدينة فاس سنة 1259 ، أي أنه كان يومئذ في السنة الثالثة والستين من عمره . ثم رجع الى مدينة الجزائر وتسلم من جديد نقابة الأشراف واشتغل بالتجارة في دكان استأجره ، وجدنا تفاصيله في حساباته . واعتكف على الكتابة والتآليف وجمع مختلف أخبار الجزائر في العهد العثماني . ولبى داعي الله سنة 1289 (1872) وقد تجاوز سن التسعين ، أما كتابه الذي نقدمه اليوم الى قرائنا الاكرمين ، فهو منقسم الى قسمين : القسم الأول الذي يسعدنا تقديمه اليوم ، فهو مكتوب فوق دفتر حسابات عائلية ، استغرقت في أوله ست صفحات ، ثم كتب بعدها بالقلم الأحمر : الحمد لله وحده . سنة 910 دخل عروج للجزائر ، وتسمى خير الدين سنة 922 . وفي الهامش يقول عن عروج : وهو كان مشتغلا بالحروب ، فسمى أخوه اسحاق . وبعد هذه السطور ، نجد 13 صفحة بيضاء . ثم نجد بعدها النص الذي يتعلق بسيرة وأعمال الدايات الذين تولوا كرسي الجزائر من سنة 1168 الى النهاية المؤلمة ويعود خلال ذلك لذكر بعض الحسابات العائلية .

فهنالك احتمالان : الأول هو أن المؤلف الفاضل ترك الصحف البيضاء الأولى ، ليسجل فوقها خلاصة تاريخ الباي لرباي ، والباشوات الذين تداولوا الحكم ، الى سنة 1168 . وهو مالا اعتقده لانه مهما لجأ الى التلخيص ، وهو في غنى عنه ، لا تكفيه هذه الصفحات لذلك .

والاحتمال الثاني ، هو أنه ذكر ذلك التاريخ مفصلا ، في دفتر آخر نراه يشير أحيانا اليه خلال كتابه الذي هو بين يدينا اليوم ، فيقول مثلا : وقد تقدم لنا ذكر ذلك ، عن وقائع وولاة ليسوا في كتاب اليوم . فعلى هذا يكون كتاب اليوم هو الجزء الثاني . أما الجزء الأول فقد فقد وتلاشى لسوء الحظ . اذ ان ابناء الفقيد تقاسموا كتبه ، فلم ينج منها الا هذا القسم ، وقد اعانني الله على انقاذه من بين يدي مسيو ميرانت ، كما أسلفت .

ولهذا الكتاب بقينا قسم أخير ، وأخاله الأهم ، وقد أخذه فيما علمت مسيو لوسياني مدير الأمور الأهلية سابقا ، بالولاية العامة الفرنسية . وهذا القسم يتعلق بحوادث الاحتلال الرهيب وما صاحبها من قتل وظلم وارهاق ، ثم حوادث المقاومة العظيمة المشرفة للجزائريين وللعرب كافة ، التي قام بها

انه لكنه فلما سمعوهم زادوا له التضرع كثيرا فلما اتفق الجمع صاروا يخوفونه على
البلاد وخصوصا دار الامارة حتى كانهم يحرضونها وانتقض رايه في ذلك واتفقوا معه على
ان يخلوا الابراج للقصبة ينقلونه اليها فلما اتفق الجمع ووقع القتال واشتد فرحوا وقع كل
واحد الى موضعه النصارى الى المراكب والمسلمين للبر ستة فالواقع لما ذا تاخرتم حتى طرق هذا
الامر فقالوا هذا القتال الى بعد دينار ومن الغد اعطوهم كيف ما كانوا والا بلغ نقل البوفيد
البلاد والسبب في ذلك كان حسن باشا وكان ذهب الى اسلامبول وغريقه حمر باشا
واصحب معه الباشكاتب الى الهربة لموت السلطان فلما كان بعض الكري تولفه بعض
مراكب الصبنيول فلما تمكن النصارى منه لحقوه فطلعوا اليه للمركب الذي هو فيه مع
جند من النصارى وتكلموا معه على ان يتوسط لهم في الصلح والقصير الناس [illegible]
اعطوهم ما الاكثر ومصوغا ورجوا حتى قيل انهم اعطوه تصويرة فكلة بصوف
كلها جوهر وراسها وفوا [illegible] وتكلموا انا من كبار في هذه المدينة بعرملا
فتمم اتفقوا مذهب كل واحد الى مقصده فلما رجع حسن وكيل الخرج تكلم مع مولانا
على صلحهم وكان الامير لا يقبل منه الصلح لكونه قال لا [illegible] الا انا لعه
ما دمت حيا وبقي الامر كذلك الى ان في المرة الثالثة وقع [illegible]
لا جاء الخبر [illegible] عن موضع القتال ودخل العرب وطارت في البوفيد على ان
البلاد وقلقوا [illegible] الى القصبة وبعد هذا الاجل [illegible] الصلح [illegible] كذلك
فلما كانت [illegible] سنة [illegible] وتشعروا ان الصلح واتا معه بالاسارى الذي عنده
وابدلهم بالنصارى الاسارى ووقع حول الاسارى الباطلين على البر الى [illegible]
لكن [illegible] وكذلك وقع لاهل البلاد فيه الاسارى الذين [illegible]
رامز وحل جميع الاسارى ووقع الصلح بينهم على مائة سنة ووقع حول الصلح
وعلى امد مائة سنة تسعة [illegible] والزم الغونهم واعطى العوايد وقد بعث
من كان عليهم [illegible] الصلح قال رايت في ستة البلاد [illegible]
[illegible] يتزلون في الصناد [illegible] ويضعون [illegible] الرحمة التي [illegible]
وجعلوا الصنادين [illegible] بعضهم بعضا حتى كانوا ممتوبين مع [illegible] المغاربي
على [illegible] ثلاثة واهل الغنم وانه خوار بغاية ايما خلاف [illegible]
يجلون ثلاثة ايام من الصبح الى الليل فرتعت الخزنة الاولين والثانيين وضعوا
في الثالثة لانه مال الكثير لا يحصى له عدد هذا خلاف ما وقع حول الاسارى اهل البلاد
وتكاتبوا على الصلح وانطلقوا للرابع وجاوبوهم من الابراج والطبالة ثار ذلك
البلاد ووضعت الحرب اوزارها التي ثارت منها النواصي وتصرعت لها القلوب
وكان [illegible] افلتت المراكب وذهبت [illegible] والذكر
على [illegible] الاسارى الذين كانوا عند الصبنيول وكانت تقع الحرية في [illegible]

ذكر فروع الباي لا من بعد الثلاثة سنين

ومن عادة [illegible] قسنطينة والمرية وهم ثلاثة بايات [illegible]
ويتبوع على حسب [illegible] ناحية [illegible]
باي [illegible] بالمرية [illegible]

له خليفة واعوان واغاوات واغة الروايين وهم من الاعراب واغة الصبايحية وهم من التلاوة ولما بتعوا ناحية الغرب تلمسان واحوازها ومعسكر ونواحيها والقلعة والمستغانم ونواحيها جعلوا باي بمعسكر بيسمونه باي الغرب ثم بتعوا الناحية الشرقية وجعلوا باي وسموه باي الشرق وكانت قسنطينة بيد ملوك تونس في بعض الحروب حتى رجعت للجزائر فجعلوا باسكر الباي بها وكان هو واصغار الباايات في التقديم وامارة القوة والرهبة فكانوا الباايات لا ثيبرون الا ضا هو فيه ولا منه لا يعزلونه الا بلى منهم ثم بنوا بجانب سباو الشرقي زاوية وجعلوا فيه قايدا ولم يمكنهم ان يسموه باي لكونه كان يعزل معهم وكانوا هولاء الباايات يدنشون بعد الثلاثة سنين وخليفهم يدنشون من تبيرهم كل سنة وحين يدنشوا الباايات

فلا يدنشون الخليفات وكان باي تيطري بعد الثلاثة سنين يجي الربيع وباي الغرب في الزيب وباي الشرق في الربيع وكذلك قايد سباو يدنشي الى ربيع بعد الثلاثة سنين ولم يكن له خليفة مثل الباايات الذين يدنشون مع الخليفات لان الخليفات يانون في اخر الربيع فيخرجون معهم الاعمال ليخلصوا الخراجات والزكوة والعشور وهكذا وضعوهم الاوايل على المنهاج الشرعي والاولون صاروا يخرجونهم لخلاص المغرم والظلمات ونهب اموال الدلير وما وقع هذا حتى صاروا الناس يعارونها اما محلة الغرب تخرج في ابريل ومحلة تيطري تخرج في الصيف ومحلة الشرق تخرج في اليوم الاول من الصيف واما قايد سباو فلا محلة له

وان وقع له عصيان في رعيته فيبعثوا له محلة مخصوصة فيقضي بها ماربه مع الباغية ونرجع ولنثبت كل سنة وامارة ولنرجع الى ما نحن بصدده

ولما وقعت المهادنة مع الصبنيول جاء ممل الرنوطر مقوع الباي محمد باي الغرب وجاء معه بالاموال من قيف وهدايات من الخيل العتاق ومن عبيد ووصوخ واثاث مهمات وكان في ذلك الوقت في معسكر فخرج ومعه جيش من ضرب اتباعه وكبراء المخزن وخليفه واغاوات واكبر الخيل المسومة ومع جنوده الزهبة وللباس المرصعة وقلدا تدر المغرمة وخزانة العوفة فسار من معسكر ونوحه يقصدون بيت يديه ويضهرون البارود واطلقوا من رايه الى وصاطة الجزائر ابتدا فنزلوا مع اطفهم ابلوند وبانوا على الكروشي وهم زاهيين فارحين لملاقاة المولى الامير ولا عصر الله الصباح وصلوا الصبح ركبوا وساروا وهم يلعبون بالبارود والناس يلقونهم بالعوايات الى ان بلغوا باي على حسب العادات من كان يحمل الخيل فيعطيهم الخيل ومن كان يعجبه العبيد فيعطيهم الايماء والعبيد الصغار ومن كان ينبغي اللباس فيعطيهم البرانيس الزعفرانية وحيلا الامر صنعت تلمسان ومن يعطي الخيل والعبيد والكسوة كرها افواج من الاشراب ومولى في بيت بالجزائر ويقولون الفقراء والعسكر وغيرهم ولكل اثرهم من الامر الى اليوم الذي يخرج من البلاد ومن كل يوم بيت ابدروا ويسر معه ما يلحقون عنده وكل يوم لما يصل الى الامبيت يجبيء عليهم الوزراء ويتنعم من يحبه ويأكل وينعم من بلغه رايه وهكذا كل يوم حتى يصل الجزائر ويخصص لما يسعه ويسير الى الجزائر ويملس ثلاثة يجتمعون عليه خليفا نبي للحكم على واعة العرب الموالين فلمع ابلوند لملاقاته بقومه وفوادة وسلاحه ومحموله ويلتقون في موضع يقال له بير

فليس البلدي

بطلان مغواران : الحاج أحمد باي في قسنطينة وقد كــان ممثلا للسلطة العثمانية الى آخر أيام المقاومة ، والحاج عبد القادر بن محي الدين الذي تولى كبر المقاومة الشعبية . وأخيرا ذكر عوائد أهل مدينة الجزائر ، وذكر علماء القطر وأدبائه وشعرائه وهذا هو الذي أشار له في آخر الكتاب الذي بين يديك . والذي وجدنا خلاله قطعة من القسم المفقود ، أثبتناها ، لكي نرى مدى الخسارة التي مني بها العلم والأدب والتاريخ بضياع هذا القسم الثري المفيد .

أما بداية من ذكر ولاية علي باشا — 1232 — فالمخطوط يستمر على كراس من ورق حر أبيض اللون ، استعمل خصيصا لذلك الغرض (5) .

والكتاب مسودة لا محالة ، فتراه يقول مثلا : سنذكر هذا مرتبا عند التخريج ان شاء الله ويكرر مثــل هذا القول عدة مرات في مواضــع مختلفة . واذ كان الكتاب مسودة ، فعلى اغلب صفحاته هوامش كثيرة . فكنت أثناء نقلي للكتاب ، أضعها في مكانها . واللغة التي يستعملها الحاج احمد عربية بسيطة ، كما سترى ، لم يحاول صاحبها ادخال مسحة ادبية عليها : وكثيرا ما كانت الكلمات أو بعض التراكيب تمت الى لـــغة العامة . لهذا كنت مضطرا الى ارجاعها للسياق العربي ، دون اي اضرار بالنص . وتركت بسطاته الطويلة عن عادة الدنوش مثلا ، وعن نقل علي باشا لمقر الحكم من قصر الجنينة الى معقل القصبة على حالها ، حفضا للأمانة التاريخية التي لم ترد في كتاب آخر اطلاقا . أما العناوين كلها فمن عندي ، ولا يوجد في الأصل منها شيء .

والحاج احمد الشريف ، خلال تاريخه هذا ، متحمس للاسلام الى اقصى حد ، يرى أن الدولة دولته ، وان الجهاد الاسلامي ضد النصارى واجبها وواجبه ، فاذا كان الجهاد متوجا بالنصر ، فهو مبتهج فخور ، واذا دارت الدائرة فيه على المسلمين — والحرب سجال — فهو حزين موتور . ونراه صريحا جدا ، في انتقاداته لبعض رجال الدولة وبعض أفعالهم ، فيقول مثلا عن عمر باشا « . . ولما افاق من نومة أهل الكهف . . » ويقول عن الشواش الأتراك في اجتماعاتهم بالبايات « . . . منكسي الرؤوس ، مثل الثيران التي تتعلم الحراث . . . » الى غير ذلك مما يصور روح المؤلف ، ويشيد بفكره الحر . ثم يقول ، في ذلك العهد ، وهو ابن الزاوية ونقيب الأشراف ، عن حسين باشا : وكان تقيا ، محبا للصالحين ولمن انتسب اليهم ،حتى انه كان يغتر بأهل البدع فيحسن اعتقاده فيهم ، ويكرمهم ، ويستبشر بمقالتهم ، وكان الواجب عليه التغيير على أهل البدع ، وزجرهم على فعلهم القبيح ، ومخالفتهم للسنـــة » .

هذا ، واني اذ أقدم هذا الكتاب ، أشعر براحة ضمير لا يعرفها الا من قام بواجبه ، ووفى بعهده ، وقدم لأمته عملا صالحا يرجو أن يلقى جزاءه عند الله .

وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب .

احمد توفيق المدني
الجزائر 1392 — 1972

---

(1) انظر التفاصيل في كتابنا : محمد عثمان باشا : صفحة 176 —

(2) انظر كتابنا : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا صفحة 300 وما يليها

(3) انظر التفاصيل المقنعة في كتابي محمد عثمان باشا ، السالف الذكر .

(4) وجدنا في حساباته العائلية التي ذكرناها ، ما يلي « أيضا مطرح (فراش) لما أتت أمي من فرنسا 50 : 16 »

(5) مقاس الدفتر الأصلي : 34 x 23 سنتمترا ومقاس القسم الأخير 28،50 x 19 صنتمترا

ذكر ولاية
علي باشا بوصباع (1)

سنة 1168 (2) 1754 (أواخر أيام السلطان محمود الأول الفاخرة)

تولى بعد موت محمد باشا الذي عرف بالأعمى سنة الف ومائة وثمانية وستين . وكان عارفا باحوال البلاد واهلها . وكان وزيرا أعني خرناجيا سبع سنين .

ولادة نجـــل للسلطـــان :

جاءت البشارة من عند مولانا السلطان مصطفى خان (3) بزيادة مولود اسمه سليم . وقد استبشر الاسلام بذلك (4) وبعثت البشائر لجميع البلدان . وذلك في رمضان سنة 1175 (5) .

أمر الباشا اهل البلاد بجعل الزينة بالاسواق سبعة أيام يزينون الدكاكين بانواع الفرش وانواع التحف . ويجعلون الالآت (6) الفاخرة وانواع الفرح . ثم وقع التنافس بين اهل الاسواق فبالغوا في الاحتفال واتوا بضروب الأمتعة الرفيعة من الستاير المذهبة وصنـــوف الديباج ، وكسوا بذلك الدكاكيـــن والحيطان ، وعلقوا المرايا وقناديل كثيرة وثريات ، واستمر ذلك سبعة ايام بلياليهـــا .

ويقال ان أهل تونس (7) علقوا قناديل الذهب والفضة ، وكسى (8) البيوت المنسوجة بالذهب والفضة ، وانواع اللعب والأمور الغريبة اتوا بها كلها . وتباهوا في نفائس الأطعمة والاستكثار منها في كل ليلة وتعظيم من ياتي اليهم من النظائر (الزائرين) برسم الفرحة . ورتبوا في كل ليلة من انواع الملاهي وآلات الطرب على اختلاف أنواعها . وكانوا يستدعون أعيان الناس في كل

ليلة ويبذلون كل نفيس . وصرفوا في ذلك أمـــوالا جليلـــة . وذلك سنـــة 1175 (9) .

قضية السفينتين النابوليطانيتين

ومن اخباره انه كان عدوا للنابوليطان (10) واخذ منهم غنائم عديدة وأسارى كثيرين . وكان بعض المسلمين اسارى عند النابوليطان وقد جعلوهم في زوج غرابات (11) يقدفون (12) ومعهم بعض النصارى من المجرمين . الى يوم من الأيام اتفق النصارى على الهرب فتكلموا مع الاسارى المسلمين واتفقوا ان يهربوا الى مدينة الجزائر فهربوا واتوا بالغرابين .

وصفة الغراب انه مركب يسافر بالمقاديف ، وهي اربعة وعشرون مقدافا ، على كل مقداف اربعة رجال . وليست له قلاع (13) ، وعليه مدافع كبيرة . فاذا راوا مركبا ذهبوا اليه مسرعين (14)، خصوصا في اليوم الذي لا يكون فيه الريح . وما جعل النصارى هذا الغراب الا لأجل مراكب المسلمين . لكون مراكب المسلمين كثرتها صغيرة في ذلك الزمان ، وكانت تدخل لبر النصارى وتاخذ لهم البزركان من داخل المرسى ويخرجونها ، وترمى الناس في برهم وتغزو على دشورهم (15) وتسبى النساء والذراري . ويقبضون على الرجال وياتون بهم الى المراكب . ففي بعض الاحـــيان يفزع اليهم النصارى ، فاذا وجدوهم لا يزالون في البر تقاتلوا معهم ، وبعض الأحيان لا يلحقونهم . ولذلك استنبط النصارى صنع الغرابات . ووقع الضرر منها على المسلمين كثيرا وقد وقعت قتالات للمسلمين مع الاغربة وخصوصا اغربة اهل مالطة .

ولنرجع الى راى (16) نابلى . فلما بلغه خبر المسيرة ، وان المسلمين واهل الجرائم قد هربوا بغرابين الى الجزائر ، اشتد غضبه ، وبعث الى اصطنبول يطلب من الدولة أن تبعث للجزائر ليردوا له الغرابين والنصارى الذين هربوا مع المسلمين ، لكونهم لم يأخذوهم بالقتال فاتفق من راى الدولة (العثمانية) أن بعثوا رجلا من طرفهم يكنى بالقبجي باشي الى علي باشا ليامره برد الغرابين والنصارى . فسمع (علي باشا) الخبر قبل مجيئه ، فأمر بتكسير الغرابين حطبا . وتعجب الناس من ذلك ، فبعد ايام قدم القبجي باشي وتكلم مع الباشا على اطلاق الغرابين . فقال له انها تكسرت ، واذهب الى الطرسنة (17) لترى حطبها . واما النصارى فقد اتونا هاربين ، ثم رجعوا الى بر النصارى حيث أرادوا . ومع ذلك أنهم كانوا في الجزائر .

الظــــــلام :

ووقع الظلام ، حتى صار النهار مثل الليل ، وظهرت النجوم .

ذكر بقية أخبار علي باي بن حسين بن علي من أمراء تونس .

كان علي باي ، واخواه محمد باي (بالفتح) ، ومحمود باي ، قدما الجزائر بعد مقتل أبيهم بالقيروان (18) مدة ابراهيم باشا ، والله أعلم في سنة 1153 . فقد قدم محمود بعد اخويه بنحو الستة شهور . وكان ابراهيم باشا ، لما اتوه والتجاوا اليه ، يعظمهم ويقرب مجلسهم ، ويعرف حقهم . واعتذر لهم عما صدر منه في جانب والدهم حسين بن علي ، من نصرة ابن عمهم علي باشا عليه . ووعدهم بان ياخذ لهم بحقهم ويردهم الى سرير ملكهم . ولم يتهيأ له ذلك الى ان توفي في شهر رمضان سنة 1158 (19) وتولى مكانه ابراهيم خوجة ثم تولى محمد باشا .

ولما توفي محمد باشا ، وتولى علي باشا بوصباع سنة 68 ، وهو خال حســن باي ازرق عينه (20) ، فارتفعت مكانته عنــده ، وعلت منزلته . واستحكمت العداوة بين علي باشا صاحب تــونس ، وعلي باشا صاحب الجزائر ، وحسن باي ازرق عينه ، عزم صاحب الجزائر على قصد تونس بالمحلة مع أولاد حسين بن علي الهاربين . وزاد حسن باي في التضييق علــى يــونس (21) .

خرج علي باي من الجزائر الى قسنطينة ليداخل اهل الضواحي من افريقيا وتجتمع عليه الاعراب . فلما استقر بقسنطينة ، لم يلبث حسن باي ازرق عينه ان اصطفى جميع ما كان مع يونس مع الذخائر والاموال والامتعــة والحجارة النفيسة التي لا يبلغها الوصف (22) واخرج من كان معه من غلمانه واتباعه ولم يترك معه الا كاتبه ورجلين يخدمانه . قال ابن عبد العزيز في تاريخه (23) : فبنى عليه الباب ، وترك به منفدا يدخل اليه ما يحتاج منه ، ثم شرع في بناء بيت بسقيفة داره ، فجص جدرانه ، وجعله ضيقا جدا واستأذن الأمير (24) في نقله اليه فاذن له في ذلك . فلما تم بناؤه نقله اليه وحده ، وطين (25) عليه بابه وجعل فيه منفدا ضقا يدخل اليه منه طعامه وشرابه ، قال ابن عبد العزيز فكان مولاه علي باي ، كلما دخل دار حسين باي أيام مقامه بقسنطينة ، ومر على ذلك البيت الذي به يونس ، صرف عنه بصره ، وأطرق براسه ، فلم تقع له عليه عين .

ثم خرج حسين باي الى تونس ، وكان ما كان من أمرها حسبما نشرحه فيما نستقبله.وأنا طالعت تاريخه ،فلما وصل لمحل شرح القضية تركها بياضا قدر أربع ورقات أو خمس ورقات وكتب في الهامش من الورقة الأولى يقول : هكذا وجدت هذا الموضع بياضا في نسخة الأصل . والله اعلم انه ترك هذه القضية لأمـــر .

— (وهناك ترك الشريف أحمد الزهار مقدار صفحة بياضا .) —

أهم الحوادث التي لم يذكرها المؤلف

1 — 1169 (1755) : وقع زلزال عنيف بالجزائر دامت هزاته مدة شهرين : في نفامبر الى آخر دسامبر

2 — 1171 (1757) : كانت مدينة تلمسان شبه مستقلة بامورها ، يحكمها القائد رجم بن البجاوي . فبعث علي باشا جيشا ارجع به المدينة الى حكم الطاعة . واوتي بالقائد رجم الى الجزائر فاعدم .

3 — 1177 (1763) : يوم 13 جانفي ، ثار في المدينة الأسرى المسيحيون الموجودون بها ، واحدثوا قلاقل واضطرابات . فاخمد الجيش جمرة فتنتهم ، وارجعهم لمعتقلاتهم .

4 — خلال تلك السنـــة في شهري سبتامبر واكتـــوبر ، اعتدى الفرنسيون على سفن جزائرية كانت ببعض المرافيء الفرنسية ، فامر علي باشا بوضع كامل الفرنسيين الموجودين بالجزائر ومنهم قنصل فرنسا في السجن ، كما أمر باحتلال مركز القالة الفرنسي ، المعد لصيد المرجان ثم جـــاء الاميرال فابري الى الجزائر ممثلا لفرنسا وسويت القضية .

5 — كان القاضي الحنفي في ايامه : الشيخ محمد بن سيدي بن علي . وعائلته لا تزال بالجـــزائر الى اليوم . ثم الشيـــخ حسن مصطفى . اما القاضي المالكي فكان الشيخ الحاج أحمد الزروق بن محي الدين ، وعائلته لا تزال موجودة الى اليوم . ثم الشيخ عبد القادر بن محمد البراملي .

6 — ومن العلماء الذين توفوا في أيامه : الشيخ محمد بن حواء المستغانمي . وكان من الرجال الكاملين .

له كتاب : سبكة العقيان ، فيمن بمستغانم وأحوالها من الأعيان .

7 ـــ تولى الامارة ، في نفس السنة التي يوبع فيها السلطان عثمان الثالث ، الخامس والعشرون من سلاطين آل عثمان . واستمر حكمه ايام السلطان مصطفى الثالث .

التعليـــق

---

(1) يلقب بناكسيس وبوصباع ، لأنه تبارز مع تركي أيام شبابه فقطع اصبعه .

(2) 1754 م . في أواخر أيام السلطان محمود الاول العثماني ، وكانت أيام عظمة للدولة العثمانية .

(3) وهو السلطان مصطفى الثالث ، السادس والعشرون من سلاطين الدولة العثمانية 1171 ــ 1187 . (1757 ــ 1773 م) وكان هذا المولود هو السلطان الثامن والعشرون من السلالة العثمانية ، تحت اسم سليم الثالث 1203 (1789 ــ 1807 م)

(4) يقول حمودة ابن عبد العزيز ، في الصفحة 85 من الكتاب الباشي الذي تولى نشره وتصحيحه . أخونا العامل الكبير الأستاذ الشيخ محمد ماضور التونسي ، ما نصه :

« ورد على الحضرة في شهر رمضان من هذه السنة 1175 . قبجي باشا ، رسولا من الحضرة الخاقانية مبشرا بولادة ابن لمولانا السلطان مصطفى خان ابن السلطان أحمد خان رحمه الله تعالى ، وأمر بزينة البلاد ، واطلاق المدافع بشائر ، وذلك لأنه مضت مدة طويلة ولم يولد لآل عثمان ولد ذكر ، حتى وقع الارجاف بأن نسلهم قد انقطع ، فان السلطان محمود ابن السلطان مصطفى '' مات سنة ثمان وستين ولم يعقب . ولم يولد له أصلا ' فتولى بعده أخوه السلطان عثمان ومات في سنة اثنين وسبعين . ولم يولد له أيضا ، فتولى بعده ابن عمه السلطان مصطفى هذا ، فلم يولد له الا هذه السنة . »

(5) 1761 م .

(6) الآت الطرب المعروفة والمستعملة اذاك .

(7) وصف ابن عبد العزيز وصفا شيقا هذه الاحتفالات في كتابه المذكور آنفا (ص 86 و 87)

(8) أردية من القماش الفاخر كانت توضع داخل الحجرات فوق وحوالي الأبواب والنوافذ وهي قليلة الاستعمال اليوم .

(9) 1761 م

(10) نسبة لمدينة نابولي البحرية التجارية الكبيرة . وكانت قبل التوحيد السياسي الطلياني تشكل دولة قوية مهابة في البحر المتوسط .

(11) الغراب نوع من السفن الخفيفة

(12) يستعملون المجاذيف لتحريك السفن

(13) شراع السفينة التي تجري بقوة الريح

(14) من أجل القتال والنهب

(15) قراهــم

(16) راي تعبير عامي محرف عن كلمة « روا » وهو الملك

(17) المرسى الذي تصنع به السفن ، وهو تحــريف لكلمة : دار الصناعة : التي هي من وضــع العــرب .

(18) هذه مأساة من أكبر المآسي التي أصابت تونس الشقيقة أوائل حكم العائلة الحسينية التي انقرضت بقيام الجمهورية التونسيّة . تفصيلها باختصــار :

أ ـــ لم يكن لحسين بن علي مؤســس العائلة ولد يرث العرش ، فقدم لولاية العهد ابن اخيه علــي بــاي .

ب ـــ رزق حسين بن علي ولدا بعد ذلك ، سماه محمدا وعهد اليه بالعرش ، وطلب لابن أخيه لقب باشا ، أي ممثل الباب العالي بتونس .

ج ـــ ثار علي باشا من جراء ذلك على عمه ، وأشعل نار فتنة دهماء انغمست فيها أغلب قبائل البلاد التونسية ، وتفرقت البلاد الى حزب « باشي » وحزب « حسيني » وتدخل باي قسنطينة في المعركة ، ناصرا للباي الشرعي ، الحسين بن علي ، ففر علي الى الصحراء ، ثم ذهب الى الجزائر عن طريق الجنوب ، مستنصرا بالباشا كرد عبدي . لكن حسين بن علي تعهد لداي الجزائر بدفع عشرة آلاف سكة ذهب كل سنة (السكة نقد وزنه 3 غرام ذهب وتدعى أيضا المحبوب) مقابل ابقاء علي باشا اسيرا لديه .

د ـــ قطع حسين بعد بعض سنوات هذه « الهبة » فأمر ابراهــيم باشا بالتدخل لفائدة علي وارجعه قوة واقتدارا لتونس يوم 7 سبتامبر 1735 م ووقعت وقائع فظيعة مؤلمة ، كانت نتيجتها المؤقتة مصرع الباي حسين بن علي ، وقطع رأسه على يد حفيده يونس بن علي .

هـ ـــ ثار يونس على أبيه « علي باشا » ووقعت مصائب وأهوال تحمل الشعب مغبتها . وتدخل الجزائريون من جديد . وأسروا الطاغية المفسد يونس ، وكان ذلك على يد باي قسنطينة حسن

باي أزرق عينه ، ودخل الجيش الجزائري ، وأعدم « علي باشا » ونصب بايا محمد بن حسين بن علي . الذي اعترف بان بايليك تونس تابع لبشاليك الجزائر . ولا ريب أنه قد وقعت خلال هذه المحنة نظائع وأهوال جعلت نقيب الأشراف ، والمؤرخ ابن عبد العزيز بحجمان عن ذكرها ويتركان مكانها بياضا .

(19) سنة 1740 (1153) هجرية .

(20) من أشهر بايات قسنطينة ، وأكثرهم اقبالا على أعمال الحرب والمغامرات ، وكان عدوا لدودا لعلي باشا المتغلب على تونس ، ونصيرا وفيا لابناء حسين بن علي ، وخاصة للأمير محمد ولي العهد ، الذي كان عالما أديبا فاضلا تقيا .

(21) الذي كان أسيرا عنده في قسنطينة ، كما سيرد ذكره .

(22) هي من جملة الأموال والذخائر التي نهبها اللئام اثناء الفتنة من شعب تونس

(23) الكتاب الباشي المذكور سالفا .

(24) أي علي باشا داي الجزائر .

(25) أي سده بالطين .

ذكر ولاية
محمد باشا المجاهد (1)
(1179)

العهد : لما مرض علي باشا الملقب ببوصباع ، نادى وزراءه وجمعهم ، وهم : الخزناجي وآغة العرب ، وخوجة الخيل ، ووكيل الحرج بباب الجهاد ، ووكيل بيت مال المسلمين ، واوصاهم بولاية محمد باشا . بل اولاه ، واوصاه على اولاده . وانه خلف الحاج محمد واخته وامهما وهي ام ولد ، علجة من استانبول . وكانت وفاة علي باشا رحمه يوم الأحد الحادي والعشرين من شعبان سنة 1179 (2) .

الولاية : ومن الغد يوم الاثنين قدم الدولاتلي اعني آغة العسكر ، وكاهيته وكافة الديوان والمفتين ، والقضاة ، ونقيب الأشراف ، واعيان الناس ، واجتمعوا به بدار الامارة (3) فجلس محمد باشا على كرسي الملك ، وبايعه العلماء ، ثم نقيب الأشراف ، ثم الوزراء وكافة الديوان وجميع الناس ، ولبس الخلعة السلطانية ، واطلقت المدافع ثم انفض الموكب ، وصعد الى بيته بالسراية ، وولى خزناجيا مكانه ، وولى من يستحق الولاية ، وعزل من يستحق العزل .

سيرته : وكان رحمه الله مؤثرا للعدل والأنصاف ، عارفا بقوانين الملك ، ملتزما لاحكام الشريعة المطهرة . وكان يحب الجهاد ، ووقعت في أيامه حروب كثيرة ، ورزقه الله النصر في جميع حروبه ، وسنبين كل قتال ، وما وقع في كل معركة .

وكان لباسه ما يستر به جسده ، وطعامه ما يشبع به بطنه ، وفي كل سنة كان يبعث حوائجه (4) للخياط ليرقعها ، ولا يفصل (5) ثوبا الا اذا لم يجد كيف يرقع القديم . ومن عادة الملك ووزرائه انهم يحملون اليطاغات (6) من الذهب وقت اجتماعهم في الحكم مع الأمير ، وحين يذهبون معه للصلاة ،

ووقت انفصال الحكم (7) يذهبون لبيوتهم . لكن هذا الامير كان يحمل يطغانا من الفضة ، ولو ما جرت به العادة ما كان يحمله أصلا .

زواجه : وفي بعض الايام اشار عليه وزراءه بالنكاح ، ورغبوه فيه ، فقال لهم اذا تزوجت يلزمني مال كثير ، لكن انتم أردتم أن أتزوج فخبروني كم يكون صداق الزوجة ؟ فقالوا له : كذا وكذا . فقال لهم هذا شيء قليل في حقي وسكت عنهم . ومن الغد لما اقام بموضع الحكم قرب الخزنة واجتمع الوزراء حوله ، نادى خزندار متاعه (8) فاحضر له مالا كثيرا كان اعده له من قبل ، فامره ان يضعه بين ايدي الوزراء ، وقال لهم : انظروا هل هذا يكفي لصداق المراة التي اتزوجها ؟ قالوا نعم . فقال لهم : ما هو الأفضل هل أتزوج بهذا المال او نضعه في الخزانة (9) ونجاهد به ويكون لنا عونا في دفع العدو ؟ قالوا له : نظرك أصلح . فامر بالمال فوضع في الخزانة (9) . وبعد أيام تزوج بالملجة (10) التي خلفها علي باشا ، فباتت عنده ليلة واحدة ، ثم طلقها . وقال : انني تزوجت لكي لا أموت اعزب واحشر شيطانا .

مئاثره العمرانية : وله مئاثر حسنة . منها بناء عدة ابراج للجهاد : أولها برج سردينة (11) والبرج الجديد ، وبرج راس عمار ، بناه في قتاله الأخير مع الصبنيول وكان أهل البلاد يذهبون ويخدمون هنالك بانفسهم يبتغون بذلك وجه الله ويرجون ثوابه . وكان للسلف الصالح — ايام هذا الباشا وقبله — رغبة في الجهاد ، وكانوا يسافرون مع البحر مع المراكب الجهادية ويغزون ، ويتفاخرون بتلك الفضيلة على بعضهم بعضا . وهذا الباشا هو أول من صنع اللنجور (12) وقاتل به الصبانيول . وقبل صنع اللنجور كانت البومبة (13) تنزل على البلاد وتهدم الديار ، حتى هدمت جامع السيدة (14) بازاء دار الملك .

فمن حسنات هذا الباشا رحمه الله انه اعاد بناء ذلك المسجد العتيق وجدده أحسن تجديد ، وكسمه (15) باعراص (16) الرخام الأبيض (17) وكسا حيطانه بالزليج ، حتى لا يرى البياض بداخله الا المنبر (18) واعراص الرخام .

ومن خيراته انه اتى بماء الحامة للبلاد (19) وبنى له ساقية ، وأوقف عليه أوقافا لخدمة مجرى الماء ان فسد ، ولأجرة وكيل الماء وامر بتفريقه على ابراج باب الجهاد ، وعلى المساجد والقشل العسكرية ، والميضات للوضوء ، وما بقي فرقه على العيون بزقاق البلاد ، يملأ الناس منه للديار . وهذا الماء كان يأتي من قبل للبلاد ، انما كان ضعيفا .

الاستعداد الحربي : ومن طاعته لله وامتثال أوامره ، انه كان يحب الجهاد ، وكان استعداده دائما للحرب وكان مغرما بتجهيز المراكب للغزوات . وفي ايامه كثر الرؤساء في البحر وكانت لمراكبه سمعة ، ومن اكبر رؤساء عصره الحاج محمد قبطان وكان له صيت في البحر . ومما وجد مقيدا في دفاتر الرؤساء ان هذا القبطان اتى باسارى في مدة سفره في البحر (21) ما مجموعه 24000 أسير .

ومن جملة استعداد الباشا انه انشا ثمانية مراكب للغزو وقد سمعت بعض من ادركت من رؤساء البحر العارفين يقول : ان محمد باشا انشا فركاطة كبيرة ، وبركنتي كبير (24) عليه 24 مدفعا وستة شواطيء (22) .

وركب الحاج محمد قبطان واحدة من هذه الشواطيء وخرج غازيا ، فالتقى مع شيطة مثلها للنصارى فوقع بينهما القتال . والتصق المركبان ، فزدم (23) المسلمون على شيطة النصارى ، واخذوها بالسيف واستشهد بعض المسلمين ، وغنم الباقون الشيطة ، واتوا بها للجزائر عام 1184 (24) .

الحرب والصلح مع الدانمارك : (25) لما تولى محمد باشا نقض المهادنة ، وجعل العداوة مع ديل المرك ، فاتوا باحد عشر سفينة وارسوا بالجون ، وبعد ثلاثة ايام ابتداوا يرمون البومبة على البلاد ، ولم يصل منها الا شيء قليل . واستمروا على ذلك نحو الاحد عشر يوما ، ولما راوا انهم لا يحصلون على طائل ذهبوا في سخط الله . وبقي المسلمون ياخذون لهم الغنائم الى العام القابل حتى رجعوا وطلبوا الصلح . فلم يرض الباشا بالصلح معهم الا بمشقة كبيرة . واشترط عليهم شروطا ، منها ثمن الصلح ، ومحروف القيرة (26) ومقداره زوج ملايين ونصف مليون دورو (27) . ومنها انهم يدفعون الغرامة كل سنة . فقالوا ان بلادهم بعيدة ، لكنهم يدفعون كل سنتين وعندما ياتون بالغرامة يدفعون العوائد لكافة رجال الدولة ورؤساء المراكب وكبراء الطرسنة (28) فرضوا بذلك ، ووقعت المهادنة وانزلوا القنصل . وضربوا المدافع وبعد ثلاثة ايام دفعوا مال الصلح ودفعوا فدية اساراهم وحملوهم لمراكبهم . ودفعوا العوائد لمستحقيها . وذهبوا لبلادهم . اما الصبانيول والنابولطان (29) وغيرهم ، فلا زالوا باقين على العداوة .

الحرب الأولى مع اسبانيا : لما تغلب الاصبانيول في السالف على الاندلس ، وتمكنوا من جميع بلادهم كما هو مسطور في كتب المؤرخين ، كانت لهذا الجنس عداوة مع جميع المسلمين . وله قوة ومراكب فانتقل الى بر

المغرب واخذ وهران من يد بقية بني زيان ملوك تلمسان ، وكان قبل ذلك اخذ بجاية ثم اخرجه منها ملوك الترك . وبقيت وهران بيده الى ان اخرجه منها البــاي محمد سنة 1205 في أيام حسن باشا (وهــو خلف صاحب الترجمة) (30) .

وكان محمد باشا مــن حين ولايته ، لا يفتر عــن بعث المراكب لغزو الاسبانيول ، فترجع بالغنــائم ويرمي السرية في أرضه فتسبــي النساء والذراري والصبيان . فلما أكثر عليهم المسلمون بأخذ مراكبهم وبالسرايا في ارضهم ، امرهم كبيرهم راى (31) الكارنوا بان يرحلوا عن ساحل البحر الى دواخل البلاد فرحل اهــل الشطوط (32) من البوادي ، لكن المسلمين (33) صاروا يذهبون اليهم . ويقبضون لهم أكثر من السالف ، حتى اجتمع من اسارى الصبانيول في الجزائر ما يزيد على العشرة آلاف خلاف الاسرى من بقية الأجناس ، وقد اجتمع من الأسارى في هذه المدة ثمانية عشر الفا .

بقي الأمر كذلك الــى سنة 1184 ، حيث جاء الاصبانيول بعمارة فيها خمسمائة مركب ، وبقي ثلاثة أيام في البحر ، وفي اليوم الرابع انزل عشرين الف عسكري في موضع يقال له الحراش بينه وبين البلاد (34) مسيرة ساعة ونصف . وبعض العسكر دخل للبساتين وأخذ العنب ، وانزل الاصبانيول آلات حربهم وبنوا المتارز (35) وتحصنوا بها . وبقوا ثلاثة ايام وهم يحاربون داخل المتارز ولم يقدر احد ان يتقدم اليهم . ولم يتالموا في هذا القتال الا من جهة واحدة وهي المقابلة لهم من ناحية الغرب ، فكانت هنالك طبانة (36) تدعي خنيس ، وبها رجل اسمه عمر ، ويعرف برامقسيس ، أدار مدفعين الى ناحية الصبانيول ، ولم يكن في الطبانة فرجات للمدافع من تلك الناحية ، فاطلق المدفعين على الحائط ، واحدث به فرجة تجاه الاصبانيول ، وأخذ يرميهم بالمدفعين . وكان رحمه الله عارفا بحرب المدافع ، قياسا .

وفي اليوم الرابع ، صبيحة يوم الاثنين ، جاء صالح باي (37) قسنطينة من ناحية الواد (38) وقدم امــام الاسبانيول الآلوف من الابل (39) ، فلما قربت من المتارز ابتدا القتال . وفي ذلك الحين جاء العسكر ، واهل البلاد ، ومعهم الخزناجي من جهة الغرب ، ومن جهة الجنوب كان خليفة باي وهران الآغا وخوجة الخيل باعرابهم . وفي الوقت الذي تقدم فيه صالح باي الى العدو ، رأى الناس نورا مثل البرق على المتارز الاصبانيولية ونزل بعده مطر ، واستمر ذلك النور فرآه جميع الناس ، حتى النسوة في البلاد من فوق السطــوح .

حمل صالح باي اولا بقومه وعسكره على المتارز ، ثم لحقه الناس من كل النواحي ، فحملوا حملة رجــل واحد ، واعلنوا كلمة التوحيد ، وارتفعت الاصوات بالتهليل فتزلزلت الجبال لحملتهم ودخلوا المتارز ، فوجدوا اغلب النصارى ملقين على الأرض بدون رؤوس ، والـــدم يفور منهم ، ولحقوا الهاربين منهم الى البحر ، لأن بين البحر وبينهم نصف ميل . فقتلوا من لحقوه ، وهرب من هرب في الزوارق الى مراكبهم ، واخذ المسلمون ما ترك الاصبانيول في المتارز : نحو مائة مدفع وجميع آلات الحرب واستغنى الناس في ذلك اليوم ممـــا جمعوه من اثـــاث ودراهم ، وساعات وحوائج أخـــرى شيء لا يحصى . ولحقت البشـائر لمولانا محمد باشا رحمه الله ، وقد قعد عند باب دار الملك في مكان كبير النوباتجية (41) ومعه خزنداره ، ومماليكه وهم يفرقون الأمـــوال باذنه فاعطى لأصحاب رؤوس النصـــارى الاول : مائة سلطاني (41) على كل راس . وجاء اصحاب المدافع بالمدافع ، فمدفع ياتي به اربعة رجال ، ومدفع ياتي به ستة ومدفع ياتي به ثمانية ، وهكذا الى ان اتوه بجميع المدافع . واما رؤوس النصارى فلما كثرت وضاقت بها الأرض عند باب دار الملك ، امر من يخرجها الى باب الواد ، واستمر يعطي الناس ثمن الرؤوس ذلك اليوم كله . فاصحاب الرؤوس يضعونها وياخذون حقها ويمضون ، واناس آخرون يخرجون تلك الرؤوس الى باب الواد واستبشر الناس بهذا النصر العظيم ، وهذا مصداق قوله تعالى : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » وحقيقة الايمان كانت في ذلك الوقت لازالت موجودة ...

ولما قدم الاصبانيول وشاهد الناس عمارته ، بحيث غاب البحر لكثرة المراكب ، دهش الناس وقالوا ما لنا منجي ولا ملجأ الا الله ، وهذا شيء لا نكاد نقدر عليه . ومالنا الا الصبر والدعاء . فقرؤا البخاري وختموه ، وتضرعوا لله ، ثم صبروا وثبتوا حتى نصرهم الله .

اقامت بعد ذلك مراكب الاصبانيول ثلاثة أيام ، ثم سافروا بعدما رفعوا فوق سفنهم بنديرة (42) سوداء . وكان ذلك سنة 1184 (43) ، وعندما ذهبوا ، سافرت المراكب الجهادية في اثرهم ، وغنموا منهم ، واتوا باسارى ، وكانت الغنائم تباع بباب استان . فيقع للتجار ربح قوي وكان لأهل البلاد مراكب يسمونها كراك (44) يغزون بها وياتون كذلك بالغنائم .

وكان السماسرة ينادون على الأســارى . وقيمة كل اسير مايتا دورو ، فكان الناس يملكونهم مدة ما اقاموا اسارى ، فاذا اتى الفداء يفتدونهم بالف دورو لكل راس .

اخضاع اهل جبل فليسة (45) : وقع قبل هذه الحوادث (46) . وكانوا اناسا جهلة لا يعرفون من الاسلام الا الشهادتين ، وكان فيهم من يتبع الكتاب والسنة ، وكانوا من جملة الجاهلية ، يقتل بعضهم بعضا ويقطعون الطرقات على المسافرين ، ويذهبون الى متيجة (47) في الليل ويسرقون ، ويذهبون الى جبالهم ويبيعون للسواقين (48) ما عندهم . والذي ذهبت له ضالته ، يذهب للوقاف بجبلهم ويشتريها منه . ويمنعون البنات من الأرث . ومن مات منهم فان اخاه أو ابن عمه يرث زوجته ، وان لم تكن له بها حاجة ، فانه يزوجها من رجل آخر ، ويأخذ منه صداقها ، بدل الصداق الذي اخذته من اخيه أو ابن عمه ، فكانوا لا يخافــون الله ، ولا يخشون الأميــر ، مانعين الزكاة والأعشار . بعث اليهم الأمير محلة عام 1181 ، وقاتلهم ، فهزموا المحلة الأولى والثانية الى ان بعث لهم سبعة أمحال (49) واحدة فواحدة ، فصعد الجند لبعض جبلهم ومات خلق كثير من الجانبين . فعند ذلك طلبوا الامان من الأمير ، وادعوا التوبة من صنيعهم ، وتعهدوا بدفع الزكاة والأعشار كل سنة . فجعل الامير لهم اشياخا ورجعت الامحال .

خــروج المــراكب الاســلامية ، مــددا لاستــامبــول

بعث السلطان مصطفى (50) بن السلطان احمد العثماني رحمهما الله ، بطلب المراكب الجهادية الاسلامية من الجزائر الى استامبول . وطلب كذلك مراكب تونس . وذلك سنة 1183 (51) . فامتثل مولانا الباشا لأمر السلطان وأمر ايده الله باصلاح خمسة مراكب ، وأعطاها ما تحتاجه وتوجهت مصحوبة بالسلامة والظــفر والتاييد . وكان القبطان عليها ابن يونس رحمه الله . فاقاموا هنالك خمســة أعوام ، ثم رجعوا للجزائر . وكان رجوعهم بفضل قبطان باشا (52) في ذلك الوقت وهو حسن باشا الجزائري .

كان هذا الباشا في السلف بايا لوهران ، ووقعت له واقعة مع دالي ابراهيم آغـــا ، شقيق علي باشا والي الجزائر السالف ، سببها حصان أراد ان يأخذه دالي ابراهيم من حسن باي فاعتذر هذا عن اهدائه لشقيق الباشا ، ولم ينفعه اي اعتذار ، فقال حسن باي لدالي ابرهيم : اسمح لي ان اذهب على حصاني هذا لوهران ، وعند وصولي أرسله لك . فلما وصل الى وهران وكان قد اغتاظ غيظا شديدا ، ظهر له أنه لا يعطي الحصان ، ولو كان ما كان . فبعث له الآغا عليه ، واشتدت العداوة بينهما ، فاكترى مركبا ، ووسق عليه جميع ما عنده ، وحمل الفرس الذي وقعت عليه العداوة ، وسافر الى استامبول .

فلما فقده عماله في وهران كتبوا للباشا واخبروه بهرب الباي ، فاولى بايا مكانه ، وعندما ظهر خبره في استامبول ، بعثوا باثره شاكين منه للسلطان بانه حمل معه مالا كثيرا من اموال البايليك . فاظهر للسلطان تذاكر الحساب ، وقد صادف أن كان هروبه اثر دفعه اللزمة (53) الواجبة عليه حين قدومه للجزائر ، وقد كان من عادة البابا لار (54) انهم كانوا يدنشون (55) كل ثلاثة أعوام فيدفعون اللزمة وياخذون تذاكر الخلاص . فلما راى السلطان التذاكر ، وظهر حق الباي ، صرف الرسل ، واقام حسن باي هنالك الى ان اولاه السلطان منصب قبطان باشا (56) فلما جاء فصل الشتاء ، سرح المراكب الجهادية ، لأنها اقامت خمسة اعوام ، على ان تقضي فصل الشتاء بالجزائر ، وترجع في الصيف .

سفر الدونانمة (57) الثانية : ولما جاء الصيف ، امر مولانا الباشا بتجهيز خمسة مراكب ، واعطاها ما تحتاجه ، وكان القبطان عليها هو الحاج محمد رايس رحمه الله . وتوجهت في حفظ الله . فلما وصلت جزيزة كريت (58) لم تجد قبطان باشا ولم تلحق به ، والسبب في هذا هو كثرة العدو ، وهم كانوا خمسة مراكب فقط ، فاقاموا هنالك ستة أشهر ، ثم رجعوا للجزائر .

الدونانمة الثالثة واعمالها : توفي السلطان مصطفى ، وتولى بعده اخوه السلطان عبد الحميد سنة 1187 فارسل الباشا الدونانمة الثالثة مؤلفة من خمسة مراكب ، والقبطان عليها هو الحاج سليمان رحمه الله . فلما وصلوا للجزر (59) والتقوا مع مراكب يونانية تدعى اللنبرو ، فمهما وجدوا مركبا منها اخذوه وقاتلوا اناسه ، وحملوا ما فيه من المتاع الجيد واغرقوه بما بقي فيه (60) وكان السلطان قد بعث لهم مراكبه مرارا فلم يظفر بهم ، الى ان نفذ الله وعده فيهم ، فالتقوا مع مراكبنا قرب سيرا ، وكان كبيرهم في فركاطة ، فتقاتلوا مع المسلمين ، وكان الرايس صالح رحمه الله في الشيطة الكبيرة ، فلما اقترب من الفركاطة اليونانية التصق بها ، وحمل المسلمون بالسيوف على من بالفركاطة فهرب الكريك (61) وقتل من قتل منهم ، واخذ المسلمون الفركاطة .

فلما راى اليونانيون ان كبيرهم اخذ ، وكانوا بعيدا عنه ، ورأوا مراكب المسلمين في اثرهم هربوا ، والمسلمون في اثرهم الى أن حرثت(62) مراكب اليونان في البر قرب سيرا ، فلما رأى المسلمون ذلك بعثوا الزوارق واحرقوا مراكب اليونان . وكانت هذه المراكب قد اهلكت منذ زمن طويل جميع الناس ،

فكانت مراكب التجار لا تسافر الا مع الكنبري (63) سواء من الاسكندرية أو من ازمير . فاراح الله منها البلاد والعباد .

ثم ان المراكب الجزائرية سارت الى استامبول ، فلما وصلت الى بوغار شنا قلعة (64) ، اخبروا السلطان عبد الحميد بقدومهم وبما فعلوا ، ففرح السلطان رحمه الله بذلك ، وامر بطلوعهم الـــى استامبول ، فلما طلعوا واقتربـــوا من البلاد صلبوا جميع الكرايك الربنطـــوط (65) على الصوارى واللنطاط في المراكب الجزائرية والفركاطة المغنومة ، ورفعوا الصناجق ، واخذوا يضربون المدافع من كل مركب يمينا ويسارا ، الى ان ارسوا .
قيل أن السلطان رحمه الله هو الذي أوصى القبطان بان يفعل بالزبنطوط كذلك ، وقيل ان بعض رجال الدولة اغتاظ من اخذهم ، فبعث للقبطان يستوصي بهم خيرا ، فاغتاظ القبطان لذلك لأنهم كانوا اذاية للناس ففرقهم على المراكب وامر بصلبهم . فجزى الله المسلمين بنعيم الجنة ورضوانه لأنهم بذلوا انفسهم في الحرب مع هؤلاء الكرايك الذين كانوا أقوى منهم عدة وعددا .

ولما وصلوا لاستامبول وسمع المسلمون بهذه الغازية وبما فعلوا بالكرايك من تصليبهم ، استبشر المسلمون ، وتـــنكد المنافقون ، وخرج كافة الناس لرؤية المراكب الجزائرية ، واليونان المصلوبين وكـان ذلك اليوم عند أهل استامبول كأنه يوم عيد ، وموسم جديد ، وكافة الناس يدعون للجزائريين بالنصر .

وقد كان الموسكو (66) قد اشتد باسه على المسلمين . فلما راوا الفتح الذي فتح لله به على يد الجزائريين (67) قالوا : ان شاء الله ، يكون النصر للسلطان هذه السنة بفضل هؤلاء المجاهدين . ومن الغد اعطاهم السلطان تناقا (67) نزلوا فيه . ومن فرحه بقدومهم اعطاهم الخرج الكبير ، والحرمة العظيمة حتى لاقل الناس من اهل الجزائر .

فلما اقاموا أياما واستراحوا ، وآن وقت السفر لقرة دنيز (69) بدل لهم السلطان مراكبهم ، وأعطاهم الفراكط والسفن ، وتركوا مراكبهم هناك ، وسافروا مع الدونانمة السلطانية الى قرة دنيز ، فتلاقوا مع العدو (70) ووقع بينهم قتال عظيم يرضي الله والرسول . ثم بلغهم بعد ايام ان الارمدة (71) الروسية دخلت الى مرسى جنكلة ، فدخلوا عليها هنالك واحرقوها ، ولما رجعوا لاستامبول ، وقع الصلح بين السلطان والموسكو وذلك في جمادي الثانية 1188 (72) فوضعت الحرب اوزارها وانقضى أمر الفتنة التي سهرت لها العيون ، وشابت منها النواصي ، وتصدعت لها القلوب ، وطال عهد

الاسلام يمثلها . عندئذ اقلعت المراكب بعد اجتماعها كلها الى البوغاز (73) ، فصادفوا مركبا للمحاربين من الكريك فاخذوه ودخلوا البوغاز ، واهدوا الأسارى الى قبطان باشا ، وتقاسموا باقي الغنيمة . ثم أحسن اليهم مولانا السلطان عبد الحميد ، ومن كرمه رحمه الله ، انه أعطاهم فركاطة ، وكرفيط ، ومركب آخر لا أعرف اسمه ، فلما بلغوا موضعا يقال له القرات بين المنستير والمهدية بالبلاد التونسية ، حرثسوا هناك ، فاما الفركاطة فتكسرت ، وأما بقية المراكب فقد خلصوها ، وحملوا فيها مدافع الفركاطة وجميع ما كان فيها من آلات الحرب ، وكان رجوعهم في آخر تلك السنة 1188 .

الجوع : بعد ذهاب الاصبانيول في المرة الاخيرة سنة 1184 ، وقع الغلاء في القمح مدة ست سنوات ، واعطى الله القحط ، وهو الجوع في الناس حتى صارت قيمة الصاع الجزائري (74) اربع بجة (75) والناس يموتون جوعا في الأسواق قالوا ان الرجل كان ياكل مقدار ما ياكل الرجلان ولا يشبع وبعد الأكل يموت وهو يقول : جعت . اعاذنا الله من هذا الداء لانه ليس له دواء ، وسمعت من بعض من أثق به من الشيوخ الذين حضروا هذه المجاعة قالوا : ان القمح كان قليلا ، لا اتذكر هل قالوا ان ذلك كان من قلة المطر ، او من كثرة المطر . وترادفت السنين بذلك ، واما اللحم ، والسمن والرز فكان خيرا كثيرا ، وفيها الرفق في الأسعار . واما القمح كما قلنا فهو باربع بجة للصاع ، وهو مقدار دورو ونصف اسبانية في ذلك الوقت ظهر لهم الدورو ونصف مقدارا كبيرا . اما هذا الوقت فالدورو ونصف كلا شيء . وقد حضرت انا سنوات الغلاء ، فوصل القمح عندنا في الجزائر سنة 1219 (76) وكنت صغيرا دون البلوغ ، بخمسة عشر بجة ، وهي خمسة دورو للصاع الجزائري فلم يعده الناس غلاء ، ولم يمت أحد ، وذلك لكثرة وجود الدراهم بين أيدي الناس .

الحرب الثانية مع اسبانيا : لما كانت سنة 1197 (77) قدم الاصبانيول للمرة الثانية ، مثل المرة الأولى وارسوا في الجون بعيدا عن مرمى الكور ، واتوا بزوارق كبيرة بعضها بالمدافع وبعضها بالمهارس (78) لرمي البومبة . وبعد ثلاثة أيام بعثوا الزوارق المذكورة واسمها « اللنجور » لقرب البلاد وصاروا يرمون البومبة ، وفي ذلك اليوم تهدم الجامع الذي بناه محمد باشا وهو جامع السيدة (79) وقد تسمى على اسم التي بنته وهي بنت مولاي الناصري ملك بجاية . ولعله كانت هناك قرية ولم تكن بها مسجد ، فبنته

للخطبة ، وكان مالكيا فلما بنيت البـلاد وجمعت تلك القرى ، ووضعت دار الامارة (80) بازائه ، جعلوا له اماما حنفيا .

لما بدا الاصبانيول الحرب بعث مولانا الباشا الى الحاج محمد القبطان ، وقال له : ماذا نفعل مع هذا اللنجور الذي أوقع في البلاد هدما كبيرا ؟ فظهر للحاج محمد القبطان ، ان يعمر زوارق كبيرة كان فيها الجير المعد للبناء ، ويجعل فيها مدافع ، وعندما يقدم العدو باللنجور يقاتله بها . واذن له الباشا بذلك . فخرج من عنده الى باب الجهاد وعمر تلك الزوارق في الليل بالمدافع ، ولما اصبح الله بخير الصباح ، تقدم العدو كاول مرة فخرج اليه المسلمون من المرسى على تلك الزوارق ، وقاتلوه ، ورزقهم الله النصر عليه ، فولى العدو الأدبار وتقدم في اليوم الثالث كذلك ، ولم يحصل على طائل وذهب في اليوم الرابع .

الاستعداد للحرب الثالثة : لقـد سمعت ممن حضـر ذلك الوقت ، ان الاصبانيول تكسر لهم لنجور من الذي كانوا يقاتلون به ، وجده المسلمون في عين الربط في رملة هنالك ، وسمع بذلك القبطان المذكور ، فارسل اليه معلم السفائن فعاينه ، واخذ قالبه ، ثم التقى القبطان مع الأمير ، واتفقوا على ان يجعلوا من ذلك الصنف نحو خمسماية لنجور فامروا كبير الطرسنة ، ويقال له وكيل الحرج ، ان يباشر صنع ذلك ، فصنع العدد الذي اوصى به مولانا رحمه الله ، واوجدوه قبل تمام السنة . وقيل انهم اوجدوا اقل من ذلك المقدار . وكان النجارون من أهل البلاد يعملون مع نجاري الطرسنة وشاعت الاخبار عند الناس ان الاصبانيول راجعون لا محالة ، فتكلم الوزراء فيما بينهم وقالوا : ان هذا الخبر قد فشا عند الناس عامة ، والأمير ساكت لا يتكلم عنه ، فاتفقوا انهم يوم الجمعة قبل الصلاة يجتمعون به ويتكلمون معه . وكان من عادتهم انهم يوم الجمعة قبل الصلاة يجتمعون معه ويتكلمون في الأمور . فلما اجتمعوا به يوم الجمعة قال له الخزناجي : اننا سمعنا كذا وكذا ورأيناك لا تتكلم على هذا ، فهل عندك خبر به أم لا ؟ فقال لهم : ان الخبر يأتيني عن الرجل اذا تقلب في فراشه فكيف بهذا وسكت عنهم .

ولما تمت السنة ، وأتاه خبر خروج العمارة من بلاد الاصبانيول ، بعث الى القبطان الحاج محمد واخبره بخروج العمارة من قرطاجنة ، وقال له ما المفعول الآن ؟ فقال له : لا باس علينا بحول الله ، وامرنا كله ناجز ، لكن اطلق المسجونين عندك ، فقال له : ومن هو المسجون عندي ؟ قال : افتح خزائنك . فقال له اذهب وافعل ما تريد والمال بيدك . فقال : الآن تحققت

اننا ان شاء الله نهزم عدونا ، وذهب القبطان وعمر سفن اللنجور ، ووضع العسة في جميع الأبراج .

الحرب الثالثة والأخيرة مع اسبانيا : فلما قدم الاصبانيول للمرة الثالثة سنة 1198 (82) ارسى مراكبه ، ومكث ثلاثة أيام ، وفي اليوم الرابع بعث اللنجور للقتال ، فخرج اليه المسلمون وتلقوه باللنجور كذلك ، وتقاتلوا معه باللنجور ومن الأبراج التي تصل منها الكورة ، مقدار ساعتين وكان الحاج محمد القبطان رحمه الله معهم أثناء القتال في زورق ، ومعه زوارق صغار من غير مدافع تدعي « الشكايف » يرسلها القبطان وقت القتال . أما للتقدم ، او للتاخر ، أو لتحمل الناس اذا تكسر مركب ، ولتجر اللنجور الذي يسقط . والقبطان دائما أمام اللنجور دخولا وخروجا وكذلك وقت القتال .

فلما نزل المسلمون للمرسى انزلوا المجروحين لموضع الأطباء ، ليجعلوا لهم الدواء ، او ليقطعوا الايدي والارجل التي استحقت القطع ، ويدفن الأموات ، ثم يعطي القبطان سلطانيا ذهبا لكل رجل . وكان القتال صباحا ومساء . ويقيمون كل يوم هكذا مدة القتال . وعندما يأتي وقت الخروج لملاقاة العدو ، تجد الناس يزدحمون على الركوب معهم (83) ولا يصل لذلك الا الرجل الشجاع . وقد سمعت من أحد الحاضرين ، أنه وقت الخروج لملاقاة العدو ، يصلي الناس صلاة الجنازة على الخارجين للحرب ، ويضج الناس بالدعاء والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . ويخرج المجاهدون تصحبهم آلات الطرب والجواق (84) كانهم خارجون للنزهة ، وهم مع ذلك يرون في كل قتال الأموات والمجروحين ومقطوعي اليدين والرجلين ، ومن هو اعور العين أو معدوم العينين ، وهم مع ذلك لا يلتفتون الى ذلك ولا يتغوشون (85) منه . واقام الأسطول على ذلك أياما ، وتأكد له انه لا طاقة له على الجزائر . فذهب .

كيف تم الصلح مع اسبانيا : اثناء ذلك القتال ، أمر حسن وكيل الحرج الذي أصبح بعد صاحب الترجمة دايا على الجزائر بأن يامر القبطان باعطاء ربع سلطاني في اليوم الواحد بدل سلطاني كامل للبحرية الذين يقذفون (86) فقال هؤلاء كيف كنتم تعطون سلطانيا كاملا ثم صار ربع سلطاني في اليوم ؟ ثم سكتوا . فلما راوا العدو قبل وصولهم لموضع المعركة ، وزاد في التقدم كثيرا وصار يرمي البومبة على البلاد ، خصوصا على دار الامارة ، كانه كان يعرفها واقتضى من راى الخزناجي وغيره ان يحملوا الباشا للقصبة ، فنقلوه اليها ، وبعد أن التقى الجمعان ووقع القتال وافترقوا ، فرجع الاصبانيول لمراكبهم

والمسلمون للمرسى ، قال رجال البحر للجذافين لماذا تاخرتم حتى صار هذا الأمر ؟ قالوا لهم : هذا هو قتال الربع سلطاني ! ومن الغد أعطوهم السلطاني كاملا ، كاول مرة فخرجوا بنشاط ، ولم تصل البومبة للبلاد .

والسبب في هذا الأمر هو أن حسن وكيل الحرج المذكور سالفا ، كان أرسله محمد باشا ، وارسل معه الباشكطاش ، اي الهدية لجلالة السلطان في استامبول ، فلما كان أثناء الطريق لحقه بعض مراكب الاصبانيول وطلعوا للمركب الذي هو فيه ، وكان مركبا لجنس آخر من النصارى ، وتكلموا معه على أن يتوسط لهم في الصلح ، واتهمه الناس ، وقالوا انه اخذ من الاصبانيول مالا جزيلا وقالوا أنهم اهدوا اليه صورة شاة صوفها كله جوهر ، وراسها وقوائمها كلها حجارة كريمة ، وتكلم الناس كثيرا في هذا المعنى .

فلما رجع حسن وكيل الحرج من استانبول ، خاطب مولانا الباشا في الصلح ، فكان يقول : لا اصالحهم ما دمت حيا ، وبقي الأمر كذلك الى أن جاء الاصبانيول في المرة الثالثة ووقع تنقيص الدراهم لاصحاب اللنجور ، ووقع ما سلف ذكره من ضرب دار الامارة ونقل الأمير للقصبة كان كل ذلك بقصد التاثير عليه لقبول الصلح ، وتم الأمر كذلك .

فلما كانت سنة 1199 (87) اتى الاصتانبول للصلح ، وأتوا معهم بالأسارى الذين عندهم وابدلوهـم بالنصارى الأسارى . أما الأسـرى الباقين من الاصبانيول ، فدفع عنهم الف دورو على الراس . وكذلك دفع لأهل البلاد قيمة الاسارى الذين بايديهم الف دورو لكل رأس . وحمل الاسارى ووقع بينهم الصلح على ماية سنة . وذلك في البحر فقط . اما في البر من جهة وهران فلم يقع الصلح الى أن فتح الله على المسلمين في أول ولاية حسن باشا ، خلف صاحب الترجمة . ودفع الاصبانيول ثمن الصلح وغرامة ماية سنة سلفا وأنزلوا القنصل . ودفعوا العوائد . وقد سمعت ممن حضر ساعة نزول المال قال : رأيت بمرسى الفلايك ساعة نزول صناديق المال ، كانوا يضعون الواحد منها فوق الآخر على مسافة كبيرة حتى امتلأت الرحبة التي هنالك ، وصارت الصناديق فوق بعضها بعضا متساوية مع سطوح المخازن عل ىمرتين أو ثلاث مرات . وأهل القيروانة نحو اربعمائة اسير خلاف البساكرة الحمالين كانوا يحملون ذلك مدة ثلاثة أيام من الصبح الى الليل . وقد تعمرت بذلك المال الخزانة الأولى والثانية ، ووضعوا منه في الثالثة ، هذا خلاف ما دفع عن الأسارى لأهل البلاد . وتكاتبوا على الصلح ، واطلقوا المدافع من السفن ، وأجابوهم من الأبراج واطفا الله نار تلك الفتنة ، ووضعت الحرب اوزارها ،

وحينئذ اقلعت مراكب الاصبانيول وذهبت فلله الحمد والشكر علـى خلاص المسلمين الأسارى الذين كانوا عند الاصبانيول .

ذكـر قـدوم البابا لار بعـد الثلاثـة أعـوام

ترتيب الدنوش : كان للأتراك بارض الجزائر ثلاثة بايات : باي وهران وباي قسنطينة ، وباي المدية . وهم مرتبون على حسب فتوحات الأتراك الأوائل . فاول فتوحهم كان ناحية تيطرى ، فاولوا هنالك بايا وإسموه بـاي البايات (88) واسكنوه المدية ، وجعلوا له خليفـة واعوانا واغوات : آغا الدوائر . وهم من الأعراب ، وآغا الصبايحية وهم من الأتراك .

ثم لما فتحوا ناحية الغرب ، تلمسان واحوازها ، ومعسكر ونواحيها ، والقلعة ومستغانم وما جاورها ، جعلوا في معسكر بايا يسمونه باي الغرب .

واخيرا فتحوا الناحية الشرقية ، ونصبوا فيها بايا وسموه باي الشرق ، وكانت قسنطينة بيد ملوك تونس (89) فلما رجعت لحكم الجزائر سكن باي الشرق بها ، فكان هذا الباي هو اصغر البايات في التقديم . وأما من حيث القوة ووفرة الرعية فلا يضاهيه باي تيطرى وباي الغرب . ولزمته (90) لا تعدلها لزمتهما .

ثم بني الأتراك برجا في سباو ، قرب زواويت ، وجعلوا فيه قائدا ، ولم يسموه بايا . وكان هؤلاء البايات يدشنون كل ثلاث سنـوات ، وخلفاؤهم يدشنون مرتين كل سنة وعندما يدشن البايات ، لا يدشن خلفاؤهم .

فكان قدوم باي تيطري ، وباي الشرق ، وقائد سباو ، يقع في الربيع كل ثلاث سنوات وقدوم باي الغرب يقع كذلك في الخريف ، ولم يكن لقائد سباو خليفة مثل البايات .

استخلاص الضرائب : الخلفاء ياتون في آخر الربيع ، فيخرجون معهم الأمحال ليستخلصوا الخراج والزكاة والأعشار . وهـكذا وضع الاوائل الجباية على المنهج الشرعي والاواخر صاروا يخرجون المحلات لاستخلاص المغارم والظلمات ونهب اموال المسلمين . وما وقع هذا ، حتى صار الناس فجارا والأمراء ظالمين .

فاما محلة الغرب فتخرج في ابريل وتقيم اربعة شهور . ومحلة تيطري تخرج في الصيف وتتم ثلاثة شهور . ومحلة الشرق تخرج في اليوم الأول

من الصيف وتقيم ستة شهور . وأما قايد سباو فلا محطة له وأن وقع عصيان في رعيته تاتيه محطة مخصوصة يقضي بها مآربه مع الباغي وترجع . وليس ذلك كل سنة .

بين البايات والأمير : وكل باي من البايات له في مدينة الجزائر وكيل كاتب وله دكان (91) قرب دار الملك يقيمون فيه . فاذا جاء السيار من عند الباي للجزائر فانه ينزل عند الوكيل بالدكان ، ويدفع للوكيل المكاتيب التي جاء بها . فيقرأ الوكيل الكتاب ويطلع على ما فيه ليعرف كيف يتكلم مع الامير . وبعد ذلك يحمل الكتاب الى الأمير ومعه اليسار . فحين يدخلون على الأمير يسلم له الوكيل الكتاب ويقف . فيأذن لهما بالجلوس . فاذا جلسا يسألهما عن الباي فيبلغان له سلامه . واذا كان عندهما أمر يتكلمون فيه . فيأتون لهم بالقهوة ، فاذا شربوا وانتهى الحديث سلما عليه وخرجا . وبعد خروج الوكيل من عند الأمير ، يسلم المكاتيب التي باسم الوزراء ، والسيار يبيت بدار الملك .

دنوش باي الغرب : لما وقعت المهادنة مع الاصبانيول كما ذكرنا جاء وقت الدنوش . فقدم الباي محمد باي ، وجاء معه بتحف واموال وهدايا كثيرة من الخيل العتاق والعبيد والمصوغ ، والأثاث الفاخر . فخرج من مقر امارته معسكر ومعه جيش كبير من اتباعه وكبراء النجوع (92) وقواد واغوات راكبين الخيل المسومة ذات السروج الذهبية ، وعليهم لباسهم الفاخر ، ومع الباي خزانته المقومة (93) .

خرج من معسكر وقومه يلعبون بالسلاح بين يديه ، ويضربون البارود ، والصناجق ترفرف والطبول تدق حوله . الى ان وصلوا موطن المبيت فنصبوا خيامهم وبنوا فساطينهم الملونة ، وباتوا ليلتهم على اكل وشرب ، وهم في فرح ومرح ، لقرب لقاء المولى الأمير . فلما اصبح الله بخير وقاموا بفريضة الصبح ، ركبوا وساروا وهم يلعبون ويضربون البارود ، والناس تتلقاهم بالهدايا للباي وهو يكافيهم على حسب المقامات . فمن كان يستحق الخيل اهداه الخيل ، ومن كان يستحق العبيد ، يعطيه الاماء والعبيد الصغار ، ومن كانوا يستحقون اللباس يعطيهم البرانس الزغداني (94) والحياك الحمر صنعة تلمسان . وكان بعض الاحيان يعطى الخيل والعبيد والكسوة لذوي الاقدار من الأشراف ، ومن له قرب بالمخزن (95) ويلاقيه الفقراء من العسكر وغيرهم ، واغلبهم من الأتراك وكل يوم يتزايد عددهم ولا يتخلفون عنه . وكل يوم عندما يصل لجهة المبيت يوزع عليهم الدراهم فمنهم من يأخذ ريالا ،

ومنهم من ياخذ ريالين ، وهكذا كل يوم حتى يصل للجزائر ، وخصوصا عندما تكون بينه وبين الجزائر مرحلتان أو ثلاثة ، فانه يجتمع عليــه خلق كثرة للطمع . ويرسل عندما يقترب مــن المدينة باش سيار وبيــده كتاب للباشا يستاذنه في الدخول ، فيرد له ويأذنه في الدخول ، ويعين له اليوم الذي يدخل فيـــه .

عندئذ يخرج القائد آغة العرب ، وهو الوزير الثاني للباشا ، ومعه قومه وقواده وصناجقة وطبوله ، ويلتقي الجمعان في موضع يقال له : بوفاريك ، بين البليدة والجزائر . فينزل الباي والآغا في موضع قبل بوفاريك يسمى « عيون الشعر » فيتبادلان السلام ، ويبلغ الآغا للباي سلام الامير ، ويهنيه بسلامة الوصول ، ثم يقدم له هدية ثمينة من الامير : هي فرس ، وسرج وكله من الذهب ، وزوج كوابس (96) ذهــب يضعونها في مقدم السرج ، وسيف من الذهب ، ومكحلة (97) ذهبا . فياخذ الباي الهدية ويدعو للأمير . ويمكثون هنيهة ريثما يشربون القهوة . ثم يركبون ويسيرون جميعا وقومهم يلعبون بالسلاح بين أيديهم ، والنوبة الجزائرية التي أتت مــع الآغا تضرب أنغامها واهل الملعب يضربون البارود ، فاذا وصلوا لدار المبيت وهي بوفاريك ، يذهب الباي لوطاقة ويذهب الآغا لوطاقة . وكل واحد منهما نازل مع قومه على حدة .

فلما كان وقت المغرب ، يرسل الآغــا للباي ، ويطلب منه القدوم لكي يضيفه فيركب الباي ويذهب لوطاق الآغا . وعند قدومه يتقلاه الآغا عند باب الوطاق فيتبادلان السلام ويقعدان معا . فاذا أذن المؤذن المغرب ، ياتي امام الآغا ويقيم الصلاة ، فيفرشون لهم الزرابي ، ويصلون داخل الوطاق وعند انتهاء الصلاة يجلسون في مواضعهم ، فتوضع لهم السفرة بين ايديهم ، ويتقدم معهم القواد والآغوات الذين اتوا مع الباي ، أما القواد الذين جاءوا مع الآغا فيظلون واقفين . وبعد الانتهاء من الأكــل والشرب والقهوة ، يعطي الباي العوائد لخدام الآغا فيحسن اليهم . ويذهب بعد ذلــك لوطاقه (98) ليستريح . فاذا استراح يبعث لقواد الآغا وشواشه احسانهم : فمن هم أهل خيل مثل القواد والشواش الكبار ، يرسل لهم الخيل والبرانس الزغداني ومن هم أهل للعبيد يعطيهم العبيد ، وهكذا الى أن يتممهم . والآخرون مثل الزرناجية والطبالين وخدام الباي الصغار والمماليك ، فيحسن اليهم بالدراهم . ثم بعد ذلك يدفع الدراهم لأهل الصدقات الذين ياخذون منه كل يوم . فاذا فرغ من ذلك ياتي اصحــاب آلة الطرب من الترك ، ومــن أهل البلاد ،

والمسامع (99) فأما المسامع فيضربن دفوفهن عند باب الوطاق وينصرفن بعد أن يحسن الباي اليهن . ويتقدم الاتراك فيضربــون مزاميرهم شيئا قليلا ويحسن اليهم وينصرفون كذلك . وعندئذ يدخل اصحاب الآلة الجزائرية (100) فيجلسون بين ايدي الباي ، ويضربون الربابة والكامنجة والعيدان . وعند انتهاء المجلس يحسن اليهم ويذهبون كلهم وينام الجميع .

ومن الغد بعد صلاة الصبح . يركب الباي والآغا وكل جموعهم ، ويسيرون معا نحو الساحة ثم يتوادعون . ويذهب الآغا لطريق الجزائر ، ويسير الباي الى حوشه ويقيل هنالك . ويخضبون الخيل بالحناء فاذا افطروا وركبوا يسير الباي والوكيل الى موضع يبعد نصف ساعة عن الجزائر يدعى « عين الربط » قريب من البحر . وهو موضع معد لنزول الأمحال عند الخروج من الجزائر ، وتجتمع المحلة هناك . ويبيتون . ويبيت هنا ايضا باي تيطري عند قدومه . اما باي الشرق فانه يبيت عند قنطرة الحراش . وفي آخر الليل يأتي لعين الربط فيصبح هنالك .

وعندما يصل الباي الى عين الربط كما ذكرنا ، يأتيه طعام العشاء من دار وكيله . وفي الصباح بعد اقامة الصلاة يجلس الباي في موضع هنالك ، فيه بناء وصهريج كبير للماء . ويفارقه عندئذ وكيله ، فيذهب للأمير ، ويقبل يده ويسلم عليه سلام الباي . ويخبره ان الباي وصل الى عين الربط ، وبات هنالك . وانه ينتظر الامر بالمثــول بين يــديه . فعندئذ يصدر الأمير امره للخرناجي والآغا ، وخزنة دار . بان يتوجهوا لملاقاة البا ي، ويأتون معه ، فعند ذلك يركب الخزناجي وخزنة دار ويخرجان مــن دار الملك ، ومعهما الصناجق والطبول . فاذا وصلا الى موضع حكم الآغا يركب ويذهب معهما الى عين الربط . فاذا رأى الباي طلائعهم يركب لملاقاتهم ويسير نحوهم قدر الميل ، ثم ينزل ، وينزلون ، ويسلمون عليه ، ويعانقونه ، ثم يركبون الى الموضع الذي كان الباي مستقرا به ، وينزلون هنالك ويجلسون ، وتأتيهم القهوة ، والخيل تلعب أمامهم . والبارود يدوي قدر ربع ساعة ثم يستأذنون في الركوب والذهاب الى ملاقاة الأمير . فيركبون جميعا ، ويسيرون معه ويدخلون المدينة ، ومنذ ركوب الباي لدخول المدينة ، وهو يرمي الدراهم في الزقاق يمينا وشمالا ، للفقراء وغيرهم . ومــن البايات من يرمي السلطاني الذهب ، ومنهم من يلقي الفضة . ومنهم من يزرع الصبلون (101) . ويتقدمهم الديوان مثل السلاق (102) وعلى رؤوسهم الريش مصفوفا يمينا وشمالا . والبراح ينادي بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (103) وبين يدي

الباي شاوش السلام ، يسلم على الناس يمينا وشمالا . ويسبقون امام الموكب اربعين بغلة ، على كل بغلة الفا ريال صغيرة (104) فتكون جملة ذلك ثمانين الف ريال ، واربعين فرسا من الخيـــل المسومة ، واقفاصا فيها السباع ، والنمرة ، وبقر الوحش ، وغير ذلك من الحيوانات . فهذه الأمور كلها للبايلك

وعندما يصل الى دار الامارة ، يدخل الباي راكبا حتى يقابل الملك ، وهو جالس على سرير الملك ، فينزل ويذهب ماشيا اليه بالخضوع والتذلل ، متادبا فيقبل يده ويتاخر قليلا . فيامره بان يجلس على يمينه قدر طول الرمح . فاذا جلس يلتفت اليه ، ويحمد له السلامة ويساله عن أحوال الرعية ويعطونه القهوة . وعندئذ يتقدم اغواته وقواده وكبار النجوع ، يقبلون يد الباشا ويكون باش سيار واقفا قريبا منه ، يعرفه بالناس . فاذا انتهى السلام يتاخر الباش سيار ويتقدم الخرناجي ، ويقف بين يدي الملك ، وياخذ الخلعة (105) من يد كبير كتاب الترك ، ويلقب بباش خوجة ، فيقبلها ، ويقدمها للباي ، فيقبلها ايضا ، تواضعا لصاحبها جلالة السلطان ، ثم يخلعها الخرناجي على الباي . فاذا لبسها تقدم وقبل يد الملك ، ويتاخر عنه شيئا فشيئا حتى يتباعد عنه . فيخرج ويذهب الى دار نزوله ، والنوبة تضرب من ورائه ، ورجال من كبراء ديوان العسكر يتقدمون بين يديه فاذا وصل الى دار نزوله ، يجلس على كرسي بوسط الدار ، ويضربون حوله النوبة وهو جالس فاذا انتهت النوبة يأتي شاوش السلام التابع للملك ، فيعطي السلام بأعلي صوته للحاضرين وعند ذلك يصعد الباي الى مجلسه باعلى الدار ، وينزع عنه الخلعة فياخذها باش شاوش العرب ، وياخذ عوائده ويذهب بالخلعة لدار الامارة ليضعها مع الخلع العثمانية ثم يعطي الباي العوائد لأصحاب العوائد وبعد ذلك يأتيه خادم الأمير الذي يقال له : البسكري متاع الباشا ، فيطلبه للفطور .

فاذا وصل الباي الى دار الملك ، فهنالك عسة يقال لهم — الاونباجية — وهم اربعون رجلا يحملون اليطغانات من الفضة وسطهم ، يقف عشرون منهم على اليمين ، وعشرون على الشمال وعندهم كبيرهم يقال له الآغا ، وكاهيته ، والخوجة . اما الآغا والكاهية ، فلا تصرف لهما في امور الأونباجية ، انما كل التصرف للخوجة النويسمي : خوجة الباب ، فاذا جاء وزير من الوزراء ، فانه يقف في وسطهم ويجهر بالسلام ، ويدخل ، وهـــم يردون عليه باعلا اصواتهم ، ويدعون له بحسن العاقبة ، كذلك باعلا اصواتهم . وهذا الدعاء بحسن العاقبة كثير عند الترك وكنت استحسنه كثيرا .

فاذا وقف الباي في وسطهم يسلم عليهم ويردون عليه السلام ، ويدعون له مثل الوزراء ، ثم ياتيه خوجة الباب ، وياخذ من وسطه يطغان الذهب ، ويكون

الوزراء هنالك قد جاؤا للغداء . ومن عادة الوزراء أنهم يتغدون كل يوم في دار الملك . فيأخذ خوجة الباب بطغاناتت الذهب ، ويصعدون لغرفة هنالك ، ويتغدون في سفرة واحدة . ويتغدى معهم الطباخ الكبير للملك . ويكون الطباخ الصغير وعليه فوطة من الذهب واقفا عند رؤوسهم ، يأمر الخدام ليبدلوا لهم أنواع الأطعمة وأنواع الفواكه . فاذا أتموا الغداء وشربوا القهوة ، خرجوا جميعا لسقيفة دار الملك ، فيحملون بطغاناتهم بوسطهم ويخرجون ، الا الخرناجي ، فيذهب الى موضع حكمه ، ولا يخرج مع الوزراء الا يوم الجمعة ويوم الثلاثاء . ومن عادة الوزراء أنهم كل يوم يقابلون الملك صباحا للسلام عليه . ثم يقصدون مواضعهم التي يسمونها بالأعلية (106) . أما يوم الثلاثاء فانهم يذهبون لبساتينهم في الصباح ، وعند الزوال ياتون لمواضعهم من الحكم . وأما يوم الجمعة ، فلا يخرجون ، ويبقى كل واحد بعليه ، وساعة الغداء يدعون أصحابهم لتناول الطعام معهم .

تقديم هدية الملك : فاذا خرج الباي بعد الغداء من اليوم الأول ، فانه يرجع لداره ويحضر هدية الأمير : اما الدراهم فنحو العشرين الف دورو . ومن المصوغ مقدار نصف ذلك ، واربعة من الخيل العتاق ، ونحو 30 عبدا كبارا و 20 عبدا صغيرا من عبيد السودان وحياك القرمــز (107) صنعة تلمسان وحياك الحرير المحببة صنعة فاس ، والبلاغي والرواحي بالذهب ، واشترامبيات بالذهب ، ونحو 20 قنطارا من الشمع ، ومثل ذلك من العسل . ومثله من السمن والجــوز .

فعندما يحضر ما ذكر ، ياتي رسل الأمير فيدعونه للسراية ، ليختلي به وحده ، من غير حضور الوزراء ، فيذهب ومعه وكيله فاذا وصل الى دار الملك سلم على النوباجية وردوا عليه السلام ، ويتقدم خوجة الباب فيأخذ البطغان من حزامه ، ومن هنالك للسراية ، فيستاذن ، ويؤذن له بالدخول . فيدخل الوكيل أولا ويسلم سلام الملوك ، ويقبل يد الملك ، ويتاخر ، ثم يتقدم الباي فيسلم مثل الوكيل ويقبل يده ويتأخر ، فيامرهما بالجلوس ، فيجلسان جلسة القيام من السجود مطرقي الرأس ، فيرحب الملك بهما ، ويسأل الباي عن أحواله ثم يأمر لهما بالجلوس مستريحين . فيقول : لهما باللسان التركي : راحة اطر . وعندئذ يستقيمان في الجلوس . ثم ياخذ المماليك الهدية من يد خدام الباي واتباعه . فاما الدراهم والأشياء النفيسة فيدخلونها الى تلك الغرفة والأشياء الأخرى الى غير ذلك الموضع . وعندئذ يخرج خزنة دار الدراهم . ويوزع على خدام الباي ثم يدخل ومعه باش خوجة ، ويسلمان

على الملك ويقيمان هنالك ، وتأتيهم القهوة ، فاذا انتهوا منها أخذوا منهما الفناجيل . الا ان الباي يملأ فنجانه بقطع من الـــذهب ، وعند ذلك يخرج الوكيل ، وخزنة دار وبـــاش كاتب ، ويبقى الباي وحده مع الباشا . حتى مماليك الباشا يبتعدون عنهما ، ويبقون مقابلين لسيدهم .

يتحدث الباشا والباي مقدار ساعة ، وعندما ينتهي الحديث يقول الباشا باللســان التركي : « الله خير وار » فهذه علامة على الخروج من عنده ، فيقبل يده ويتاخر ، الى ان يخرج .

زيارات الوزراء : يذهب بعدئذ الى بيت خزندار ، فيجلس مقدار ربع ساعة ويعطي زوج شكاير بها الف دورو بيد خزندار ليوزعها على المماليك ، ويدخل الوكيل والباش كاتب للباشا يسلمان عليه ، ويخرجان مع الباي فينزلون في موضع الطباخ الكبير ، فيجلس الباي قليــلا ، ويعطي للخدام الاحسان ، ويخرج الى داره ليستريح ، ولا يدخل عليه أحد الا باذنه ، وعلى بابه عسة من عسس دار الملك ، يتبدلون ساعة بعد ساعة لحراسته وخدمته .

فاذا اذن الظهر ، يأتيه الرجل الذي يتقدم أمام الوزراء « ويسمونه قائد الزبل » فيذهب به الى دار الملك ، فاذا وصل فانه يتقدم في وسط العسة كما قدمنا ويسلم ويدخل ، ويجلس في سقيفة الملك مع خوجة الخيل أولا ، لأنه الوزير الثالث ، وذلك هو موضع حكمه ، فيجلس معه هنيهة ثم يدخل الى الخزناجي في موضع حكمه قريبا من الخزنـــة ، مقابل كرسي الملك ، فيجلس معه قليلا ، ويأتونهما بالقهوة ، فيشربان ، ويخـــرج من عنده الى السقيفة فيجلس مع خوجة الخيـــل ، ويأتيه خوجـــة الباب فيجعل عليه ا لبرنوس ، ثم يخرج من هنالك ويذهب الى حكومة الآغا ويسمونها « حانوت الآغا » وهو الوزير الثاني فينزل عنده هنيهة ، ومن هنالك يذهب لدار نزوله فيقيـــم ويستريح .

هدية الخزناجي : فاذا صلى العصر ، وأحيانا يصلي في المسجد مع الآغا يأمر بتوجيه هدية الخزناجي ، فيوجهونها اليه ، وهي مقدار ألفي دورو ، أو ما يقرب منها ، مع أثاث ومصوغ ، وخيل ، وعبيد ، وكسوة ، وحياك قرمز ، وبرانس زغداني ، وحياك حرير ، وشمع وعسل ، وارز ، من غير حصر . فاذا قرب المغرب ، يأتي قائد الزبـــل المذكور مـــن عند الخزناجي فيبلغه السلام ، ويستدعيه ، فيذهب معه ، والهدية من ورائه ومعه كتابه وقواده وآغواته ومماليكه وكل وزير من الوزراء له دار لأقامته عند انفصاله من دار

الملك ، اعني الاعلية ، فيجلسـون فيها لاستراحتهم ولأشغالهم ، ولا يذهبون لديار الحريم الا بعد صلاة العشاء ، وقبل صلاة الصبح يأتي كل وزير الى عليه ، ومن هنالك يذهبون الى دار الامارة ، وعند كل وزير في العلي ، وكيل الحرج ، وامام ، ومماليك ، وطباخون ، وخدام . فاذا وصل الباي لعلي الخزناجي يتلقاه وكيل الحرج ويرحب به ، ويصعد به لسيده ، فاذا وصل يتلقاه ويسلم عليه ، ويذهب به الى محطه في العلي فيجلسان في مكان واحد ، ثم يدخل الكتاب والآغوات والقواد ، فيسلمون على الخزناجي ، فيامر امثال الآغوات والكتاب بالجلوس معهم ، والباقون يذهبون لمكان آخر .

ثم يدخل خدام الباي بالهدية فيضعونها قبالته بازاء الغرفة ويخرجون . ويرحب الخزناجي بالحاضرين على حسب مراتبهم ، فاذا اذن المغرب يأتي الامام فيقيمون الصلاة ، ويفرش الخدام الزرابي للامام وللباي ولسيدهم . اما بقية الحضور فيصلون على البساط الأصلي . وعند الفراغ من الصلاة يجلسون ، فتوضع لهم السفرة ، وعليها مـــن الأطعمة انواع لا توصف ، ويبدلون لهم الآواني التي فيها الطعام شيئا بعد شيء الى ان يكتفوا فيقدم لهم الطعام ولا يمدون اليه أيديهم ولا يبقى شيء من الطيبات الا قدم لهم . وعند الانتهاء من ذلك ترفع السفرة ، فيغسلون أيديهم ويؤتي لهم بالقهوة فيشربون وتؤخذ الفناجين من ايديهم ، وعندئذ يقوم الكتاب والآغوات يسلمون على الخزناجي ويشكرونه ، ويخرجون الى صحن الدار ويقفون والوكيل معهم ، فيبقى الباي مع الخزناجي قليلا ، ثم يخرج الى صحن الدار فيوضع له كرسي يجلس عليه ، ويوزع العوائد على خدام الخزناجي ، فيتقدم أولا وكيل الحرج ويأخذ عوائده ويتأخر ، ويتقدم الامام ، فيأخذ كذلك ويتأخر ، وهكذا يتقدم كل خدام الخزناجي على مراتبهم ، ويعطي الباي لكل واحد منهم ما يناسبه فاذا اتمهم رجع لداره وقائد الزبل ، وآغة القول ، والمزوار والبراح امامه وقدامهم القولجية والحرس يصرفون الناس الذين يأتون كل ليلة لأجل الصدقات ، يمينا وشمالا ، فاذا دخل للدار وجلس يعطي لقائد الزبل والمزوار وخدامهم العوائد ، كل ليلة ، الى أن يسافر وامـــا قائد الزبل ، فانه يعطيه في كل دخول وخروج ، ويعطي للوكيل والى شواشه الدراهـــم ليفرقها على اهل الصدقات . وبعد هذا ينـــام .

عوائد الباشي كاتب والكتاب : ومن الغد يأتيه قائد الزبل قبل صلاة الصبح ، ليذهب مع الوزراء الى الباشا للسلام عليه ، وبعد ذلك ، وأداء الصلاة يرجع الى داره حتى وقت الغداء وهكذا كل يوم الى أن يسافر . وفي اليوم الموالي يضيفه الآغا ، فيهاديه مثل الخزناجي وربما اكثر منه ، وفي اليوم الثالث ،

بعد التصبيح على الباشا وشرب القهوة ، يخرج كل واحد من الوزراء الى حكمه فيدخل باشكاتب ، ومعه خزندار والخدام يحملون الدراهم الى موضع باش كاتب الباشا فيذهب الباي الى هنالك ويجلس في موضع الباشكاتب ، والباش كاتب بازائه ، والى جانبه باش كاتب البـــاي ، فيفرش سفرة من الجلد ، ويفرغ عليها الدراهم ويقف الصبايحي على الباب ، ويفتح الباش كاتب الدفتر ، وياخذ في توزيع الـــعوائد ، وتسمى عوائد الثلاثة ايام وذلك بمناسبة مرور ثلاثة ايام على لبسه الخلعة السلطانية . فياخذ كل واحد من العمال ما يناسبه ، والكتاب وخدام المحكمة . وسائر الديوان من الشواش الذين يلبسون الطراطر على هذا الشكل ∧ وما بقي من الدراهم على السفرة بعد هذا التوزيع يعطيه لباش كاتب الكبير ، فاذا كان الباقي قليلا فانه يزيده عليه ، وبعد ذلك يذهب لداره ويستريح شيئا قليلا . ثم ياتيه الرسول للغداء ، فيذهب ويتغدى مع الوزراء كما قلنا ، ثم يرجع لداره فيهيء هدية اخرى ، دراهم ومصوغا ، ويأتيه بعدئذ رسول الأمير يطلبه لملاقاته ، فيذهب وأمامه وكيله ووزراؤه وباشكاتبه فيدخل على الباشا بالطريقة التي ذكرناها آنفا فيقيم معه نحو الساعة ويتكلم معه على احوال البلاد والرعـــية ، وغير ذلك من الأمور . فاذا انفصل عن الأمير دخـــل لبيت خزندار فيوزع الدراهم على الخدام كما فعل أول مرة يدخل الى بيت الطباخ الكبير فيوزع الدراهم ايضا ثم برجع لداره فاذا استراح يأمر عندئذ بتوزيع العوائد الكبار على أهل الدولة ، والخواجة التـــرك ، والكتاب ، والترجمان ، ووكلاء الحرج ، والصبايحية والطباخ وكاهيته وخزنة دار ، وخوجة الباب . أما الدراهم فانه يبلغها لهم قبل دخوله للجزائر ، وذلك بواسطة وكيله ، بخلاف باي الشرق الذي لا يدفع لهم المال الا في اليوم الثالث . اما هذا الباي : باي الغرب ، فانه لا يوزع عليهم الا العبيد ، والحياك القرمز ، والحرير ، والشمع والعسل والسمن ، والأرز ، لا غير . فيواصل كل واحد بعوائده ، فاذا اذن الظهر ، جاءه قائد الزبل ، فيخرج لدار الامارة ، ويجلس شيئا قليلا ، مع كـــل وزير ، ويرجع لداره قبل صلاة العصر فيوجه الدراهم للشواش .

عـــوائد الشـــواش : فاذا صلوا العصر انفصلوا عن دار الامارة ، بعد انقضاء النوبة وعددهم سبعة شواش ، وهم الشواش الكبار ، غير الشواش الصغار الذين يأتونه صبيحة اليوم الرابع قبـــل الفجر . ويقال لهم شواش القصبة ، وهم ثلاثة : واحد يلبس الطرطورة ، وواحد يلبس العمامة المبرجة ويسميها اهل تونس « الـــرزة » والثالث يلبس الشاشية ، ولباسهم كلهم تفاطين من الملف الأخضر ، واحذية حمراء كبيرة مسمر في قاعها قطعة من

الحديد . اما شاوش آغة العسكر ويسمونه السراج ، فيلبس مثل الشواش ، الا القفطان ، فهو من الملف لون المور (110) وهو يأتي مع الشواش السبعة الكبار ، فيجلسون عند الباي ، ويشربون القهوة ، وبعد ذلك ، يقوم أصغرهم فيفرش على الأرض سفرة من القطن ، وهي خرقة كبيرة مدورة ، فيلقي الباي امره الى خزنداره ، فيفرغ لهم على تلك السفرة الدراهم من الشكاير ما يزيد عن الف دورو ، ورؤوسهم مطرقة الى الأرض ، مثل الثيران التي تتعلم الحرث . وبعد حين يرفع باش شاوش راسه ويقول بالتركي « ساوندار افندي » فيجيبه الباي بقوله بركات ! وعندئذ يرفع بقية الشواش رؤوسهم ، ويقول باش شاوش : نعم بركات . لكن نحن سبعة ، وعندنا المصروف الكثير في هذه الخدمة لأنهم يذهب منهم كل سنة أربعة في الأمحال التي ذكرنا ، اثنان لمحلة الشرق ، وواحد لمحلة الغرب ، وواحد لمحلة تيطري ، لكن لهم عوائد كبار تزيد على مصروفهم عشرات المرات ، الا انهم قوم لا يقنعون . فيأمر الباي بالزيادة لهم قدر ما اعطاهم أولا ، أو ما يقرب من ذلك ، فسكتوا قليلا ثم تكلم كاهية باش شاوش وقال : سواندار افندي ! فاجاب الباي : بركات واطالوا في الالحاح عليه واكثروا ثم اخرجوا حكة النفة (111) واعطوها له وقالا : « جاك برنوط افندي » ! وهكذا يستمرون في الالحاح عليه يستحلفون براس الأمير وراس السلطان فيزيدهم ثلث ما اعطاهم ، وهكذا حتى واصلهم بأربعة آلاف دورو ، فاقتسموا الدراهم بينهم من غير حساب ، وكل واحد منهم جعل حصته في منديل وضعه ما بين القبطان وصدره ، وبعد ذلك يتقدم الشاوش المسمى بالسراج (واضع السروج) ويضع منديلا بين يدي الباي ، فيأمر باعطائه ، ويلح عليه في الزيادة ، فيزيده ، ويتكلم بقية الشواش على رفيقهم فيزيده أيضا ، حتى يصل ما أعطاه سبعماية دورو ، او أكثر . عندئذ يفتحون له الباب ، ويخرجون من الغرفة بعدما يقبلون يده ، ويتفون صافي الصحن ، وينادون بأعلى أصواتهم ، وهي كاصوات الحمير او أكثر ، يقولون بلغتهم : الله اصعلوك افندي ويطولون فيها ، الى أن يخرجوا من باب الدار ، فيذهبون الى دار آغة العسكر ، وهي الدار التي يسمونها « سركاجي » وهي معدة لحكم العسكر ، فمن استحق منهم القتل قتلوه هناك . ومن استحق الضرب سوطوه . وهؤلاء الشواش يذهبون كل يوم بعد العصر يتعشون هنالك عند الآغا وفي تلك الدار طباخ ووكيل حرج ، فاذا تعشوا انصرفوا .

التقدم السنوي للشواش : ومن عادة هؤلاء الشواش انهم في كل عام ينعزل الباش شاوش ويتولى مكانه كاهيته ، وهكذا يتقدمون كلهم كل عام : فالكاهية

يصبح باش شاوش القصبة ، ويترك العمامة المبرجة ويلبس الطرطورة . وصاحب الشاشية يلبس العمامة ، وشـــاوش الصبايحية يلبس القنطان والشاشية ، وهكذا . وعندمـــا يلبس شاوش الجديد الطرطورة في دار الامارة يذهب ليقبل يد الأمير . والشواش واقفون ، فاذا قبل يد الأمير وتاخر ، يلحقه الشواش ويجرون خلفه بالسياط ، وهو هارب من امامهم ، الى أن يصل الى مكان يدعونه حانوت الشواش .

أما شاوش السلام ، فانه يتقدم لرتبة شاوش صبايحية - ووكيل الحرج في سركاجي يلبس الأحمر في مكان سلام شاوش ، والشاوش الذي يلبس العمامة هو الذي يحمل باشماق الأمير عند دخوله لصلاة الجمعة ، ويضعه له عند خروجه . ورأيته يوما عند ما كان الأمير خارجا من الصلاة يقدم له الباشماق وهو منحن ، وممسك طرف الباشماق المقدم باصابعه ، فلما أدخل الأمير مقدم رجله اليمنى ، اطلق الباشماق وذهب يهرول على قدر جهده .

هدية خوجة الخيل : اما الباي ، فاذا انصرف الشواش من عنده ، كما ذكرنا ، يحضر هدية خوجة الخيل ، وهو الوزير الثالث ، وهي تعادل نصف ما اعطى قبله للوزيرين الآخرين . وقبل المغرب يأتيه الرسول فيذهب معه لخوجة الخيل ، ويتعشى ، ويعطي لخدامه مثل ما تقدم ، ثم يرجع لداره ، ويعطي الدراهم للذين يذهبون معه ، ولأصحاب الصدقات ثم ينام .

عوائد بقية رجال الوجاق : وفي آخر الليل ، قبل صلاة الصبح ، يأتيه شواش القصبة الثلاثة المذكورون آنفا ، ويعملون عمل اصحابهم المتقدمين فيعطيهم ويتأخرون ثم يتقدم شاوشان يلبسان القاطات(112) من الملف الأحمر ، وعلى رؤوسهم شدود حمر بالذهب والأول هو شاوش الصبايحية والثاني هو شاوش السلام ، فيأخذان عوائدهما ، وبعدهما يأخذ الطباخ ، ووكيل حرج دار سركاجي ، عوائدهما ، ويذهبون كلهم .

وفي اليوم الرابع يتعشى الباي عند وكيل الحرج بباب الجهاد ، ويهدي له مثل خوجة الخيل ، وفي اليوم الخامس يتعشى عند وكيل بيت المال ويهدي له أقل من الوزراء المتقدمين ، والثلاث ليالي الباقية يضيف فيها الباي عند وكيله ويعطيه عوائده نحو الفي دورو ، وعبيد وحياك ، وشمع ، فهو يعطيه مثل بقية الوزراء ، ويعطي لكاتبه ثلث ما ياخذه الوكيل ، ويعطي عوائد خدام الوكيـــــل .

توديع الباي والهدايا التي تقدم له : وفي اليوم السابع ، وهي ليلة السفر يأتيه الرسول من قبل الأمير ، فيذهب للسراية ، ويجلس معه ، ويوصيه الأمير

بالرعية خيرا . ويوصيه على امور بيت مال المسلمين ، وغير ذلك فاذا انفصل من عنده ، ورجع الى دار نزوله ، ويرسل له الأمير هدية : اثنين من الخيل ، ومكحلة بالذهب ، وسكينا ذهبيا ، وحوائج مذهبة ، واثاثا محجرا (113) وبعد صلاة العصر ، يرسل له الوزراء هداياهم ، من خيل ، وسلاح ، وقاطات بالذهـــب .

وفي اليوم الثامن يذهب في الصباح للسلام على الأمير وبعد شرب القهوة يلبسه الأمير قنضورة (114) من الذهب ويسلم عليه ، فيركب الباي فرسه داخل دار الملك ، ويخرج راكبا والنوبة من ورائـــه ، والآغا اعني الوزير الثاني يخرج معه ليودعه الى عين الربط ، فيرجع الآغا ويذهب الباي الى حوشه ، يبيت هناك ، ومعه وكيله وكاتبه ويتحاسبون هنالك على ما صرفه عليه الوكيل ، ومن الغد يتوادعون ، فيذهب الباي ويرجع الوكيل .

بقية البايات : وهكذا جميع البايات . غير انهم في الهدايا والعوائد واللزم يتخالفون (115) وكذلك الخلفاوات . وخليفة الباي في الدنوش يدفع نصف ما يدفعـــه الباي في كل شيء الا المصوغ فلا يهديه الخلفاوات أما مقابلتهم للباشا وضيافتهم ، فمثل الباي في كل شيء .

دنوش باي الشرق : اما دنوش باي الشرق فانه يدخل الجزائر في فصل الصيف كل ثلاثة اعوام فيدخل الباي ويلبس الخلعة مثل باي الغرب في كل شيء كما تقدم . الا ان هديته التي يهديها للباشا في اليوم الأول حين يذهب لملاقاته فهي نحو ثلاثين الف محبوب ذهبا (116) وبعض المهمات من المصوغ والملبوس وعدد من المواشي التونسية ومن الطيب : عطر الور د . وعطر الياسمين ، وتسابيح العنبر والمرجان والبرانس السوسدي (117) والجريدي والقفصي ، واشياء اخرى مـــن المجبود (118) والاثاث والخيل والسمن والمحور (119) .

اللـــزمـــة : اما اللزمة فان باي الغرب يقدم بين يدي الأمير كما قدمنا ثمانين الف ريال صغيرة كوارط وبـــاي الشرق يقدم ثمانين الف ريال كبيرة بجة . واما باي تيطري فهو يدفع 14 الف ريال صغير . وهو مثل من تقدم في الملاقاة والضيافة . واما هديته وعوائده التي يدفعها فاقل من باي الغرب وباي الشرق . وكل الخلفاء يدفعون اللزمة كل ستة أشهر نصف ما يدفعه البايات وقائد سباو يدفع نحو ما يدفعه باي تيطري في دنوشه ، الا ان مقامه صغير وليس له خليفة . فهو يدفع الف ريال كبير لزمة .

هذا خلاف لزمة البيتباشي (120) وهي أربعة آلاف دورو بجة في كل شهر يدفعها كل باي فمنهم من يدفعها كل شهر مثل باي الغرب . أما باي الشرق فيدفعها كل ستة اشهر في اليوم الثالث من دنوش الخليفة .

زكاة باي الغرب : اما الزكاة والعشور التي يدفعها البايات عن أوطانهم فباي الغرب يدفع عشرة الآف صاع قمحا ، ومثلها شعيرا . ويوزع على أصحاب الدولة وخدامهم نحو الفي صاع قمحا ومثلها شعيرا . والغنم ستة آلاف راس ، ويوزع أيضا على اصحاب الدولة وخدامهم مرتين في السنة ، في أفريل وفي سبتامبر . ويعطي العوائد في العيد الصغير ، والعيد الكبير ، ويوم عاشوراء ، والمولد النبوي الشريف ، للأمير ووزرائه ، وكتابه ، وجميع خدامه .

زكاة باي الشرق : وباي الشرق مثله فـــي عوائد المواسم ، وفي زكاة القمح والغنم . اما الشعير فلا . وباي الشرق يزيد نحو الفي راس من البقر للبايلك ، والف راس عوائد ويفرق القمح للعوائد كذلك ، والتمر والزيتون في كل سنة في اينار (121) ويبعث في صيف كل سنة مركبا مشحونا بالشحم ، والسمن للمراكب الجهادية ، من مرسى عنابة .

زكاة باي التيطري : وباي التيطري يبعث زكاة الغنم لبيت المال ، ويوزع شيئا على أرباب الدولة وكذا في عيد الاضحي ، لا غير . اما العشور فلا يبعث ، لان عمالته اغلبها صحراء وسكانها العرب أصحاب غنم ولا حرث لهم — والذي يقبضه من الرعية شيء قليل يكفيه هو ومحلته اما عشور بلدة المدية فيجمعه ، ويعمله عولة (122) وله وكيل عولة ، ويدفع تلك العولة لدار الامارة كل شهر .

زكاة قـــائد سباو : وقائد سباو يدفـــع الفي قلـــة زيت للبايلك . ونحو خمسمائة قلة لأصحاب العوائد والف قنطار كرموس (123) ومماية قنطار شمع ، ويدفع خمسمائة صاع قمحا ومثلها شعيرا لأن وطن سباو ، ووطن تيطري ، لو اجتمعا معا ، لما كانا قدر ثلث وطن وهران اما وطن قسنطينة فانه كبير جدا . حتى العارفين بالأرض قالوا ان وطن قسنطينة يلزمه أربع بايات .

تحديد البـــلاد : .الناحية الغربية كلها بيد باي وهران ، وله خليفة ، وقواد واغوات ، وحكمه ينتهي الى بحطوان والي عمالة باي تيطري .

وباي تيطري تحده متيجة شمالا ، ومن الناحية الشرقية يحده وطن بني سليمان وبني جعد وعريب ، وقائد سباو وعمالته زواوة (124) ويحد عمالته

وطن يسر ، ومن الناحية الشرقية وطن حمزة وهو من عمالة باي قسنطينة . اما باي قسنطينة فتحده عمالة تونس ، والحد بينهما يقال له سراط .

الآغـا وسلطته : اما وزراء الأمير بالجزائر ، فهم : الآغا ، وله رعية من بحلوان الى يسر . ويحده شرقا : سباو ، وغربا : باي تيطري ، ومن الناحية الغربية من جهة البحر تنس . لكن سكـان تلك الجبال كلهم عصاة لا يتصرف فيهم الآغا ولا الباي (125) وللآغا قواد تحت حكمه . فأما بحطوان فان فيه زمول (126) من العبيد الموالي لاهل البلاد وغيرهم . فاذا اجتمعوا (127) في البـلاد ، فـان الأمير يبعث بهم الى بحلوان ، والى زمول اخرى في سباو ، فيسكنونهم هنالك ، ويعطونهم تلك البلاد يحرثونها ، ويكسونهم كل عام ، ويعطونهم الخيل والسلاح ، وهم يمسون هنالك مقابلين للجبال ، اما في بحطوان فانهم مقابلون لجبل بني مناد وجبل سماته ، وكل زمالة من تلك الزمول عليها قائد يولي من قبل الآغا . واذا ركب الآغا الى موضع ركبوا معه ، ولا يدفعون شيئا من اللوازم والمطالب المخزنية .

وللآغا قائد في وطن حجوط ، يتصرف في بني مناد ، وسماته ، ومزاية ، وحجوط الى واد سبعة ، وقائد في وطن بني خليل ، يتصرف في جبل بني مسعود ، وبني صالح ، وبني ميصرة ، الـى وادي الحراش ، وهو اكبر القياد ، وله قائد ثالث في الخشنة ، يتصرف في الوطن وفي جبال عمال ، وبني عيشة ، الى وطن يسر كذلك ، وقائد رابع في يسر بحده سباو ، وقائد سباو وهو الذي يسمى هذا القائد الا أن الآغا هو الذي يتصرف فيه ، وقائد خامس في وطن بني جعد ، وقائد سادس في وطن بني سليمان وبني خليفة ، وهم جبال ، وأهلهم اهل خير ، وقائد سابع في عريب ، وهذا الوطن اكثره اهل عمور ، وهم اهل خير وورع .

اما مرتبة هؤلاء القواد السبعة ، فهي هكذا : قائد بني خليل ، قائد بني موسى قائد الخشنة ، قائد بني جعد ، قائد بني سليمان ، قائد عريب ، قائد حجـوط .

وهؤلاء القواد، يلبسون الخلعة يوم عيد الاضحى ، ويدفع كل واحد منهم لزمة الوطن وعوائده . وهذه اللزمة يفرضها الأشياخ في كل وطن ، وفي كل وطن قائد للعشور ولا مدخل للقائد فيه ، بل هو تابع راسا لكاتب العشور بالجزائر . والآغا هو الذي يسميهم .

واهل هذه الأوطان اكثرهم صبائحية الآغا ، يركبون معه أينما يتوجه ، وهم عسكره الخيالة ويتميزون على اخوانهم العرب من الرعية ، فانهم لا تلحقهم المطالب المخزنية الا العشور ، ولا يلحقهم القواد ، وكبراؤهم تواد العشور .

خوجة الخيل وسلطته : اما خوجة الخيل فان له رعية من عرب الصحراء ، وهم نجوع فأولهم : نجع رحمان ، ونجع الزناخرة ، ونجع اليواعيش ، وكثير من النجوع الأخرى ، فيدفعون له الخراج والزكاة الا أنهم يمنعون الزكاة .
ولخوجة الخيل قائد يسمونه قائد العرب ، ومستقره متيجة ، وله أعوان وهو المتصرف على هذه النجوع ، وله أشياخ لجمع المطالب المخزنية ، ولخوجة الخيل اتباع يركبون الخيل ويسمونهم السرارجة ، وعليهم كبراء يسمونهم المقاديم ، وهم مع خوجة الخيل ، ويقفون بين يديه وتت الحكم لأجل الاشتغال ، واذا اراد أمرا فانه يعين رجلا أو اثنين من السرارجة ليأتوا بخصم المشتكي أو يرسلهم لحمل المكاتيب للرعية .

كما أن للآغا اربعة كبراء : باش شاوش ، وكاهيته ، وباش علام ، وباش مكاطي ، يقفون بين يديه في الحكومة ، ويفهمونه أمور الشكاية ويعينون الصبائحية للأشغال أو المكاتب ولتخليص الحقوق ، والاتيان باللصوص وقطاع الطرق ، وكبراء الآغا ومقاديم خوجة الخيل كلهم من العرب .

صالح باي ، ومقتل الخزناجي : بعدما وقع الصلح بين محمد باشا والاصبانيول قدم البايات لتهنئته على حسب عادة دنوشدهم ، فقدم محمد باي الغرب ، في الخريف كمثل عادته فهناه بنصر الله ، وأوصاه الأمير على وهران أن لا يترك عنها القتال ولا يهني من فيها من الاصبانيول .

وفي فصل الصيف ، قدم صالح باي قسنطينة ، ودخل الجزائر ، وقابل الباشا ، وهناه بالنصر ، وفي يوم من الأيام ، اختلى الباشا بالباي ، وساله عن امر وسق الزرع (128) والبقر لأرض النصارى من مرسى عنابة ، وكان الباشا قد اوصى البايات من قبل ، أن لا يبيعوا . فأجابه الباي أن الوسق قد وقع بالفعل ، فقال له الباشا :ألم يصلك كتابي ؟ قال : بل وصلني لكن بعد ذلك وصل لي كتاب من الخزناجي يأمرني فيه بان نترك الوسق حرا لمن بيده كتاب منه ، فكل من يأتيني بكتاب منه نسمح له بوسق العدد المذكور في الكتاب . وهذه هي كتب الخزناجي . فغضب الأمير على الخزناجي ، واشتد غضبه عليه ، وأمر الباي بان لا يسمح لاحد من ذلك اليوم بالوسق الا بكتاب منه . وأمره بان يكتم هذا الأمر ، ولا يطلع عليه أحدا من الوزراء ،

فامتثل أمره وسكت . ولما انتهت أيام الضيافة ذهب لوطنه ، وجاء باي تيطري مثل أصحابه ، وذهب .

وبقي الباشا مهتما غاية الهم من أمر الخزناجي ، وكان هذا الخزناجي ظالما ، وله بنتان انكح احداهن لحسن وكيل الحرج ، والأخرى لخزنة دار الأمير . وكان من عادة الوزراء يجتمعون كل يوم بعد صلاة الصبح في سقيفة دار الامارة تدر نصف ساعة ، ويكون وكيل الحرج معهم . فاذا خرجوا يذهب وكيل الحرج لملاقاة الأمير كل يوم ، ليخبره عن أحوال المرسى والمراكب . وفي يوم من الأيام قال الباشا لحسن وكيل الحرج : يا حسن اني مهموم من أمر . فقال له : وماذا يهمك يا سيدي وقد نصرك الله على عدوك ؟ فقال له : ان الأمر الذي يهمني يقرب من أمر العدو ، ولم أجد من يعينني عليه . فقال له : اخبرني عنه ، ونحن نموت فداك ! فقال له الباشا : ان صهرك الخزناجي تجرأ علي كثيرا حتى صار يتصرف في الأمور من غير اذن . وأنا آمره وهو يتعرض لأمري ويأمر بخلافه ، وتكلم كلاما طويلا في هذا الموضوع ، فقال له وكيل الحرج : أنا اكفيك أمره ، فلا تهتم به ، لأنك سيدي وولي نعمتي ، وغدا ان شاء الله ، تنفذ فيه حكم الموت .

خرج من عند الأمير ، وذهب الى العلي . ولما خرجت الناس من صلاة المغرب أو صلاة العشاء بعث الى باش شاوش فأتاه خفية ، فقال له : غدا ان شاء الله ، عندما تأتي لتصبح على الخزناجي اقبض عليه ، واذهب به لدار سركاجي ، ولمجرد وصوله تخنقه (129) وان فرطت في هذا الأمر فانت عوضه . وها أنا بلغت لك امر الأمير . فقال له : سمعا وطاعة وخرج باش شاوش من عنده وذهب الى كاهيته وقال له : غدا عندما نصبح على الخزناجي نقبضه ، وتكون أنت مستعدا فاذا ناديتك تلحقني . وذهب لداره .

ولما قرب الفجر ، ذهب لحانوت الشواش كعادتــه ، وصلوا الصبح ، وأقاموا ينتظرون قدوم الوزراء كعادتهم ، حتى أتوا وجلسوا عند الباب مثل العادة ، فذهب الباش شاوش الى الخزناجي ليسلم عليه ، فلما أهوى عليه ليقبل يده كالعادة ، نزع عنه اليطغان ورمى به بعيدا عنه ، ونادى الى كاهيته ، فأسرع له مع اخوانه وقبضوا على الخزناجي ووضعوه بينهم ، وذهبوا به لدار سركاجي وبمجرد وصوله قتلوه . فلما مات وفتحت دار الامارة ، ودخل الوزراء على الأمير ، اخبرهم بأفعاله وما وقــع منه ، وكيف حكم بموته ، فقالوا : انه يستحق أكثر من هذا . وعندئذ أولى حسن وكيل الحرج خزناجيا ، وأولى علي برغل خزندار وكيلا للحرج ، وهما صهرا المقتول ، وحزنت بنتاه

عليه حزنا شديدا ، وعرفتا ان صالح باي هـو المتسبب في ذلك ، فقالتا لزوجيهما : لا بد لكما من الاحتيال عليّ من كان السبب في مقتل أبينا ، ونقتله .

الوبـاء : وفي سنة (1201) جا ء الوباء للجزائر ، حتـى وصل عدد الأموات احيانا خمسماية جنازة كل يوم ، ويسمى بالوباء الكبير . قيل أنه اتى من بر الترك في مركب مع رجل يدعى ابن سماية . وطال الوباء بالجزائر الى سنة 1211 .

وفاة محمد باشا وولاية حسن باشا : مرض محمد باشا في سرايته ولما اشرف على الهلاك تكلم علي برغل خزنة دار مع الخزناجي حسن المذكور : انه اذا توفي الباشا فانه يرسل له خفية ليقدم الى دار الامارة ، ويتولى باشا حسب العادة ، وذلك خفية من علي آغا ، فلما كان يوم الثلاثاء العاشر من ذي القعدة الحرام ، سنة 1205 (131) قدم الوزراء كعادتهم ، ودخلوا لدار الامارة فاتاهم وكيل الحر ج المذكور وسالوه عن الأمير كيف اصبح ، فقال لهم انه وجد الراحة في هذه الليلة ، وكان قد مات ليلتئذ رحمه الله . فامروه أن يبلغ له سلامهم . فطلع للسراية على انه سيبلغه سلامهم . وهم خرجوا الى ديارهـم .

وكان علي آغا المعروف بالقهواجي ، يريد ان يتولى باشا بعد وفاة الأمير ، خلافا للعادة لأنه في عادتهم اذا مات الأمير يتولى مكانه الخزناجي ، والآغا يتولى خزناجيا لكن علي آغا اراد ان يتقدم الخزناجي لأنه رأى نفسه شجاعا واذا باس وقوة .

وكانت دار الآغا مـلاصقة لدار الملك ، وبيت الخزناجي قريبا من بيت الآغا . بحيث اذا ذهب الخزناجي لدار الملك ، فلا بد أن يمر على دار الآغا . ولما كان وقت الضحى ، وتحقق وكيل الـحرج ان الوزراء كلهم نائمون في بيوتهم ، بعث لحسن الخزناجي خفية يستقدمه ، فوجده الرسول مستعدا ، وذهب معه في الحين . ولما مر على باب علـي آغا رآه خدمه ، فاخبروا سيدهم فقام وحمل بناديق صغيرة تحت ثيابه ، وذهب في اثره .

ولما دخل الخزناجي دار الامارة استدعى كبير النوباجية ، أعني العساسين وأمره ان يقبض على علي آغا أن قدم ، وينزع عنه سلاحه ، ويبقيه عندهم الى ان يامرهم . ودخل مقابلا لكرسي الملك ، وجلس ، ثم استدعى الوزراء والعلماء ، واعيان البلد ، فلما حضروا عنده ، أعلمهم بموت الأمير ، وانه اوصى اليه ، فبايعه اهل الحل والعقد ، ولبس الخلعة السلطانية ، واطلعوا

الصناجق بدار الامارة ، وضربت النوبة وأطلقت المدافع ، ونادى مناديه في اسواق البلد بالعافية والأمان ، وموت الأمير ، وتوليه حسن باشا .

أما علي آغا ، فانه عندما وقع في اثر الخزناجي ، قبضوا عليه ، وحبسوه في مطهرة (132) ثم امر الأمير بنفيه الى القلعة . ومكث بها الى ان وجد مذبوحا ، قيل انه قتل نفسه ، وقيل ان حسن باشا أمر بقتله . وكان حسن باشا عارفا ، عاقلا ، وله فطانة في الأمور ، غير انه كان في بعض الأحيان يعتريه حمق ، حتى يفعل امورا لا محل لها .

اهم الحوادث التي لم يذكرها المؤلف

1 — اعلنت قبائل اولاد نايل ، التي تمتد ارضها بين مسيلة ، وبوسعادة ، والأغواط وجلفة العصيان ، فسار اليها من اجل اخضاعها قائد تيطري ، السيد سفطة ، فغلبوه وقتلوه . ثم سار اليهم صالح باي قسنطينة رحمه الله ، فارغمهم على الطاعة .

2 — 1203 (1788) سار صالح باي بجيشه الى مدينة توقرت ، التي كانت منذ قرنين خاضعة لحكم محلي تتولاه عائلة بني جلاب . فقضى على تلك العائلة ، وادخل توقرت وضاحيتها ضمن الجامعة الجزائرية .

3 — ابتدات قضية القمح والحبوب بين فرنسا والجزائر في الظهور ، دون علم للباشا : ذلك ان التاجرين اليهوديين نفتالي بوشناق ، ويوسف بوخريص (باكري) حصلا من الخزناجي حسن على اذن بتصدير الحبوب لفرنسا ، وكانت في ضيق شديد ومسغبة فتاكة ، اثر حوادث الثورة الفرنسية الكبرى . وهكذا ابتدات القضية التي انتهت بعد حوالي اربعين سنة باحتلال فرنسا للجزائر بغيا وظلما .

4 — كان القاضي الحنفي في ايامه الشيخ حسن بن أحمد التفاحي ، ثم الشيخ مصطفى بن عبد الله . ثم الشيخ محمد بن مصطفى . ثم الشيخ حسن بن أحمد ، ثم الشيخ محمد بن اسماعيل . أما قضاة المالكية فكانوا على التوالي . الشيخ احمد بن محمد . الحاج أحمد بن عمرو . عبد الرحمن المرتضي — الحاج ابن جعدون ، الشيخ محمد بن الشاهد ، الحاج علي بن عبد القادر .

5 — توفي في أيامه من كبار علماء الجزائر الشيخ علي بن محمد الجزائري المعروف بابن الترجمان وقد استقر مدة بدار الخلافة استامبول . اسره

الروس ومات في الغربة ، والشيخ محمد امزيان الملياني صاحب كتاب المستفيد في عقيدة التوحيد ، والشيخ عبد القادر الراشدي تولى قضاء قسنطينة وله مؤلفات منها كتاب في مباحث الاجتهاد ، وحاشية على شرح السيد للمواقف العضدية ، وله رسالة في تحريم التدخين .

6 — تولى أيام السلطان العثماني مصطفى الثالث ، واستمر كامل مدة السلطان عبد الحميد الأول ، ومات رحمه الله أيام السلطان سليم الثالث .

التعاليق

(1) هو محمد عثمان باشا ، وقد كنا نشرنا سنة 1937 هذا القسم من سيرته ، مع كل ما يتعلق بها ، في كتاب خاص ، تحت اسم : محمد عثمان باشا داي الجزائر .

(2) 8 افريل 1766 ميلادية .

(3) قصر الجنينة ، وكان يتصدر ساحة الشهداء اليوم ، وقد احترق (أو أحرق) في أوائل عهد الاحتلال الفرنسي وقد نقلت الساعة الكبيرة التي كانت فوق بابه ، ووضعت فوق منارة المسجد الجديد ، حيث لا تزال الى الآن .

(4) ملابســه

(5) اي يصنع ثوبا جديدا .

(6) جمع « بطقان » وهو نوع من السيوف .

(7) أي مجلس الحكم .

(8) عبارة عامية جزائرية تدل على الملكية والتبعية . اي خزنداره .

(9) خزنة مال الدولة

(10) المملوكة التي تكون غالبا شر كسية من جبال القوقاز ، وتباع في سوق النخاسين باستامبول

(11) لا يزال هذا البرج قائما الى يومنا هذا في رأس المول بمرسى الجزائر القديم . وسبب تسميته ببرج سردينة هو وجود رسم منحوت على الحجر ببابه يمثل سمكتين من نوع السردينة .

(12) نوع من السفن الحربية الخفيفة تحمل المدافع وتتجه بسرعة لملاقاة العدو على بعد .

(13) القنبلة التي ترمى بها سفن العدو . والكلمة افرنجية .

(14) كان من اجمل مساجد العاصمة الجزائرية ، واكثرها زخرفة وبهاء . وقد بادر الفرنسيون بهدمه بصفة تامة اثر احتلالهم للمدينة . فاحدثوا بذلك صدمة رهيبة عند أهل المدينة لازال يذكرها الخلف عن السلف ، الى أن محت يد الثورة الشعبية العامة صفحة ذلك الاحتلال المقيت

(15) في الاصطلاح الجزائري : زينه

(16) الاعراص هي الاساطين

(17) هذه الأساطين وضعت بعد تهديم مسجد السيدة ، امام الجامع الكبير .

(18) هذا المنبر البديع موجود الى اليوم بالمسجد الحنفي أو الجامع الصغير بالعاصمة .

(19) للمدينـــــة .

(20) الثكنات العسكرية . جمع تشلة . واللفظ تركي .

(21) الرايس في الاصطلاح الجزائري هو قائد سفينة القرصان .

(22) سفن خفر السواحل في الأصل . انما تستعمل في الغزوات لخفة حركتها وسهولة ادارتها

(23) أي هجم . واصل الكلمة « صادم »

(24) 1770 ميلادية .

(25) مملكة في الشمال الغربي من أروبا . تقع شمال المانيا ، ويفصل البحر الضيق بينها وبين مملكتي السويد والزويج . وهي معهما تمثل السكندنافية .

(26) القيرة لفظ افرنجي معناه الحرب . وفي الاصطلاح الحديث يقال : غرامة الحرب .

(27) الدورو قطعة فضية أصلها اسباني ، وتساوي في وقتها ربع قطعة ذهبية وزن 6،451 غرام . وبما أن القطعة الذهبية تساوي اليوم 80 دينارا جزائريا ، فالدورو في ذلك الوقت يعادل اليوم ما قيمته 20 دينارا . أي أن غرامة الحرب التي أخذها من الدانمارك تعادل اليوم خمسين مليون دينار جزائري .

(28) المركز البحري . وأصله العربي : دار الصناعة أي صناعة المراكب ، ومنه أخذت الكلمة الفرنسية : ARSENAL

(29) أهل مملكة نابولي ، من ممالك وامارات ايطاليا قبل توحيد الدولة .

(30) انظر تفاصيل هذه المعارك الرهيبة التي خاضها الشعب الجزائري البطل ، طيلة 300 سنة تحت القيادة العثمانية في كتابي : حــرب الثلاثمائة سنة ، بين الجزائر واسبانيا طبع الجزائر .

(31) ملـك .

(32) السواحل

(33) الجزائريين

(34) مدينة الجزائر

(35) المراكز المحصنة

(36) مركز عسكري محصن بالمدافع ، واصل الكلمة التركية : طوب خانة .

(37) اشهر بايات قسنطينة . ولد بأزمير سنة 1725 . أولاه محمد باشا بايا على قسنطينة سنة 1771 وبقي بها عاملا ، مصلحا ، معمرا ، وكان له الفضل الاكبر في النصر المبين على الاسبان خلال هذه المعركة وقد عزله حسن باشا من قسنطينة بعد موت محمد باشا صاحب الترجمة ، تزين له أصحابه الثورة ضد السلطة المركزية لكنه أخذ وقتل سريعا ، رحمه الله . واسمه الكامل : صالح بن مصطفى ازميرلي .

(38) وادي الحراش

(39) عادة بربرية قديمة من قبل أيام الفنيقين ، يقدمون الابل لتكون وقاء للجيش

(40) رجال الحرس الخاص

(41) نقد جزائري من الذهب ، وزنه 3 غرامات

(42) علما أسود ، اشارة الحداد

(43) دامت المعركة عشرة أيام من يوم 1 الى يوم 11 جويلية 1775 . واسم قائدها الاسباني : اوريلـــي .

(44) حراقة أو كراكة

(45) ببلاد القبائل البربرية الكبرى

(46) سنوات 1767 — 1768 — 1769

(47) السهل الكبير الفسيح الذي يمتد جنوب مدينة الجزائر ، ومساحته 2000 ك م مربع

(48) الباعة المتجولون في مختلف الأسواق .

(49) المحلة هي الفرقة العسكرية

(50) هو السلطان السادس والعشرون من السلاطين العثمانيين (من 16 صفر 1171 الموافق 30 اكتوبر الى 9 شوال 1187 الموافق 23 دسامبر 1773 ، وقد حارب روسيا حربا عنيفة دفاعا عن استقلال بولونيا ، احترق اثناءها جزء من الأسطول العثماني .

(51) 1759 ميلادية .

(52) القائد العام للأسطول العثماني

(53) الضريبة المتفق عليها

(54) جمع بابا أي أب باللغة التركية وكان هذا الاسم يطلق على كبراء رجال الدولة من الاتراك .

(55) الدنوش هو دفع البايات للضرائب المفروضة عليهم للخزينة العامة بمدينة الجزائر . وفيما يلي بيان هام من المؤلف عن كيفية دفع الدنوش . وهو وصف فريد لم يسبق اليه

(56) اثناء الحرب مع روسيا ، هاجم القبطان حسان باي سفن روسيا التي كانت تحاصر جزيرة لمنوس ، وارغمها على فك الحصار ، فكافأه السلطان على هذا الانتصار ، برتبة الباشوية وتعيينه « قبطان باشا » أي قائدا عاما للأسطول العثماني .

(57) لفظ تركي معناه الأسطول ، أو السفن الحربية

(58) جزيرة كبيرة في شرقي البحر المتوسط ، تقع بين مصر واليونان ، وهي اليوم جزء من البلاد اليونانية

(95) جزر بحر الارخبيل ، وهي اليوم من بلاد اليونان .

(60) كان اليونانيون ثائرين على الدولة العثمانية ، موالين لروسيا ، ومراكبهم هذه كانت مراكب لصوصية بحرية

(61) اليونانيون

(62) ارتطمت بالبر واستقرت فيه

(63) سفينة حربية مسلحة بالمدافع للحراسة

(64) بوغاز الدردانيل ، وأشهر قلاعه هي « تشنا قلعة »

(65) لصوص البحر

(66) روسيـــــا

(67) أي : فلما رأى المسلمون الفتح الخ

(68) منزلا عسكريا بحريا

(69) البحر الاسود باللغة التركية

(70) الـــروس

(71) كلمة اسبانية معناها الأسطول الحربي

(72) سنة 1774 م . واعترفت الدولة العثمانية بامتلاك روسيا لشبه جزيرة القرم الواقعة شمال البحر الاسود ، والتي كان يسكنها اقوام من التتار المغوليين

(73) الدردانيل

(74) 34 كيلو تقريبا

(75) الريال بجة يزن 10 قرام فضة

(76) 1804 م

(77) وكانت الحملة تحت قيادة دون انطونيو بارثلو ، وابتدأ ضرب مدينة الجزائر يوم 1 يوليو من سنة 1782 م .

(78) مدافع الهـاون

(79) يرجع تاريخ بنائه الأول لسنة 972 هـ (1564 م) وجدده محمد باشا

(80) قصر الجنينـة

(81) عين الربط ، هو المكان الذي يعرف بساحة المناورات أو « الشان دى مانوفر » أيام الاحتلال ، وهو اليوم من أهم اقسام مدينة الجزائر .

(82) 1784 م . وكانت هذه الحملة مؤلفة من ثلاثمائة سفينة تحت قيادة نفس الدون بارثلو

(83) أي الركوب مع رجال البحر الرسميين تطوعا ورغبة في الجهاد ومشاركة في النضال من أجل الحرية

(84) النـــاي

(85) أي لا تشمئز نفوسهم منه

(86) المقداف هو المجذاف

(87) 1785 وكان الوفد الاسباني تحت رئاسة الكونت دسبلي ، والأميرال مزاريدو ، وساعد قنصل فرنسا دوكرسي على تقريب وجهات النظر بين الجانبين فانعقد الصلح .

(88) بايلار باي

(89) من بني حفص الموحدين

(90) ما يدفعه للدولة من الضرائب عن عمالته

(91) مكتب على مقربة من قصر الجنينة ، مركز السلطة

(92) شيوخ القبائل العربية

(93) ذات القيمة الكبيرة

(94) برانس دقيقة الصنع من الصوف العسلية اللون

(95) كلمة عربية قديمة تعني الدولة أو السلطة المركزية

(96) الكابوس هو مسدس ذلك الوقت

(97) بندقيـــة

(98) خيمته

(99) النسوة اللاتي يحترفن في مدينة الجزائر الرقص والغناء ونقر آلات الطرب ولا يزال الاسم مستعملا الى اليوم

(100) هم ورثة الفن الأندلسي الرفيع لفظا ونغما ، وقد تناقلوه بدقة خلفا عن سلف ، ولا يزال محفوظا عندهم الى الآن ، بموسيقاه الثرية وانغامه الشجية ، وبدائعه الرائعة

(101) قطع فضية أكبر من الدورو المعتاد

(102) جمع سلوقي ، وهو نوع من الكلاب شهير برقة بدنه وخفة حركته

(103) صيغة هذا النداء ، كما رويناه من نقيب الاشراف ، هو : الصلاة والسلام عليك يا رسول الله . الصلاة والسلام عليك ياحبيب الله ، الصلاة والسلام عليك يا خير خلق الله .

(104) يمكن تقدير قيمة الريال الصغير بما يعادل 65 صنتيما ، اي أكثر من نصف دينار جزائري

(105) قفطان يصنع باستامبول ، ويرسله السلطان العثماني لكبار الحكام كشمار لتسلمهم السلطة منه .

(106) جمع « علي » وهو الطابق الاول من الديار العربية وتعلوه احيانا غرف أخرى تدعـى المنازه .

(107) القرمز مادة حمراء اللون تنشا وتجف فوق أشجار خاصة توجد على الأغلب بالناحية الغربية : فتجمع بعد جفافها وتستعمل صباغا أحمر قانيا ، ثابتا للصوف .

(108) جمع ريحية ، وهي حذاء خفيف يلبسه كبار العلماء وكبار رجال الدولة ، مع خفا آخر يدعى الباشماق .

(109) الشترامبيات ، نوع من الوسادات المربعة الشكل المطرزة بالحرير أو الذهب ، يتكأ عليها عند الجلوس .

(110) احمر لون الرمان

(111) التبغ المسحوق الذي يتناول من الأنف

(112) القاط هو اللباس البلدي الجزائري واصله مأخوذ من الأتراك

(113) مرصعا بالحجارة الكريمة

(114) جبـــة

(115) يبلغ مجموع ما يدفعه البايات كل سنة لخزينة الدولة ما يلي (عن السائح المستشرق فانتير دي بارادي) :

بـاي الشرق	228000 دورو	(وزن 20 غرام فضـة)
بـاي الغرب	273000 دورو	(« قبل فتح وهران)
بـاي تيطري	67000 دورو	(«
مجموع ما يدفعه البايات	578000 دورو	(«
ما يدفعه السنة قواد	50000 دورو	(«

مجموع ما يدخل خزينة الدولة من داخل البـلاد ، وذلك خلاف ما يدفع هدايا وعوائد لاصحاب الدولة : 618000 دورو

(116) المحبوب قيمته 30 ترام فضة أو ما يعادلها ذهبا .

(117) رقيقة جدا تنسج من الصوف والحرير .

(118) الجلد المطرز

(119) كسكسي ناضج مجفف ، يختص بصنعه أهل قسنطينة

(120) قائد عسكري تحت أمرته حسب النظام العثماني ألف رجل ويدفع البايات هذه اللزمة مقابل وجود الجيش التركي في بلادهم

(121) ينـــاير أو جانفـــي

(122) العولة هي الكسكسي والمحمصة وهي كسكسي غليظ والبرغل وهو قمح مطبوخ ومكسر وكلها يجفف ويحفظ للاستهلاك زمن الشتاء .

(123) تين مجفف

(124) بلاد القبائل الكبرى

(125) جبال الظهرة

(126) جمع « زمالة » وهي فرقة مستقرة من الفرسان العرب وممن يتبعهم من المماليك والرعايا .

(127) اي كبر عددهم

(128) القمـــح والشعيـــر

(129) الخنق هو وسيلة الأعدام الوحيدة بالنسبة للأتراك سواء اكانوا باشوات أو جنودا .

(130) 1787 م .

(131) 12 يوليو 1791 م .

(132) غرفة استحمام .

ذكر ولاية
حسن باشا

في 10 قعـدة الحـرام سنة 1205 (1)

ولما استقر بالملك ، عين حفيده مصطفى خزناجيا ، وكان رجلا كريما صالحا ، متغفلا ولا يفعل شيئا الا بامر خاله . لأن هذا حسن باشا كان عارفا ، عاقلا وله فطانة في الامور . غير انه في بعض الاحيان كان يعتريه الحمق حتى يفعل أمورا لا تصادف محلا .

الحرب مع السويد وأمريكا

وفي صفر من سنة 1206 (6) نقض المهادنة بينه وبين السويد ، وأمر قنصل المريكان (7) بدفع ما عليه من المغرم ، وضرب له أجلا عشرين يوما . فان لم يدفع ما عليه ، فيوم الواحد والعشرين يأخذ ما وجد من مراكبه في البحر . ولما مضى الأجل أمر بتجهيز مراكبه الجهادية . فلما كان يوم السفر ، طلع اليه الحاج محمد (بالفتح) القبـطان ومعه رؤسـاء المراكب لتوديعه فودعوه ، ودعا لهم ، وتاخروا عنه ، ثم نادى القبطان وأسر اليه في اذنه قـائلا : اذا وجدتم مـراكب الاميركـان بعد كذا فخـذوهم . وكان من عادة رؤساء المراكب الجهادية انهم يوم السفر يودعون الامير ، وبعد الخروج من عنده يذهبون لزيارة الولي الصالح القطب الناصح ، سيدي عبد الرحمن الثعالبي نفعنا الله به . ثم يذهبون لزيارة الولي الصالح سيدي علي العباسي نفعنا الله به آمين . ومن هنالك يذهبون مقابلة لباب الجهاد يودعون وكيل الحرج ، ثم يذهبون لمراكبهم .

والحاج محمد القبطان ، عندما ودع وكيل الحرج (8) ، سأله عما أوصاه الأمير ، فقال له أوصاني ان لقيت مراكب الأمير كان ، بعد سفري بكذا وكذا

ان ناخذ ما وجدت منها . فقال له وكيل الحرج : خذ ما وجدت منها ولا تراعي الأجل ، ولا تعمل بما اوصاك به الأمير . فقال له : السمع والطاعة . وقد ظن القبطان ان وكيل الحرج تكلم بمراد الأمير . وانه غير رايه بعد فراقه . فطلع لسفنه وسافروا من حينهم . وبعد ثلاثة او اربعة ايام ، وجد مراكب من جنس الأمير كان فاخذها . ورجع للجزائر ، فلما وصل خرج اليه قائد المرسى ، فاخبره بان هذه المراكب غنيمة من جنس الاميركان ، اخذتها في الغرب ، واوصلتها الى المرسى ثم نرجع لنكمل سفرتنا . فذهب قائد المرسى للأمير ، واخبره ، فقام وقعد في موضعه ، واعتاظ كثيرا على القبطان ، وامر بقبضـــــه .

علـــي بــرغــل :

فلما ذهبوا لقبضه سمع وكيل الحرج فطلع لدار الامارة والتقى مع الباشا في تلك الساعة وقال له : اني سمعت بانك اغتظت من القبطان وامـرت بقبضه فها انا بين يديك افعل بي ما تشاء ، فانا الذي امرته باخذ سفن الامير كان ، ظنا مني اننا نفوز باخذه قبل ان يجمع مراكبه .

واما الذي ذهب للقبض على القبطان ، فانه لما وصل لجفنه امره بالنزول لملاقاة الأمير ، فتكلم له جميع الغزاة وقـــالوا : ان القبـــطان لا ينزل لأننا مسافرون الآن ، فارجع الى الأمير وبلغ له سلامنا وقل له يدعو لنا بخير وعندما نكمل ايام السفر ونرجع فانه يلتقي معه . فذهب الرسول واخبره بما وقع وبلغ له سلام الغزاة ، وكان قد سكن غضبه على القبطان واشتد غيظه على وكيل الحرج . فسافرت المراكب في تلك الساعة . ووكيل الحرج رجع لباب الجهاد .ومن الغد امر بنفي وكيل الحرج لبر الترك مع مركب كان ذاهبا في ذلك اليوم ، واعطاه جميع ماله في داره . فلما سافر من الجزائر وبعد عن مرساها ، ظهر للأمير قتله ، وصاروا يجعلون الاشارات من برج الفنار اولا بومضات ، فلم يرجع المركب ولا التفت الى الاشارة . فاطلقوا له مدفعا من غير كور (9) فبقي ذاهبا ، فزادوه مدفعا بالكورة فسار ولم يرجع ، ووصل الى استامبول ونال رفعة هنالك . وبعد ذلك قدم الى طرابلس . وثار على صاحبها ، واستقل بملك طرابلس . ولما سمع به حسن باشا دخله الرعب منه ، وبعث لصاحب تونس (10) وامره ان يتـــحرك (11) لطرابلس ليعين صاحبها القديم ، ويقول له اني اردت ان امـــدك بما تحب ، وكان صاحب

طرابلس المبعد قد استعان بصاحب تونس ، فخرجت محلة من تونس وذهبت الى طرابلس . واعانت صاحبها ورجعت لتونس . ولما بلغ خبر هروب علي برغل لمصر الى حسن باشا . كتب الى حمودة باشا يشكره على فعله .

والذي سمعت من كبراء بلدنا « الجزائر » الذين يعرفون علي برغل هذا ، هو انه رجل عاقل ، كريم ، منصف للحق ، حتى انه القى بنفسه للموت في قضية القبطان الذي اخذ مراكب الأمير كان . ولو لم يفعل ذلك لكان الأمير يقتل القبطان . وهذا القبطان لا يجود الزمان بمثله في الجهاد رحمهم الله . وقد تقدم ذكره في قتال الصبانيول وغيرهم . وبعدهان أخذ مراكب عديدة من الأمير كان وغيرهم ، رجع للجزائر بغنائم لا تحصى ودخل الجزائر في يوم مشهود ، وامتلأت أيادي الغزاة ، بالدراهم والحوائج .

فتـــح وهـــران :

وفي سنة الست (12) فتح الباي محمد (13) وهران من يد الاصبانيول وكان محاصرا لها ، واطال الحصار عليها ، حتى سلموا وخرجوا منها ، وجاءت البشائر للجزائر بفتحها ، وانتقل الباي محمد اليها وسكنها وصارت مسكنا للبايات من بعده . ودخل الناس اليها وعمروها ، وبنيت فيها المساجد (14) .

وبعث حســـن باشا ، بشارة فتح وهران ، ومفاتيحها الـــى السلطان سليم (15) ولما وصل الرسل الى استامبول ، وقابلوا الوزير ، وبلغوا له الرسائل بلغ الوزير البشارة للسلطان ففرح بذلك واستبشر المسلمون بهذا الفتح العظيم والنصر المبين . ولـــما استراح الرسل سرحـــهم السلطان وأكرمهم ، ووجه معهم لحسن باشا الخلعة والتقليد .

(هنا ترك المؤلف ستة سطور بيضاء)

مـوت محـــمد بـــاي :

ان البايات كانوا يدنشون (16) كما اسلفنا كل ثلاثة سنين فقدم الباي محمد بعد فتح وهران بأيام ، كما هي العادة ، فلما اكمل ايام الضيافة بعد الثمانية ، خرج من الجزائر مكرما على أحسن حال ، فلما وصل الى السائح بن خضرة كبير أولاد قصير ، وهي قبيلة كبيرة ، قريبة من قرية مزونة ، توفي الباي هنالك ، وحمله أولاده ميتا الى وهران رحمه الله ولما بلغ خبره الى الأمير أولى مكانه ابنه الباي عثمان . وقيل في موت الباي محمد ان حسن باشا بعث اليه من سقاه سما . وقيل انه مات فجاة ، لأنه مات من غير مرض .

وعندما استقر الباي عثمان بوهران امر عماله وقواده بان يرحلو اليها من بلد معسكر ويسكنوها ، فامثلوا امره ورحلوا كلهم وسكنوا وهران وعمرت البلد وكثر بها البيع والشراء ، وتصدها التجار من كل بلد .

قضية صالح باي قسنطينة :

وفي فصل الصيف من هذه السنة قدم باي قسنطينة صالح باي ، واتى معه باموال لا تحصى ، ودخل الجزائر في يوم مشهود ، ومن عين الربط وهو يوزع الضبلون (17) للفقراء وغيرهم حتى دخل دار الامارة ، واعطى مالا كبيرا للأمير ، من غير حصر ، ولأهله . وليلة من الليالي ، اخذه الباشا معه لداره ، وضيفة (18) ولم تكن هذه عادة الأمراء ، واعطى في تلك الليلة مالا لا يحصى عدده وخصوصا الى بنت الأمير . وعندما كملت أيام الضيافة كما هي العادة ، وودع الأمير ، البسه الأمير عمامة مبرجة مثل الخواجة (19) وجعل له فيها ريشة من الذهب ، يسمونها باللسان التركي « تشانك » ولبس العامة ليس من لباس البايات . لأن البايات يلبسون الشدود بالحرير والذهب فلما البسه العمامة ، فهم منه انه يريد قتله ، والعمامة علامة كفنه ، فلما انفصل من عند الأمير وركب فرسه ، أمر الأمير باش زرناجي (20) بان يضرب النوبة على نغمة « لا حال يدوم » ومن عادة وزراء الجزائر عندما يسافرون ، تضرب النوبة من ورائهم ، والصناجق أمامهم مدة سفرهم .

وصالح باي هذا ، هو الذي كان سببا في قتل خزناجي محمد باشا المتقدم ذكره.وبنت هذا الخزناجي كانت تحت حسن باشا قبل ولايته ، ولما مات محمد باشا وتولى حسن باشا ، طالبته زوجته بقتل صالح باي لتاخذ بثار ابيها والحت عليه في ذلك . الى ان راي عزله . وكتب الى آغة النوبة بقسنطينة بان يقبض على صالح باي ويسجنه . وبعث قائد سباو الى قسنطينة بايا مكان صالح . وذهب معه اربعون رجلا من عمراوة . فلما قبض (آغة النوبة) على صالح باي وسجنه ، بعثوا للمتولى الجديد وكان خارج قسنطينة ، فدخل البلد وجاءه كبراؤها وكافة العمال وقرأوا كتاب الأمير ، ولبس الخلعة العثمانية . ثم كتب الباي الجديد للأمير واخبره بسجن صالح باي ، ودخوله هو الى المدينة واعطى الكتاب لباش سيار ، وامره بالذهاب الى الجزائر فذهب لحينه .

بعد ذلك اتفق من رأى جماعة صالح باي وقرابته من المخزن (21) ، بان طلعوا للسراية عند الباي الجديد وقتلوه وصاروا ينادون على رجال عمراوه الذين جاؤا معه واحدا بعد واحد ، على أن سيدهم يدعوهم،وكلما دخل واحد

منهم قتلوه ، وهكذا قتلوهم عن آخرهم وطلعوا للقصبة الى صالح باي واخرجوه من السجن،وذهبوا به الى موضعه دار (الباي) كما كان . أما السياز الذي ذهب الى الجزائر فانه عندما خرج من البلد اختفى خارجها ، لأنه كان على علم بذلك . فلما وقع ما وقع ، اقاموا اياما كذلك وحسن باشا يراقب قدوم السيار صباحا ومساءا . فلم يظهر له اثر . فعند ذلك تحقق عنده انه قد وقع شيء في قسنطينة وكان خائفا من الباي صالح ان يثور عليه.وكان الامر كذلك . فلما سمع بثورته ، وقتل الباي الجديد ، بعث محلة وفيها صهره علي (وكيل الحرج) وبعث معه الوزناجي با ي‌تيطري ، على أن يتولى بايا بقسنطينة ، بعد الظفر بصالح باي . فلما قربت المحلة من قسنطينة ، قبض عل ى‌صالح باي اهل دائرته (22) واخبروا بذلك وكيل الحرج ، فدخل ومعه الوزناجي وقتلوا الباي صالح رحمه الله تعالى وتولى الوزناجي مكانه ، وحمل وكيل الحرج جميع الأموال ، والأثاث الرفيع والسلاح الثمين ، ما وجده في الخزنة ، وما وجده في داره ، من اموال ومصوغ ، وهذه الأموال كانت تقرب ما في خزانة الجزائر ، لكون هذا الباي طالت مدته في الملك ، وساعدته الأيام ، وكان قد وقع الغلاء في بر النصارى ، وكانوا يوسقون القمح والشعير من عنابة سنين عديدة ، حتى صار الباي لا يقبل الدورو من النصارى ولا الضبلون المعهود بيننا ، عندما تعمرت خزائنه ، فامرهم بان يجعلوا له ضبلون فيه ماية ضبلون ، فامتثلوا امره ، وصنعوا له مثل ما امرهم . ولما استقر الوزناجي بقسنطينة واطاعته الرعية ، رجع وكيل الحرج بالمحلة .

ومما يحكى عن صالح باي ، انه كان يرفق بالرعية ، ويحسن للفقراء ، محبا للعلماء والصالحين ، وكان له حرث كبير ، وانعام كثيرة يستعين بها على شؤونه المخزنية ، وبني مسجدا بقسنطينة وصرف عليه اموالا قل نظيرها ، وجعل له اوقافا كثيرة . وبنى مسجدا بعنابة ، وكلها للخطبة ، وكان مجاهدا ، وله مآثر حسنة . وقد تقدم الكلام عن بعضها ، واسمه طابق مسماه رحمه الله . انظر اليها المعتبر في امر هؤلاء ملوك الاتراك كيف يقتلون رجالهم ، وخصوصا خيارهم . والعجب كيف يقتل رجل مثل هذا ، لأجل خاطر زوجته على ما قيل والله اعلم (23) .

الحرب ضد الفلامنك (24) :

وفي سنة 7 (25) خرجت المراكب الجهادية سبعة اجفان بقصد الغزو ، والحاج محمد القبطان معهم، واخذوا عشرين مركبا من مراكب الفلامنك ،ورجعوا للجزائر بهذه الغنائم ، وباعوا السلع والأثاث التي وجدوا في المراكب وقسموا

اموالها (26) فكان كل قسط ثلاثون سلطانيا ، وامتلأت ايدي الغزاة . وفي سنة 8 (27) خرجت المراكب الجهادية الى البحر الكبير (28) أيضا ، واخذت للفلامنك مراكب عديدة أيضا ، بها السكر والقهوة وغيرها من السلع ، حتى صار السكر لا يباع ولا يشتري ، وقيل أنه بالاسواق سبعة دراهم للرطل ، وجعل رؤساء المراكب بدائي (39) بشاربات السكر في الزقاق ، يسقون الرجال والصبيان منه . ولما تم بيع السكر وغيره من السلع ، قسموا الدراهم على الغزاة ، فكان كل قسم 24 سلطاني .

الصلــح مــع الأمريكــان :

وفي آخر السنة ، قدم الأمريكان يطلبون المهادنة مع الأمير ، بواسطة بعض الأجناس (الدول) فطلب الأمير ثلاثة ملايين دورو ، ومراكب جهادية : فوقع التشفع للأمير ، على أن يخفض له نصف مليون دورو . ويدفع زوج ملايين ونصف ، فرضي الأمير بذلك . ومع الدراهم ثلاثة مراكب جهادية . وعند ذلك عقد الصلح ، وضربوا الأجل ليأتي بالمال والمراكب ، فلما قرب الأجل دفع لهم المال ودفع المراكب : فركاطة وبلاندرة ، وثلاثة سكاكين بآلة حربها .

الحــرب ضد جنــــوا :

وفي سنة 1209 (30) ، أمر الأمير بتجهيز سبعة مراكب جهادية وعندما كانت خارجة ، أمر الأمير القبطان بان يسافروا لناحــية جنوة وسردانية ويأخذوا مراكب الجنويين والسارد فاخذوا عشرة مراكب سارد وبعضها جنوي ، وعندما اتموا أيام سفرهم قدموا للجزائر وقدموا امامهم الغنائم . ولما باعوا تلك الغنائم قسموا المال فكان ثمانية سلطاني لكل احد .

الحرب ضد النابوليتان (31) :

وبعد قسمة الغنيمة ، سافرت المراكب الجهادية بقصد جنس النابوليتان ، فغنموا منه ثمانية مراكب ، ورجعوا للجزائر سالمين غانمين والحمد لله . هكذا سمعت من لسان الحاج مصطفى وليد عيسى وقال وهو ممن حضر اخذ هذه الغنائم : ركب حميدو (32) بركنتي قرصان ، وسافر فيه الى ناحية جنوى ، فالتقى مع بركنتي جنويز ووقع القتال بينهم ثم انزل الله نصره على المؤمنين وهجموا عليه وأخذوه ، ورجع به الى الجزائر .

الحرب ضد البرتغال وغلطة كبرى :

وفي سنة 11 (33) سافر الرايس محمد بن زرمان في الكريبط (34) الذي اعطاه الفرنسيس في مقابلة الشيطة التي خرقها النابوليطان ، وسافر ابن

زرمان بقصد الغزو على البردقيز ، فلما دخل الى البحر الكبير ، التقى مع زوج فراقط ، وكريبط وبلاندار ، ومركب صغير بصاري واحد يسمونه الكوطر (35) وقيت العشاء ، فظهر للمسلمين ان تلك المراكب انما هي مراكب البردقيز . والانكليز شاهدوا من جهتهم كريبط فرانسيس ، ووقع بينهم القتال الى نصف الليل . نحو الخمس ساعات . ثم ان النصارى سمعوا كلام المسلمين ، فعند ذلك نادوهم : من تكونون أنتم ؟ قالوا نحن انكليز . فقالوا له : وكيف وأنت صديق وتقاتلنا ؟ فقالوا : المركب مركب فرنسيس ، وأنا عدو مع الفرانسيس ، فلذلك قاتلناكم . ثم انزلـــوا زوارقهم ، واتوا اليهـــم بالأطباء ، واشتغلوا بالمجروحين . والأموات ، فمن استشهد رموا به الى البحر ، ومن استحق القطع في يده أو في رجله قطعوه . ومن لم يستحق القطع جعلوا له الدواء . وانا رايت رجلا من الأتراك قطعت له رجل واحدة ، وضعوا مكانها عمودا فهو يقف على العمود ويشتغل في خدمته صناعة الحديد . ثم أتوا بالنجارين والبحرية واشتغلوا بترقيع الكريبط ثلاثة أيام حتى اصلحوا ما فسد منه ، واعطوهم ما يخصهم من آلات الحرب . ثم افترقوا بعد ثلاثة ايام .

فسافر ابن زرمان الى ناحية بـــر الغرب ، وكان ظـــهر له انه اذا رجع للجزائر يقتله حسن باشا لما يعلم من حماقته . فقرب للبر وامر بانزال زورق فانزلوه وحمل سلاحه ، وقال لباش رايس : انا اذهب لتلك الجزيرة لأنظر الهواء بين الجزر ، فذهب للبر ، ولما نزل قال لمن معه في الزورق : اذهبوا للمركب ، وعندما تجدون الريح مناسبة ارجعوا للجزائر . فرجعوا للمركب واخبروا الغزاة بذهاب الرايس ، وبما أمرهم بالذهاب الى الجزائر ، فرجع الكريبط للجزائر والرايس ذهب للمغرب وأقام هنالك الى أن مات حسن باشا .

وعندما وصل الكريبط الى الجزائر وعرفوه ، ولم يروا الصاناجق (36) ظنوا أن الرايس مات ، فلما وصلوا وعرفوا القضية قال الأمير : لو اتى لقتلـــــته !

وبعد يومين او ثلاثة أيام ، جعل (الأمير) رايسا للكريبط . وانشأ زوج بركنتي ، واحدا باربعة عشرين مدفعا ، والثاني بستة وثلاثين مدفعا . وانشأ زوج بلاندرات ، بكل واحدة أربعة وعشرون مدفعا .

اهم الحوادث التي لم يذكرها المؤلف

1 ــ حسن باشا هو مجدد مسجد كتشاوة او مسجد رحبة الماعز . الذي اغتصبه الفرنسيون أول عهد الاحتلال ، وجعلوه كاتدرائية . واسعدني الله

بان استرجعته منهم أول أيام الاستقلال . وبنى الدار البديعة الملاصقة له ، والتي أصبحت فيما بعد دار الحاكم العام الفرنسي ، واتخذت منها بعد الاستقلال مقرا لوزارة الاوقاف الجزائرية .

2 ـ قدم حسن باشا قرضا لفرنسا قدره خمسة ملايين فرنك ذهب دون فائض .

3 ـ استرجع مرسى القالة من فرنسا . بعد أن ضيق عليها باي قسنطينة

4 ـ سلم الجزائريون للمغاربة مدينة وجدة ، بعد أن بقيت مدة طويلة ضمن بلاد الدولة الجزائرية وذلك سنة 1210 (1795)

5 ـ تولى الامارة أيام السلطان سليم الثالث . وفي أيام هذا السلطان كثر ضغط الجيش الانكشاري على الدولة ، والفتنة ضد النظام العسكري الجديد . وقد شجع شيخ الاسلام هذه الفتنة وحرض عليها ، بدعوى ان الأخذ بالنظام العسكري الأروبي الحديث ، كفر وردة

6 ـ كان القاضي الحنفي في أيامه الشيخ محمد بن عبد الرحمن . والقاضي المالكي الشيخ الحاج علي بن عبد القادر ثم الشيخ محمد بن الشاهد ثم الشيخ محمد الخوجة ثم الشيخ محمد بن علي ثم الحاج محمد بن مالك .

التعاليق

(1) 1205 (1790)

(2) من أكبر مغامري الجيش التركي بافريقيا . وكان له بعد حوادثه بالجزائر ، وقائع كبيرة في بلاد طرابلس ، امتدت جذورها الى البلاد التونسية .

(3) يقدمون للأمير تحية الصباح .

(4) لاماكن حكمهم وعملهم

(5) قصر الجنينة البديع ، الذي كان واقعا على يمين ساحة الشهداء اليوم . وقد أحرق أيام احتلال فرنسا للجزائر . والساعة الكبيرة التي كانت على واجهته ، هي الموضوعة اليوم على رأس منارة الجامع الحنفي الكبير ، الذي يدعى الجامع الجديد .

(6) 1206 (1791 م)

(7) دولة الولايات المتحدة الأميركية

(8) وكيل الحرج ، أحد وزراء الدولة الجزائرية العثمانية وهو المكلف بكل الأمور البحرية .

(9) الكور في الاصطلاح الجزائري هو القنابل (وصحيحها : القنابر)

(10) جوُدة باشا من أشهر ملوك العائلة الحسينية — وكان السبب في عودة الحرب بعد ذلك بين تونس والجزائر كما سيمر بك .

(11) أي يرسل حركة عسكرية

(12) 1206 (1791)

(13) من أشهر وأعظم بايات الاتراك بالولايات . راجع ترجمته الثرية في كتابنا : محمد عثمان باشا ، داي الجزائر : ص 158

(14) ومنها مسجد « الباشا » الشهير وهو تحفة فنية وقد بني بعد الفتح بقليل ، ودعي مسجد الباشا تخليدا لذكر الداي حسن باشا رحمه الله .

(15) هو السلطان سليم الثالث ، الثامن والعشرون من آل عثمان ، وهو الذي احتفلت الجزائر وكل البلاد العثمانية بميلاده كما تقدم في الصفحة الأولى من الكتاب (تولى سنة 1203 (1789) وخلع سنة 1222 (1807)

(16) الدنوش في الاصطلاح الجزائري هو دفع الباي كل ثلاث سنوات للضرائب والاتاوات المفروضة عليه لخزينة الدولة كما سبق تفصيله .

(17) الضبلون قطعة فضية كبيرة تمثل اثنين من قطع الدورو

(18) أي أقام له مأدبة ضيافة

(19) جمع خوجة . وهم كتاب ورؤساء كتاب الدولة والدواوين

(20) أي رئيس الفرقة الموسيقية التقليدية التي تعزف ألحانها بواسطة « الزرنة » وهي ناي متطور . ولا تزال تستعمل الى الآن بالجزائر .

(21) المخزن كلمة عربية بمنية قديمة ، ادخلت في الاصطلاح العثماني ، ومعناها الحكومة أو الدولة ، وتستعمل بنفس المعنى في المغرب الاقصى .

(22) أي خاصته ورجال ديوانه . وهم الذين كانوا تولوا كبر المقاومة والعصيان ، وحثه على الثورة

(23) ربما كان لزوجة الباشا ضلع في عزل صالح باي والله أعلم ؛ أما مقتله فلأجل الفتنة والعصيان كما تقدم . وقد بينا ذلك بجلاء في كتابنا : محمد عثمان باشا — فليرجع اليه من أراد .

(24) نسبة الى بلاد « الفلاندر » وكانت ولاية ممتازة ضمن هولاندا النمساوية . قبل تكوين الوحدة الهولاندية الحالية .

(25) 1207 (1793)

(26) بعد دفع الخمس لبيت مال المسلمين بالجزائر . وتلك كانت قاعدة السفن الجهادية من البداية الى النهاية

(27) (1794)

(28) المحيط الأطلسي

(29) ــ البراميل ــ ويقال لها في الجزائر : البتية جمع بتاتي

(30) 1209 (1794)

(31) أهل دويلة نابولي ، وقد سبق ذكرها

(32) هو الرايس حميدو بن علي الجزائري أشهر رجال البحر الجزائريين

(33) 1211 (1796)

(34) سفينة حربية تدعى بالفرنسية « كورفيت »

(35) تدعى بالفرنسية « كوتر »

(36) الرايــة .

ذكر ولاية مصطفى باشا

في قعـدة سنـة 1212 (1)

ولما توفي حسن باشا ، تولى حفيده مصطفى الخزناجي ، وكان رجلا صالحا ، حليما كريما محبا للعلماء والصلحاء رحيما بالفقراء والأيتام ، محبا للمجاهدين والغزاة وكان شجاعا رحمه الله .

ولما استقر بالملك ، أولى مصطفى آغة ويعرف ببقار خزناجيا ، وأولى الحاج علي آغة في مكان الآغا الذي تولى خزناجيا . وكان هذا الخزناجي (مصطفى آغة) مبغضا للعرب محبا لليهود . وعزل الحاج عمر باش كاتب صهر حسن باشا ، واعتقله أربعين يوما ، وصادره بأربعين الف محبوب ، ثم اطلقه من السجن وأولى مكانه باش كاتب : حسن العنابي .

قصة الباش كاتب المعـزول :

وسبب اعتقال الحاج عمر ومصادرته ، هو أن مصطفى باشا ، عندما كان خزناجيا ، تزوج من صهرة خاله حسن باشا ، بعد ذهاب علي برغل المتقدم ذكره . فعندما دخل بها ، وأراد منها ما يريد الرجال من النساء ، قيل أنها دفعته برجلها . ولم يظهر لها فيه (2) ، لأنها كانت جميلة ، وكان زوجها المنفي (علي برغل) ، مثلها في الحسن . وكـانا متحابين . فلما نفي زوجها ، وطلقوها منه طلاق الأكراه وزوجوهـا مـن هـذا الرجـل لم يظهر لها فيه فطلقها . فعندما مات خاله ، صادر الحاج عمر الباش كاتب لكونه خالها . هذا على ما قيل . وقيل أنه فعل ذلك بغضا للخزناجي لأنه كان صهر الأمير . ففعل به ذلك (3) .

واما مصطفى باشا ، فانه كان حليما . والخزناجي كان متجبرا صائلا واظن انه لولا حلم الأمير ، لكان فتك به قتلا .

خلاف كبير مع الدولة العثمانية :

وعندما استقر بالملك ، عين الحاج يوسف وكيل الحرج . وكاهيته الحاج مصطفى ، وأصلهما من اعـلاج (4) الصبانيول ، وأمرهـما بالسفر للدولة العلية وحملهما هدية للسلطان ولاهل دولته . فلما وصلوا الى استامبول ، انزلوهم كما هي العادة ، وبعد ذلك ظهر للسلطان واهل دولته أن لا يقبلوا منهم تلك الهدية . وقالوا لهم : انكم استوليتم على بعض مراكب الكريك (اليونان) وهم من الرعايا العثمانيين ، وبعثنا لكم لتردوا ما أخذتم فامتنعتم ، وأدعيتم عليهم شيئا وأبقيتم السفن عندكم . ثم ان رجـال الدولة العثمانية ثقفوا (حجزوا) جميع ما أتوا به ، كما ثقفوا جميع أموال التجار الذاهبين معهم . وأخرجوهم من بيوتهم ، وطبعوا البيـوت (أي وضعوا علـيها الأختام) . وسكتوا عنهم . فرجع الكاهية **الحاج مصطفى للجزائر** ، وحمل معه مالا آخر وكتبا ، ولما وصل دفع لهم المال .

غــزواته الاولــى :

جهز أولا خمسة مراكب جهادية وأرسل بها الى بغاز (مضيق) الكورنة(5) فلاقوا ثلاثة مراكب من جنس الكريك (اليونان) وأخذوا ما بها ، وباعوه في الكورنة ، والمركب الثالث محمل فحما . وأتوا بالسفـن الى الجزائر ، ثم قسموا مال الغنائم فكان كل باي (قسم) عشرة دورو (6) أما السفينة البلاكرة من سفن الغنيمة فقد عمرها الامير بالمدافع وسماها « الزبنطوطة » وجعل لها رائسا ، وأخذ بها غنائم كثيرة .

وبعد اقامة خمسة ايام بالجزائر ، رجع الغزاة الى ناحية اسبانيا ، فالتقوا مع الكريك (اليونان) فتلاحموا معهم ، وكان جملة ما غنموه ثمانية عشر مركبا محملة بالقمح وانواع السلع ، ونزلوا بتلك الغنائم بعدما رجعوا للجزائر وعمروا دكاكين بابستان (7) واقاموا أياما وهم يبيعون الغنائم ولم ينتهوا من ذلك الا بمشقة . وعندما تم البيع ، وجمعوا الدراهم ، قسموا 22 سلطاني لكل واحد .

مــرتب قــار للبحــارة :

ثم ان الأمير تشاور مع القبطان الحاج محمد علي البحارة ، فاتفقا على ان يكون لكل بحار راتب قار هو 4 بجة . وكتـب (سجل اسماء) البحرية .

واستمروا على ذلك الراتب الى أيام حسين باشا ، وانقطعت الغنائم ، فزاد في راتبهم زوج بجة .

الحرب ضـــد النابوليطان :

في سنة 13 (8) امر الامير بتجهيز سبعة مراكب جهادية وامر قبطان تلك العمارة بالغزو على النابوليطان . فلما وصلوا الى بر سيسيليا وقربوا من الارض ظهر لهم مركب بازاء حصن ، وتعذر الدخول على المراكب ، فشحنوا زوارق المراكب بالغزاة وآلة الحرب ليخرجوا ذلك المركب من المرسى . فلما رآهم النصارى هربوا لذلك الحصن . ولما وصل الغزاة الى المركب وجدوه فارغا فاحرقوه ، وصار اهل الحصن يضربونهم بالكوز (9) . فاتفق من راي الغزاة ان يغزوا ذلك الحصن ، واصحابه يرمونهم بالمدافع ، ولما راى اصحاب الحصن ان المسلمين قد اقتربوا منهم ، هربوا وتركوا الحصن فارغا ، فدخل اليه المسلمون ونهبوا ما فيه . وكان النصارى قد تركوا بعض البارود خارج الخزنة ، فاجتمع بعض الناس ليحملوه ، فاتى شاوش (10) من شواش العسكر لينظر ما تفعل تلك الجماعة ، فلما قرب منهم ولم يلتفتوا اليه ، اطلق نار بندقيته على الارض ، ولم يكن له علم بالبارود ، فاشتعلت النار ، واحترق بعض الناس ، ودهش الذين كانوا باعلى الحصن ، فلما اطلعوا على القضية ، حملوا من احترق بالبارود ، وحملوا ما قدروا عليه من الآثاث ، وآلة الحرب ، وافسدوا المدافع ، ثم رجعوا لزورقهم . وعند عودتهم وجدوا مركبا صغيرا لاهل مالطة ، محملا بالجبن والكتان . فحملوا الجبن ، واحرقوا المركـــب والكتان ، ثم رجعوا الى سفنهم .

ومن الغد تلاقوا مع سفينة وفركاطـــة (11) اما مراكب المسلمين فكانت فركاطة وكربيط ، وشيطة ووقع بينهم القتال ثلاثة أيام دون انقطاع ، لقلة الريح ، وفي اليوم الرابع افترقوا سالمين . والقي اللـــه الرعب في قلوب المالطية فما قدروا عليهم . ومن هنالك ذهبوا لتونس ، فوجدوا اخوانهم الذين سبقوهـــم .

الحرب ضد البرتغـــال :

وفي سنة 14 (12) ، خرجت سبعة مراكب بنيـــة غزو البردقيز ، وكان جنس المناسة قد بدل بنديرته (علمه) وجعل بنديرة اخرى ، فلقي المسلمون مراكب للمناسة (13) فغنموها ، لأنهم وجدوهم من غير بنديرتهم الأولى واتوا بها للجزائر ، وباعوا ما وجدوا فيها من السلع ، واقتسم الغزاة مال الغنيمة .

فلما سمع الامبراطور بذلك اشتكى للسلطان سليم ، فبعث هذا قبجي باشي الى الجزائر وبيده فرمان (14) لمصطفى باشا ، ليرد مراكب المنامسة فلما وصل قبجي باشي ، والتقى مع الباشا وقرا الفرمـــان ، اطلق النصارى من الأسر ، وكتب للسلطان بان الغنائم اقتسمها الغزاة وهؤلاء الناس . ورجع القبجي باشي بالجواب والأسرى الى اصطامبول .

وفي هذه السنة خرج الرايس ابن طاباق (15) في سفينة البركنتي الكبيرة ، وعليها ستة وثلاثون مدفعا ، فلقى سفينتين للبردقيز . وهما بلاندة وسكونة ، فقاتل البلاندة واخذها ، وهربت السكونة ، فلحقها تحت برج برصلونة . من بلاد الاسبانيول ، وعليه ثلاثمائة مدفع . وصار أهل البرج يضربونه بالمدافع ، وهو راغب في أخذ السفينة ، فعندما لحقها ، أرسل اليها البركنتي فاغرقها ثم رجع للبلاندة ، وحمل منها الأسرى النصارى ، ورجع للجزائر .

بـــطولـــة حميـــدو :

وفي سنة 15 (16) ، خرج القبطان حميدو للغزو في فركاطة .فلما وصل قرب قاب كطة راى فركاطة أكبر من فركاطته ، وكانت للبردقيز الذين خرج لقتالهم . فلما قرب منها قربا بعيدا عن القتال رفعت الفركاطة البردقزية علم الانكليز ، فأمر القبطان حميدو رحمه الله برفع الصناجق ، والعلم الذي يحمل رسم الفرس ، وهو خاص بالقبطان الكبير ، واطلق مدفعا بالكور ، فلما عرف البردقيز انه حميدو لأنه يعرف براية الفرس ، انزل علم الانكليز ورفع علم البردقيز ، واطلق مدفعا على سفينة حميدو .

وكان الغزاة متهيبين قبل ذلك . فنادى القبطان علي جماعة الغزاة وقال : هذه فركاطة بردقيز نطلب أن تكون غنيمة لنا ان شاء الله . وقال انه يدفع للعدول الذين يبتدأون الهجوم على مركب العدو أولا ، الى حد العشرة قيمة نصراني لكل واحد ، وعليكم بالصبر والثبات ، وأمر الغزاة برفع أكفهم الى الله تعالى ، يدعونه ، فرفع المسلمون اكفهم وتضرعوا الى الله تعالى ثم ان الله افرغ عليهم صبره ، فاقتربوا من سفيـــنة البردقيز ، وابتدأو القتال ، والقبطان واقف على الكرسي (17) وعليه آلة حربه ، يشجع المجاهدين ، ويأمر صاحب الدمان (18) بان يقترب من العدو حتى تلتصق السفينتان ، فتم الأمر كذلك . ومن الوفاق الالهي ان دخل مخطاف الفركاطـــة في مخطاف الاخرى ، حتى صارا كانهما مركبا واحدا . وأراد النصارى أن يفرقوا بين المركبين فلم يستطيعوا . واخذ المسلمون سيوفهم في ايديهم وهجموا على

مركب العدو ، فوجدوا انه وضع شبكة على المركب . فعند تقطيعها استشهد بعض المجاهدين وجرح آخرون ، وعندما قطعت الشبكة ودخلوا للمركب والسيوف بيدهم ، هرب النصارى لأسفل الفركاطة ، ومن اظهر الشجاعة منهم قاتلوا المسلمين ، ثم دخل كافة الغزاة واخذوا الفركاطة وقبضوا على النصارى ورفعوا بعضهم لفــركاطة القبطان حميدو وبعضهــم تركوهم في فركاطتهم ووضعوا القيود الحديد في ارجلهم ونهبوا ما فيها من حوائج النصارى

وقد رايت مصطفى الرايس ، وبوجهه اثر البارود وهو اول من هجم على مركب العدو ، وهذا دليل على شجاعة القبطان حميدو ومن معه من الغزاة رحمهم الله تعالى ، وحشرنا مع زمرة المجاهدين .

ثم ان القبطان ، بعدما اخذ الأسرى ووضعهم في الاغلال امر باش رايس وهو دحمان وليد بابا شريف ، وكان رجلا شجاعا عــارفا ، ان ياتي له بحوائجه وما يلزمه من آلات السفر الى الفركاطة البردقيز ، وابقاه رائسا بها ، ووعده بركوبها حين يصل الجزائر ان شاء الله . وكان الأمر كما وعده . ثم ان القبطان طلع لمركبه وبقي وليد بابا شريــف هنالك ، وسافروا جميعا قاصدين الجزائر بهذه الغنيمة العظيــمة . فلــما راوا الجزائر امر القبطان (حميدو) وليد بابا شريف ان يعمر مدافع الفركاطة ويطلقها مدفعا بعد مدفع ، عندما يتم القبطان اطلاق مدافعه على تلك الصورة . ثم يستأنف القبطان الاطلاق وهكذا . وعندما اصبحوا امام الجزائر امر القبطان برفع الصناجق والعلم الذي فيه الفرس ، وابتدأ بضرب المدافع على الصورة السالف ذكرها . الى ان دخلوا المرسى . وعندما رآهم صاحب الناظور ، قدم للأمير واخبره انه رأى فراقط ، وانها تضرب المدافع على التوالي . وقد كان حميدو خرج بفركاطة واحمد رايس الزمرلي خرج في فركاطة اخرى وخروجهم كان مفترقا فتشعب عليهم الامر ، وامر الأمير صاحب الناظور أن يذهب ويحقق له امر الفركاطتين ، فذهب ورجع اليه بعد حين ، وقال له :اما من ناحية واحدة فانها فركاطة الرايس حميدو ، واما الأخرى فلم نعرفها ، ثم تلقاه قائد المرسى من بعيد ، واخذ منه الخبر ، ورجع للأمير واخبره بان حميدو أخذ فركاطة بردقيز ، فاعطاه بشارة كبيرة ، لكونه كان كريما ، واستبشر الامير ، واستبشر جميع المسلمين وذهب جميع الناس لملاقاته بحيث لم يبق في البلد الا العاجز ودخل في شهرة عظيمة كانه يوم عيد ، وتعجب الناس من صنعه لأنها فركاطة اكبر من التي كان فيها . وتحققوا انه لا نظير له في اقدامه وشجاعته . واهتز له الامير واهل دولته . واشتغل بعد نزوله المرسى بانزال الاسرى والذخائــر .

فلما اتم الأمر ذهب لملاقات الأمير والاسارى خلفه وعددهم نحو الخمسماية اسير ، وطلع في هياة حسنة ومشهد عظيم . فلما وصل عند الأمير ، وقبل يده دعا له وخلع عليه خلعة سنيـــة ، ثم خـــرج لداره ، وذهب بالأسرى لموضعهم مع اخوانهم المتقدمين في الاسر ثم ان الأمير احسن للغزاة ولكافة المجاهدين وامتلأت ايديهم بما أحسن به الأمير اليهم ، وبما غنموا من الغنيمة .

ثم ان الأمير خير القبطان بان يبقى راكبا فركاطته ، او يـــركب الفركاطة البردقيز فاختار بقاءه في فركاطته وطلب منه ان يركب في الفركاطة الأخرى وليد بابا شريف ، واخبره انه وعده بذلك ، فامضى له عهده ، وتولى وليد بابا شريف أمر الفركاطة البرتغالية .

غـــزو بلاد النابوليطان :

وفي سنة 16 (19) خرجت مراكب جهادية ومـــعها وليد بابا شريف في الفركاطة البردقيز ، الى ناحية قاروأوليا (20) من بلـــد النابلطـــان وانزلوا الغزاة في الزوارق بآلة حربهم ، وذهبوا للبر وغزوا علـــى رعية النابلطان فغنموا واتوا بثلاثماية وخمسين اسيرا منهم ستة عشـــر روميات بأولادهن ورجعوا الى زوارقهم ثم طلعوا مراكبهم في تلك الليلة ، وسافروا الى قابو باسطرو (21) فالتقوا مع سفينة بردقيز ، رئيسها السكر نيجة ، فعندما راى هذا السفن وتحقق انها مراكب الجزائر فر منها الى مسينة . ثم انهم لما اكملوا ايام سفرهم رجعوا للجزائر .

موقفه من استيلاء فرنسا على مصر :

ولما أخذ الفرنسيس مصر (22) ، وبلـــغ خبر ذلك الى مصطفى باشا ، استدعى القنصل الفرنسي وساله عن ذلك ، فاخبره بانهم اخذوها فاغتاظ الأمير لذلك ، وامر أن يجعلوا قيد الحـــديد برجله ، وان يخدم الحجر مع الأسرى واستدعى جميع قناصل فرنسا الذين بالجزائر مثل عنابة ووهران وعندما قدموا وضع القيود في أرجلهم مثل صـــاحبهم ، يخدمون الحجر ، وعندما بلغ خبرهم لفرنسا ، كتب رجالها للسلطان فبـــعث لمصطفى باشا ليطلقهم ، فرجعوا لبلادهم . وبقي مع الفرنسيس في العداوة الى أن فتح الله مصـــر .

وكانت المراكب الجهادية قد سافرت اثناء ذلك فالتقت مع اثنين من مراكب الفرنسيس فاخذوها غنيمة وبقي اصحابها اسارى الى أن وقع الصلح ، وقسم الغزاة تسعة عشر سلطاني لكل غاز منهم . ثم سافر قاره دنكزلي (23) في

سفينة بلا ندرة فلقي سفينة فرنسيس وهو قريب من قالص (24) فلما قربت سفينة الفرنسيس من البلاندرة ابتداها المسلمون بالقتال فاطلقت السفينة مايتي مدفع على البلاندرة غيضا عليها لأنها ابتدأت القتال والبلاندرة لا تضاهي السفينة ثم اخذها المسلمون ودخلوا بها الى قالص فقال رايس سفينة الفرنسيس للأسبانيول ، انهم أخذونـــي قريبا من بلادكم ، فابقي الاسبانيول البلاندرة عندهم ، ثم ارجعوها للجزائر ، وأما رجالها فقد ذهب بهم الفرنسيس الى بلدهم ولما وقع الصلح ، بعد الثلاثة سنين ارجعوهم للجزائر بعد أن اعطاهم البونابارتي (25) عشرة دورو وزوج كساوي ملف لكل واحد .

وخرجت بعد ذلك فركاطة من الجزائر بقصد الغزو ، ورايسها الحاج علي ططار ، فراى يوما من الأيام مركبا ، فجعل له اشارة لياتيه فلما راى المركب الاشارة هرب ، فزاد اشارة اخرى ، فزاد في الهروب فعندما لحقه ضربه بكورة مدفع ، فرقد المركب ، وجاء رائسه في زورق فلما طلع ساله عن جنسه فقال له فرنسيس فقال له : ولماذا هربت ؟ فاعتذر له ، فامر به فربطوه الى مدفع ، وضربه مايتي سوط . ثم أطلقه .

ومن عادة رجال البحر القرصان ، انهم اذا لقوا مركبا وجعلوا له الاشارة ولم ياتهم فانهم يلحقونه فيؤذونه . وهذا الرايس الفرنسيس قيل انه مات من ذلك الضرب . ورجعت الفركاطة بعد تمام سفرها .

وبعد ايام من ذلك ظهرت عمارة بحرية على مدينة الجزائر . فلما قربت رفعت راية الفرنسيس ، وكانت مؤلفة من اربعة عشر سفينة . وفي تلك الأيام كانت وقعت طريفوة (26) اي مهادنة بين الفرنسيس والانكليز . الى اجل معين . فلما ارست السفن ، ذهب اليها القنصل مـــع قائد المرسى ، فوجدوا فيها أخوي البونابارطي ، وقالا لهما اننا نريد مقابلة مع الباشا فرجعا ، واخبر الباشا بذلك ، ومن الغد ذهب القنصل ونزل مع الاخوين والتقوا مع الامير فاخبره الاخوان بما فعل الحاج علي ططار مع الرايس الفرنسي ، وانه مات من الضرب ، وساله عمن قتل نفسا عن عمد في دين المسلمين ، فقال له : القاتل يقتل . فقالا له : نطلب منك ان تحكم عليه بشريعتكم . ثم خرجا من عند الأمير لدار القنصل . وتالم الامير من هذه المسالة كثيرا وكان لا يقدر على التحيل فبعث للخزناجي ، واخبره بالواقع ، وأمره أن يقبض على الحاج علي ططار ، ووضعه في سجن دار سركاجي ، ثم نادى لأخيه (27) بوجناح ، مقدم اليهود ، فلما قدم اليه اخبره بالقضية وقال له لا بد أن تنظر كيف تسلكها ، فقال له بوجناح : ابعث لسيدي عاشور ، وهو رجل من أهل البلد ، وكلفه

انت بهذا الأمر ، فبعث له في الحين وأحضره بين يديه واخبره بالقضية ، فاجابه : ان شاء الله نسلكها .

ثم أخذ معه اليهودي ، وذهب لأخوي البونابارطي ، وكان سيدي عاشور ذا همة في اللباس ، وله قد ، ووجه سمح ولحية ، يعرف كيف يتكلم وقد اعطاه الله اقبالا ، فمهما تكلم في أمر الا سهل الله له فيه . فلما وصلا لدار القنصل وتقابلا مع اخوي البونابارطي ، تكلم معهما مقدم اليهود باللسان الفرنساوي ، فلما سالاه عن سي عاشور ، قال لهما هذا سانطو (28) كبير عند المسلمين . فعند ذلك قاما على اقدامهما وتواضعا له كثيرا ، ثم سالا اليهودي : ماذا يريد ؟ فترجم ذلك لسي عاشور ، وقال له : يقول لك اخو الراي (29) ماذا تريد ؟ قال أريد منه أن يقضي لي حاجة ولكن لا اذكرها له ، لاني أخاف ان لا يقضيها لي ، وتكون لي معرة بين المسلمين ، وتكون له معرة بين الرايات (30) . وانا ما اتيته الا لاني سمعت الخير عنه وعن اخيه وقدمت اليه لأرى وجه رجل من اهل الخير وكلام آخر من هذا المعنى . واطال الكلام مع اليهودي فتقلق النصراني وسال اليهودي فاخبره بما تكلم به ، فتصاغى له النصراني وصار يرغبه في أن يتكلم بما يحب وانه سيقضيه له ولو كان ما كان . ثم انه (سيدي عاشور) تكلم مع اليهودي وعينه تسيل بالدموع ، كان ذلك البكاء كان حقا ، وهو بكاء الفجار . فلما انتهى كلامه قال اليهودي ان هذا الصانطواتاك لكي تشفع له في رجل حبسه الامير ليقتله وله اولاد صغار ، حملتهم اليه امهم ليشفع لابيهم عند الامير ،والامير لم يقبل شفاعته، وهو عازم على قتله في هذه الليلة الا اذا انت سامحته وبعثت للأمير بذلك ، فيمكن أن يطلقه فقال له : انني سامحته لخاطرك ولو كان الأمر أكثر من هذا لقضيته لك . واظهر له البشرى ، وسي عاشور يزيد في البكاء ، فلما أخبره اليهودي بقوله رفع راسه للسماء كانه يدعو له ، وطلب منه ان يكتب كتابا للأمير بانه سامحه وانه يطلب اطلاقه اكراما لخاطره . فكتب له كتابا بخط يده للأمير ، ودفعه له ، فشكر له ، ثم انه اعطاه هدية دراهم نحو الف دورو ، وخرج متوجها للخزناجي ، وناوله كتاب النصراني واخبراه بالواقع فاستبشر لذلك ، وبعث الكتاب حينا للأمير ، واخبره بما وقع . ففرح فرحا شديدا ، لانه التزم للنصراني بقتله ، فامر بالافراج عن ططار في الحين ، وبعث خمسماية محبوب لسيدي عاشور ، وقيل ان الخزناجي اعطاه كذلك ، والله اعلم .

الخلاف مع الانكليز :

وفي يوم من الأيام ، اغتاظ مصطفى باشا على قنصل الانكليز ، وامره

بالذهاب الى بلده ، وكان مراده أن يبدل بقنصل آخر ، فبعث له الانكليز وقالوا له ، اننا لا نبدل القنصل القديم ، وان لم تقبله فان العداوة تكون بيننا ، فارسل اليهم يقول : اننا لا نقبله وافعلوا ما شئتم . ثم أتاه خبر ان عمارة الانكليز قادمه لا محالة ، فأمر باحضار اللنجور (31) وكان قد أمــر بانشاء مايتين منها ، فاحضرت وعمروا الأبراج (32) بما يخصها من الآلات الحربية ، وقدم بنفسه لباب الجهاد وأقام هنالك وكل ليلة يخرج اللنجور للعسة فكان رحمه الله يركب في زورق ويتولى العسة مع المجاهدين وأمر باعطائهم الارز واللحم وجميع الغلال في كل ليلة . فكانوا ياكلون وما بقي لديهم يلقون به في البحر ، وهذا كله من كرمه وشجاعته . وبعد أيام قدمت العمارة الانكليزية ثلاثون جفنا ، وتكلموا معه في ارجاع القنصل القديم ، فلم يقبل منهم الا القتال .

ثم بعد ذلك وقع الصلح من غير قتال ، وغــير الانكليز القنصل وقبلوا الشروط واطفأ الله نار هذه الفتنة . وهذا كله من نصر الله له ، رحمه الله .

معــركة مــع النابوليطان :

وفي سنة 17 (33) أمر بتحضير سبعة مراكب منها ثلاثة فراكط . وجعل امراءها : حميدو القبطان على واحدة والرايس شلبي على فركاطة البردقيز والرايس محمد وعلي (34) على الثالثة ، وجعل محمد وعلي هذا قبطانا على الجميع لكونه أقدم الرؤساء ، وحميدو كان يرفع علــى فركاطته علم فرس الشجاعة . فبعد أيام من سفرهم ، التقوا مع سفينة من جنس النابلطان ، فتقدم منها القبطان شلبي لكي يظهر شجاعته ، ولان فركاطته كبيرة . فلما لحق بها ، ابتدأ القتال ، وصار النصارى يطلبون الامان من شلبي ، وهو لم ينتبه اليهم . وكانت له رغبة في الالتصاق معها كما فعل حميدو (مع الفرقاطة البردقيز) وبقي يقاتل حتى التصق معها فلما حاذاها صارت السفينة عالية على الفركاطة ، لا يستطيع المجاهدون الصعود اليها ، ولما راى النصارى ذلك اخذوا يضربون المسلمين بالرصاص والمسلمون كذلك الى الليل . فلما نزل الظلام ، ذهبت السفينة عن الفركاطة ، وحميدو قريب منهم ، ينظر ، ولم يتقدم لاعانته وكانت بقية المراكب أبعد من حميدو ، ويحكى عنهم من حضر تلك المعركة ، فقال : لو شاء حميدو وتقدم لأخذوا السفينة . ولكن انظر ما ظهر له في ذلك ، واستشهد كثير من السملمين وسفينة العدو عندما هربت ، دخلت مرســي مسينة لتصلح ما فسد منها . أما مراكب المسلمين فقد قصدت مرسى تونس وارسوا بها . وكانت بالمرسى فركــاطة تونسية . فجاءها فركاطتان نابليطان لأخــذها واخراجها من المرســـى ، فعندما رأوا عمارة

الجزائريين هنالك رجعوا هاربين . وقد انقذ الله تلك الفركاطة بسبب دخول العمارة الى تونس . ومن هناك رجعوا للجزائر .

ذكر ما انشأ مصطفى باشا من المراكب وما بني من الحصون وبستانا وديارا :

ولما وقع الصلح مع الانكليز ، وردهم الله خسائبين ، ورزق الله النصر لمصطفى باشا ، ابتدأ بناء برج باب الواد وكان قبل البناء مزبلة البلد ، وفي اثناء ذلك ، ابتدأ بناج برج راس التافورة (35) وكان هنالك برج صغير فهده وبنيء موضعه هذا البرج المعهود الى الآن ، وكان يهيء ليجدد برج قانت الفول لكنه توفي قبل ذلك . وأنشأ فركاطتين كبيرتين واحدة بعد واحدة ، فلما اتمهما انشأ مايتين من اللنجور . وعندما اتمها أنشأ زوج بلانـــدات ، واحدة بعد واحدة . وقد اجتمع لديه من الرؤساء (36) خمسماية رايس بعضهم كان يركب المراكب الجهادية ، وبعضهم يسافرون رؤســاء الــطريق ، وبعضهم مقيمون في البلاد ، يتناوبون ركوب المراكب .

كما انه بني بستانا بعين الربط ، وبنى به دورا وقصورا ، وغرسه بجميع الفواكه والثمار . (لا يزال موجودا . وهو الان جزء من قصر الشعب) ويدعى الى الآن : دار مصطفى باشا)

(هنا عشرة سطور بيضاء)

ذكر الثوار من الاتراك على مصطفى باشا :

في سنة 14 (37) ، كان رجل من الأتراك اسمه والي خوجة تعلق قلبه بالملك ، ولم يجد حيلة للتوصل اليه ، وعنده حفيد . وفي هذه السنة ، سمى حفيده نباجي (38) بدار الامارة ، والنوباجية يقيمون عند بابها . فظهر لوالي خوجة أنه يتوصل لمقصده بواسطة حفيده . فتكلم معه ، الى جمعة من الجمع ، كانت نوبة حفيده في العسة ، داخل الباب .

ومن عادة الأمير انه يخرج لجامع السيدة ، مقابل دار الامارة بانحراف فاذا خرج الأمير ووزراؤه وعماله كـان النوباجية يتقدمـون أمامهـم للمسجد ويبقون منهم رجالا داخل الباب لاغلاقه بعد خروج الأمير ، ثم يعطون المفاتيح لكبيرهم من تحت الباب ، فياخذها ويذهب للصلاة مع الأمير . فاذا اتموا صلاة الجمعة ، يتقدم امام الأمير ، ويعطي المفاتيح للعساسين م نتحت الباب فيفتحونه عند وصول الأمير ، فيدخل ، ويدخل معه وزراؤه وعماله ، ويجلس على كرسي الملك . فيسلمون عليه ، ويأتونهم بالقهوة ، فيشربون وينصرفون

حتى كان يوم الجمعة التي وقع فيها الكلام ، وخرج الأمير للمسجد ، اتى والي خوجة مختفيا ، ومعه بعض اصحابه فلما وصلوا دار الامارة ووضع يده على الباب ، فتح لهم ، ودخلوا ، واغلقوه ، وطلعوا للسراية واخذوا السلاح ، وتفرقوا . فبعضهم يضرب مــن السراية الـــى المسجد وبعضهم ذهب الى السانجاق فوق الباب وصاروا يضربون من هناك وانقطع مرور الناس من الأزقة الثلاثة المقابلة لدار الملك التي يسلك منها الى الجامع الأعظم : باب ستان وكذا باب البحر والسكة العظمى الشارعة الى باب عزون والسكة الثالثة على يمين الداخل لدار الملك شارعة الى باب الواد . وعندما اخذوا يضربون من السراية الى طيقان المسجد ، كان الناس في صلاتهم عندما سمعوا ضرب البارود وضرب الرصاص ، فاندهش الأمير مع شجاعته لأنه لم يعرف ما هو هذا الأمر ، ولم يستطع احد أن يخـــرج من ابواب المسجد الثلاثة المقابلة لدار الامارة . ثم ان بعض الناس اتوا الى باب المسجد الذي من ناحية بيت المال ، واخبر الامير بالواقع ، فعند ذلك رجعت الحياة الى الأمير ومن معه ، وخرج بعض الوزراء وبعض النوباجية من الباب الذي يخرج لسكة الصاغة ، ومن باب بيت الامارة ، ونقبوا نقبة (39) اخرى في مسجد صغير ملاصق لسقيفة دار الملك ، ودخلت زبانية الملك ، ولم يكن لولي خوجة ومن معه علم بذلك النقب ، الى أن وقفوا عليهم ، وقتلوهم ، وفتحت ابواب دار الامارة ، واخبروا الأمير بما وقع ، فعند ذلك خرج من الجامع ودخل لدار الملك ، وجلس على كرسيه ، وهناه اصحاب دولته واعيان البلد واطفا الله نار هذه الفتنة واخمد لهيبها .

وفي السنة التي بعـــدها ، ثار علي خوجة صهـــر الشيخ العـــلامة ابن مالك (40) ، وعلي خوجة هذا كان ملازما لبعض الأسماء (41) الى يوم من الأيام ، اخذ قصبة خضراء اللون بيده يتكىء عليها . وخرج من دار من ناحية المرسطان ، واتى مع السوق الكبير متكئا عـــلى تلك القصبة وهو يوالي ذكره : الحق ، ولسانه لا يفتر عن الذكر ، الى ان وصل الي دار الملك ، ودخلها والنباجية وكبراؤهم ينظرون اليه ، ولم يستطع احد أن يقوم من مقامه او يرده وقصد الى سرير الملك ، ومقام الخزناجي قريب منه ، فذهب الى الخزناجي وضربه بتلك القصبة ، فجرحه جرحا بوجهه وآخر بيده ، والله اعلم أنه دافع بها عن نفســه ، والقصبة التي كانت بيد علي خوجة لعلها يطغان مختفيء في القصبة ، ولما أراد الضرب ، استل اليطغان (42) وترك القصبة وترك ذكر الاسم (الحق) عند اشتغاله بالضرب ، فلحقه وكيل الحرج اوزن محمد ، فضربه ولحق وكيل الحرج الثاني اوزن علي وقتلوه ولم يكن له اصحاب

لأنه قدم وحده لدار الملك فبعد قتله سحبوه خارج دار الملك والقوا به عند الباب . ثم ذهب الخرناجي لبيته وذهب الطبيب معه وصنع له الدواء للجرح الذي في وجهه وفي يده ، وبعثوا لصهره الشيخ ابن مالك وسالوه عن حالة صهره ، فقال لهم انني لم اطلع على امره فامروه ان يخرج من البلد ، فذهب لقرية القليعة واقام بها أياما فتكلم بعض العمال للأمير وقالوا له : هذا الرجل الذي نفيته من البلد ، وهو من أكابر علماء المسلمين ، وكان قاضي الاسلام ، اخرجته لأجل صهره وفرقت بينه وبيــن أولاده ، وبين الطلبة الذين يقراون عليه ، فعند ذلك سرحه الأمير ورجع للبلد .

واما الثورة الثالثة على الأمير مصطفى باشا ، فانه كان رحمه الله ، لكثرة اعتنائه بالجهاد قد اتم بناء برج باب الواد ، واتم بعده بناء برج راس التافورة وأراد أن يجدد بناء برج قانت الفول ويكبره ، لأنه كان برجا صغيرا ، وكان يخرج بنفسه لمعدن الحجز ، المحاذي لضريح الولي الصالح الشيخ ابن عبد الرحمن للحرص على خدمة الصندوق (43) . ففــي يوم من الأيام اتفقت شرذمة من العسكر مع بعض خدام الصندوق من الأتراك ، فضربوه في معدن الحجر وجرحوه ولحقهم عمال الحجر وقتلوهم ، ومات البعض الآخر منهم ، ثم حملوا الباشا وادخلوه للبلد في الليل ، وذلك في سنة 19 (44) والثورة(45) الرابعة التي قتلوه فيها سنذكرها ان شاء الله في آخر دولته .

افــراح ختان ابنيـــه :

وفي سنة 16 كان ختان ولديه الاكبرين ابراهيم واخيه . وقد صنع مهرجانا كبيرا لم يصنع مثله من قبل أو من بعد . وكان ذلك خارج البلد ، بازاء بستانه بعين الربط ، وقد نصب الوطاقات والأخبية والقياطين (46) واستقدم البايات وعمالهم ، وكافة اعيان اوطانهم . ونادى مناديه في البلد (بدعوة السكان) .

واخرج الطباخين من دار الملك واضاف اليهم آخــرين ، وكذلك طباخي وزرائه ، ودعي اهل البلد من الخاص والعام ، وكافة الفقهاء والطلبة ، وكافة اهل باب الجهاد من اصناف الرؤســاء وغيرهم . وجمع كل أهل الآلات (47) من الترك والعرب ، وجعل كل صنف وحده ، ورتبوا في كل ليلة من انواع الملاهي على اختلاف انواعها ، واحتفلوا ايضا في نفائس الأطعمة والاكثار منها وكانوا يطعمون كافة الناس ثلاث مرات في كل يوم والقهوة في كل وقت . وكانت المدافع تضرب كل يوم من جــميع الحصون واصحاب الخيــل يتسابقون والبلهوانات (يلعبون العابهم) والنوبة تضرب صباحا ومساء .

وكان كل واحد من البايات في محلته بين ناسه ، في نزهة عظيمة ، وقومهم يتسابقون ، والنوبة تضرب عليهم والأمير وعماله ، ووزراؤه في وطاق ، وكذلك البايات ، ويطوف عليهم اصحاب الالات والملاهي طائفة بعد طائفة ، والاموال خارجة من عند الأمير لهؤلاء الطوائف . لا يفترون عن ذلك الا وقت النوم والاستراحة . واستمرت الوليمة سبعة أيام ، وفي اليوم السابع ، وزع على كل من حضر عشرة محبوب (48) لكل واحد ، وكذلك وزع على أهل المدارس والزوايا واكثر من افاضة الصدقات وتعميم الاحسان وأمر بختان أولاد الفقراء فاجتمع منهم خلق كثير ، ورسم لكل واحد منهم عشرة محبوب واستمر الختان في أولاد الفقراء من العمالة نحو الشهر ، ويعطيهم مثل ما أعطى الأولين من الصبيان . وقضى دين المدينين من الفقراء واطلق سراج جميع من كان في السجن في جميع البلدان من عمالته ، وقضى دين المدينين منهم . فلم يبق في السجن الا من لا يجيز الشرع اطلاقه ، كالمسجون في قتل النفس ، وهناه الشعراء بقصائد كثيرة واحسن لكل واحد منهم . وبلغ الغاية في العطاء .

زلـــزال القليعـــة :

وفي سنة 17 (49) وقعت زلزلة في الجزائر وعمالتها في اليوم الحادي عشر من رجب ، وكان يوم أحد ، في وسط النهار ، وتهدمت قرية القليعة ومات بها خلق كثير تحت الهدم ، ولما بلغ خبرها للأمير مصطفى باشا رحمه الله ، ركب من حينه وذهب اليها بنفسه ، وأمر باخراج من كان تحت الردم ، فمن وجده حيا كساه ، وأعطاه نصيب مال بيده ، وأمر بتكفين جميع الأموات ، وفرق أموالا هنالك . وكسا كثيرا من الفقراء . وأمر باعادة بناء جامع سيدي علي مبارك حينا ، ومنارته ، والزاوية ، وقال لأهل البلد : انني أبني لأهل البلد ديارهم ، بعد انتهاء بناء المسجـــد والزاوية ، وعندما تم البناء ، منعه أصحاب الشر من بناء ديار الفقراء .

محاولة هرب عثمان باي وهران :

وفي سنة 17 ، كان عثمان باي وهران ولد الباي محمد الذي فتحها ، وقع له تنافس مع الخزناجي ، واستوحش منه كثيـــرا . فارتأى الفرار لينجو بنفسه . فقدم له كربيط انكليز ، والظاهر أن الكربيط أتاه بواسطة القنصل الذي بوهران فوضع به ذخائره . ولما اطلع على الأمر كبار أهل دولته ، القوا عليه القبض وبعثوا بخبره الى الأمير ، فامر أن يؤتي به للبليدة واسكنه بها . وأولى مكانه مصطفى باي ، وأقام بها أياما .

ذكر ثورة ابن عبد الله ابن الشريف الدرقاوي في ناحية وهران :

وبعدما تولى مصطفى باي أمر وهران ، ظهر ابن الشريف ، وكاتب العرب ، في أمر القيام على الترك وادعى أنه صاحب الوقت ، واتبعه العرب ، وسارت اليه القبائل ، وظهرت له كرامات . ثم ان الباي خرج من وهران في محلة كبيرة وقصد ابن الشريف ، وكان مع ابن الشريف اناس كثيرون وكان بوسط حشم غريبين (51) . فلما التقى الجمعان ووقع القتال ، انهزم عسكر الباي ، ورجعوا هاربين . فحمل الباي بعض صناديق من خزنته وهرب ، وتركوا محلتهم بما فيها . فدخلها ابن الشريف واستولى على ما فيها . واما الباي فقد لحق به بعض العرب . فكان كلمـــا اقتربوا منه يامر من معه بوضع صندوقين من التي حمل معه . فيشتغل العرب بالنهب ، فاذا اتموا ذلك ولحقوا به ، يأمر بوضع صندوقين آخرين هكذا الى ان دخل وهران وأغلق الأبواب ، وقيل انه بني الأبواب .

والثائر بعد ان اخذ المحلة ، وفر الباي ، تبعته العرب من تلمسان الى مليانة بل الى متيجة ، حتى ان اهل تلمســان افترقوا فريقين ، وصار بعضهم يقاتل بعضا ، فالحضر (52) يقاتلـــون من البلد ، والكلغـــلار يقاتلون من المشور (53) ، مع الأتراك ، يضربون الحضر ، وينادون على اخوانهم فمن اظهر نفســه لاخيه ، ضربه بالرصاص ، واشتد الأمر بينهم ، ودام على ذلك وأما الأمير (مصطفى باشا) فانه اخرج محلة من الجزائر ، واخرج معها وزيره الحاج علي آغا قاصدا ناحية وهران ، فوصل للعطاف (54) واجتمعت عليه العرب يريدون اخذه بحيث أن أهل المحلة كانوا لا يقدرون على الورود من الوادي وهو قريب منهم وصارت قيمة القربـــة من الماء بكذا وكذا فلما راى الحاج علي آغا ذلك ، بعث الى شيخ نجع العطاف ، واتاه ليلا ، وقال له كيف يكون الخلاص ؟ فقال له : ان هؤلاء القوم اذا رحلت من هنا ، ياخذونك لا محالة ، ولكن يجب أن نعطي الدراهم لكبراء العر ب، وأرحل في الليل . فعند ذلك اعطاه الوفا من المحبوب الذهب ، وخرج من عنده ، فاعطى منها ما شاء لشيوخ العرب ، واخذ الباقي لنفسه ، ورحل الآغا بالمحلة في الليل . ورجع لناحية مليانة ، فنزل تحتها . ولحقه العرب (الثائرون) وبقي يحتال الى ان وصل لحوش قايد السبت بحجوط ، بعد مشقة عظيمة ، ووقع قتال بينه وبين القبائل والعرب هناك . ومات مـــن الفريقين رجال ، ورحل ليلا واصبحت المحلة بعين الربط . وبلغ خبرها للأمير ، فامرهم بالرجوع (للقتال) فثار الأتراك الذين بالمحلة ثورة واحدة ، وبعثوا مع الرسول للأمير يقولون له : اننا لا نرجع وانت لا نحتاجك اميرا ، وانمـــا أميرنا الحاج علي آغا .

ويحكى عن هذا الآغا أنه كان رجلا كبيرا عاقلا لا يحب الشر . ولما ذهب الرسول للأمير وسمع منه بمقالة العسكر وتوليتهم الآغا اميرا ، أمر باغلاق أبواب البلد ، وبعث للعسكر يقول : ان اردتم الرجوع لعدوكم فذلك أفضل من أن يصل لأبواب البلد ، وهذا هو رأي ولما رأيتم الدخول فادخلوا أما الأمير الذي وليتم فلا يدخل لبلادي ، بل يركب من هنالك البحر وليرجع الى بر الأتراك . ومع هذا فان الآغا لم يقبل الامارة عندما قدموها له . فلما وصل الرسول وبلغهم مقالة الامير لهم وقع بينهم خلاف في الراي ثم سلمو الآغا فحملوه بمركب كان ذاهبا لبر الترك ، وفتحوا أبواب البلد ، ودخل ، ودخل العسكر وبقي الثائر وحده في ناحية وهران . وظهر ثائر آخر بناحية قسنطينة .

ذكر ثورة ابن الأحرش واصله من المغرب

عندما كان الفرنسيس بمصر (55) قام ابن الأحرش هذا ، وجمع اليه اناسا من المغاربة واهل الواسطة (56) واصبح يقاتل الفرنسيس خارج مصر ، بما قدر عليه ، واثرت شوكته فيه ، واصبح له صيت بمصر الى أن فتحها الله ورجعت للمسلمين ، وبلغ خبره لأمير تونس يومئذ حمودة باشا ، فبعث له واستقدمه ، فلما قدم عليه لقيه بالبشر ، وعظمه وشكر صنيعه واحسن اليه لكي يؤنسه ، ثم رجع لموضعه . وكانت عند حمودة باشا دسيسة في خاطره على ملوك الجزائر ولم يظهر لهم ذلك خوفا منهم ، والتزاما لوصية ابيه علي باي عندما حضرته الوفاة ، كان يساعدهم ، ويعطيهم السنوية التي التزمها لهم ، لكونهم هم الذين اخذوا لهم بثارهم من ابن عمهم ، وارجعوا لهم ملكهم حتى قيل أن علي باي قال لابنه حمودة باشا : العشر والخراج الذي تقبضه ، اعط بعضه للجزائر وبعضه لمصاريف المملكة وبعضه لتعيش به ، واياك أن تجعلهم أعداء . وقد تقدم ذكر هذا (57) .

ثم ان حمودة باشا استدعى في احد الأيام ابن الأحرش ووسوس له قائلا : ان رجلا مثلك شجاع او كلام بهذا المعنى يجب أن يذهب الى ملك الترك (بالجزائر) وينزعه من أيديهم ونحن نمدك بما يخصك والعرب يتبعونك لكثرة ما ظلمهم الاتراك . وكان مقصد حمودة باشا ان يشغلهم عنه لا غير . واما اخذ الملك من الاتراك فما كان يظنه واقعا والله اعلم بحقيقة الامر . ثم ان ابن الأحرش اتسع في عقله مثل هذا الكلام ، وتعلق به قلبه فوافقه على ذلك ، وذهب لناحية قسنطينة وكاتب الناس ودعاهم لاتباعه وكتب للقبائل ، فثار جميع الوطن على الباي الانكليز ، وخرج بمحطة فانهزم ورجع للبلد واشتد عليه

الأمر ، وكتب للجزائر واخبرهم بما وقع فتحير الأمير لذلك . ثم رأى أن يولي عثمان باي (ابن صالح باي) على قسنطينة ، فبعث له واستقدمه وولاه وأمره بالذهاب الى قسنطينة فذهب من حينه وعزل الباي الانكليز ، وكتب للرعية وحذرهم من الفتنة ، واشتغل بتجهيز المحلة وترتيب أحوالها ، وخرج لسطح المنصورة ، أو لموضع قرب البلد ، وخيم هنالك ، واجتمعت اليه العرب ، وسار نحو ابن الأحرش .

اما الباي الانكليز فانه دخله الخوف على نفسه من الأمير ، فهرب الى تونس واستقر بهسا .

وأما ابن الأحرش فانه عندما سمع بخروج الباي عثمان في طلبه ذهب الى ناحية واد الزهور واقام بين تلك القبائل وخمدت نار الفتنة ، وأذعن العرب للطاعة ، ووقعت العافية ، ورجع لقسنطينة . وعندما أتى فصل الربيع ، أمره الأمير بالدنوش (58) فقدم الجزائر كما هي العادة ، ولما رجع لقسنطينة واستراح أياما خرج الى واد الزهور لقتال ابن الأحرش . فعندما وصل قريبا منه نزل في ارض هنالك بين الجبال ، وخيمت المحلة وابتدأ القتال مع ابن الأحرش ومن معه من القبائل . فاطلق هؤلاء الماء على تلك الأرض التي بها المحلة فصارت مثل السبخة ، حتى ابتلعت ارجل الخيل الى البوادر والرجال الى الركبة ثم حملوا على المحلة وقاتلوا الباي ومن معه فلم ينج منهم الا القليل ، وأخذوا تلك المحلة ، وغنموا منها اموالا لا تحصى لكون الباي عثمان لم يترك شيئا بخزنة قسنطينة وحمل جميع ما فيها من الأموال ، وتركها خاوية على عروشها والله أعلم انه ما حمل تلك الأموال الا لكي يخلي الخزنة لما سمع من الخزناجي ، وما يعلم من بغضه له ، فقال انه اذا ظفر بعدوه ، رجع وماله معه ، وان مات فالذي يأتي بعده يجدها خالية . والله أعلم بمراده .

ثم ان الأحرش ، بعد قتل الباي عثمان وأخذ أمواله والآت حربه ، جمع القبائل وكاتب العرب ، وقصد مدينة قسنطينة واصبح يقاتل عند بابها . وأبوابها مغلقة واهلها يقاتلونه من فوق الأسوار وأقاموا كذلك أياما .

ولما بلغ الأمير خبر موت عثمان باي ، استقدم قائد الخشنة ، وكانت تحته الدايخة بنت بن كانة (59) ، شيخ العرب بقسنطينة ، فلما حضر القائد عبد الله بين يديه ، أولاه بايا على قسنطينة ، واخبره بموت عثمان باي ، وامره بالذهاب حالا . ولا اعلم شيئا عن كيفية وصوله لقسنطينة فلما وصل المدينة ، رجع ابن الأحرش القهقرى ، وتفرقت عنه القبائل . ثم كاتب عبد الله العرب أصهاره ، وجميع الرعية واستقام لـه الأمر ، وسـاير كبراء العرب ،

واجتمع لديه اهل المخزن ، ثم انه جهز محطة وخرج في طلب ابن الاحرش ، وضيق عليه البلاد ، الى أن هرب الى الناحية الغربية فقتله ابن الشريف (الثائر بها) واطفئت نار الفتنة من الناحية الشرقية . وكان جزاء هذا الباي ان قتله امراء الجزائر بعد موت الأمير مصطفى باشا ، وعذبوا زوجته حتى ماتت حتى العذاب ، وذلك لتظهر لهم أموال عبد الله باي . ويحكى عن هذه المرأة انها كانت من أحسن نساء زمانها ، وكانت لها شجاعة كبيرة ،

نهساية الدرقـــاوي :

ولنرجع الى اخبار وهران ، فان الباي مصطفى بقي فيها منحصرا ، ولم يقدر على شيء . وبقي الأمير متحيرا مــن ذلك ، وانقطعت الطرق ، ووقع الغلاء في الحبوب في المدن وغيرها حتى وصل القمح بالكيل الجزائري الى خمسة دورو للصاع الواحد وصاروا يأتون بالقمح الى الجزائر في البحر . وعظم الأمر في ذلك ، ثم ان الأمــير بعث الـــى ولد الباي محمد ، ويعرف بالمقلج ، وولاه بايا على وهران ، وذهب ولم يجد مسلكا على طريق البر ، فرجع لشرشـال وركب البحر وذهب لوهران ، فلما وصل وجد أبواب البلد مغلقة ، ففتحت له ،وارجع الباي مصطفى الى الجزائر في البحر ، فلما وصل بعثوا به الى البليدة . ثم ان الباي الجديد كتب للمخزن القديم وكتب لكبراء العرب ، واخبرهم بقدومه ، وبذل لهم الأموال ثم جـــهز محطة خيمت خارج البلد ، وبذل العطاء للصادر والوراد ، واجتمعت الناس عليه وسافر بالمحلة ، ونادى مناديه ان من آتى برأس (من الأعداء) يأخذ عشرة سلطانية فوقعت قتالات بين الباي المقلج ، وبين الدرقـــاوي ، ومات من العرب عدد لا يحصى ، وكانت تجتمع رؤوس بني آدم مثل الجبال . ثم ان الدرقاوي هرب الى عمالة الغرب (60) والباي ومحطته رجعوا مع الرعية الى ان وصلوا مليانة ، واطاعته البلاد ، واستقر له الأمر ، ثم رجع لوهران .

مصرع كبير اليهود وقيام المسلمين :

لقد قدمنا ان الخزناجي كان محبا لليهود ، وكان كبيرهم ولد بوجناح له صولة كبيرة مع الأمير والخزناجي وكانت له مراكب توسق القمح والشعير من وهران وعنابة الى بر النصارى (61) باذن الأمير ووزيره الخزناجي وذلك قبل ثورة ابن الشريف وابن الأحرش ، وكسب مالا كثيرا من ذلك الوسق ، وكان الناس والأتراك يخافون شوكته الى آخر سنة 19 (62) . فقام رجل من الأتراك اسمه يحي ، وحمل بنادق صغيرة ، وذهب قاصدا قتل اليهودي ان

وجده . وكان ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة . فعندما وصل لدكان (63) وكيل باي الشرق ، وهي قريبة من دار الامارة ، رأى اليهودي جالسا على باب الدكان ، متكئا على مجمع الدكان ، فلما قرب منـــه ضربه ببندقة لبطنه ، وأصابه اصابة قاتلة ، فقام اليهودي مـــن موضعه ودخل الـــدكان ، ومات لحينه . وعندما تيقن التركي هلاكه ، رجع لقشلته . فلما سمع اهل البلد بموت الذمـــي وبقاتله ، فرح المسلـــمون بذلك ، وذهب بعض الفقهاء غير الموظفين للقشلة وشكروا لذلك التركي صنيعه ، وقد قيل ان الشيخ ابن مالك وكان عزل من القضاء ، قد ذهب اليه ليلا .

فعندما رأى الأتراك ان اهل البلد فرحوا بصنيع ذلك التركي ، اتفقوا في تلك الليلة على انهم يقتلون جميع اليهود وينهبون أموالهم ، ويستريحون منهم. فلما طلع النهار ، وهو يوم السبت ، خرج الأتراك ، وذهبوا للحارة (64) وابتداوا يقتلون رجال اليهود ، فقتلوا ، منهم نحو المايتين ، وكان بعض الناس من كل جنس ، ينظرون قتل اليهود ، فلما رأوا نساءهـــم وأولادهم هاربين صاروا ينهبون أموالهم . فلما رأى الأتراك ذلك قالوا نحن أردنا قتل اليهود للاستراحة منهم . وهؤلاء مرادهم نهب الأمـــوال . فتأخروا عن قتلهم ، وصاروا ينهبون الى آخر النهار . واستغنى الكثير من الناس ، وكثرت بذلك أموال المسلمين . ومن الغد جمعوا فرائس اليهود وأخرجوها خارج البلد ، قرب أفران الجير ، واخذوا معهم الحطب ، وأحرقوها . ثم أخذ الترك وغيرهم يبيعون أثاث اليهود بأبخس الأثمان ، وأصبح اليهود يسعون في الأسواق وهم حفاة عراة . وعندما وقع هذا الأمر باليهود ، بقي الأمير ساكتا ، ولم يقدر على احد ثم قال الخزناجي لكبير الحراس : كل مـــن علمت انه نهب اليهود من الحمالين والبحرية وغيرهم ، يجب أن تقبض عليهم وتصلب كل يوم عشرة منهم واذا نقص واحد من العشرة اصلبك مكانه فاخذ فـــي قبض المسلمين وتصليبهم الى أن صار كبير الحراس يقبض علـــى من وجده يتشاجر مع صاحبه ليكمل به عدد المصلبين . واستمر ذلك البلاء اياما .

ذكر ثورة احمد خوجة بعد واقعة اليهود ومصرع مصطفى باشا

احمد خوجة هذا كان كاتبا من الكتاب الأربعة بدار الامارة ، الذين بيدهم دفاتر العسكر ، ومداخيل الملك من الخراجات والعشور ، ومصاريف الملك من الرواتب وغيرها . ثم ان الملك (مصطفى باشا) غضب عليه . في يوم

من الأيام وعزله . وكان له بستان عظيم ، فذهب اليه . ثم انه رأى أن يبيع البستان على انه ذاهب للحج ، فاشتراه منـــه قائد العرب ابن سحنون . وبعدما باع البستان ، اشتغل في اثارة العسكر خفية ، وله أعوان في ذلك ، وانحاز بعض العسكر اليه . ووعدهم بان يزيد لهم في الراتب ، ويعطي القمح للمتزوجين منهم . وقد فشا بعض هذا الأمر عند الناس فخافوا على أنفسهم .

ومن جملة ما تحيل به ، ان بعض أعوانه ذهب الى الخزناجي وطلب الخلوة معه وقال له ، ان العسكر قد اتفقوا على تعيينك بموضع مصطفى باشا . وبعثوني اليك . فاتسع الأمر في عقله ، وقال له : كيف يكون ذلك ؟ فقال له : انت لا تفكر في هذا الأمر ، وابق بعيدا عنا الى وقت الحاجة ، ولا نحتاج منك شيئا . فرضي بذلك ، وخرج من عنده وذهب الى أصحابه واخبرهم بما فعل . وانما هم فعلوا ذلك خشية ان يبلغه الامر . فلما كان يوم الجمعة الخامس من جمادى الثانية من سنة 22 (65) ثار العسكر على الأمير مصطفى باشا .وقارا خزناجي (66) ، فخرجا من دار الامارة هاربين الى ضريح الولي الصالح سيدي ولي دادة العجمي ، فعندما وصـــلا الضريح وجدا أن باب الزاوية قد اغلق ، عندما بلغ القائمين عليه أمر الهرج . فرجعا . ولما وصل الأمير لزنقة فرن الزناكي ، لحق به العسكر وقتلوه ، ثم لحقوا بالخزناجي وقتلوه بين باب جامع كتشاوة وبـاب الحمام . ثم استقدم العسكر أحمد خوجة وأدخلوه لدار الامارة ، رحم الله هذا الأمير ، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يدوم بعد الخلق الا هو .

(هنا صفحة وسبعة سطور بيضاء)

أهم الحوادث التي لم يذكرها المؤلف

1 ــ سنة 1801 انعقد الصلح بين فرنسا والامبراطورية العثمانية ومنها الجزائر . وانتهت حالة الحرب .

2 ــ الرايس حميدو كان يقود اسطولا مؤلفا من ثلاثين سفينة حربية . منها ثلاث فركاطات تحمل كل منها 44 مدفعا .

3 ــ هاجم عثمان باي الغرب ، واحة عين ماضي ، مركز الطريقة التيجانية فاخضعها وفر الشيخ التيجاني الى فاس .

4 ــ كان القاضي التركي في أيامه الشيخ محمد بن عبد الرحمن . والقاضي المالكي الشيخ محمد بن مالك ــ وتوفي في أيامه العلامة الشيخ عبد الرحمن

بلش تارزي . ولا تزال عائلته موجودة الى اليوم .

5 ـ قضى كامل مدته أيام السلطان سليم الثالث .

التعاليق

(1) 1212 (1797)

(2) لم يعجبها ولم يكن موافقا لذوقها

(3) الذي يظهر لنا هو أن عزل الحاج عمر لم يكن لأي من السببين المذكورين . بل لأمور ادارية كان ينتقده عليها .

(4) اسرى من اسبانيا . أخذوا أثناء الغزوات البحرية .

(5) هي مدينة ليفورن بايطاليا وبها عدد كبير من التجار والسكان اليهود .

(6) سبق ذكره ـ وهو قطعة فضية قيمتها في ذلك الوقت خمس فرنكات . أي ما يعادل 12 دينارا جزائريا اليوم

(7) حارة بجوار مرسى الجزائر يسكنها وبرنادها رجال البحر الجزائريون

(8) 1213 (1798)

(9) القنابل . كما سبق ذكره

(10) من رجال الحرس العسكري ، وحفظ الأمن

(11) سفينة حربية كبيرة اسمها الفرنسية « فريقات »

(12) 1214 (1799

(13) امبراطورية النمسا والمجر

(14) الفرمان هو الأمر السلطاني الذي يحمل طغرى السلطان العثماني .

(15) عائلة جزائرية معروفة ، ولا تزال موجودة الى اليوم .

(16) 1215 (1800)

(17) مكان مرتفع فوق ظهر السفينة هو مركز القيادة

(18) الآلة التي تحرك السفينة وتدبرها

(19) 1216 (1801)

(20) لم نعثر على اسمها الصحيح

(21) مدينة بولب كاسترو ، داخل خليج يحمل اسمها ، جنوب ايطاليا .

(22) جاء الفرنسيون مصر تحت قيادة نابليون بونابارت ، قبل أن يصير امبراطورا ، سنة 1213 (1798) وكان عددهم 34000 رجل ، منظم ، مدرب ، تحاربوا المماليك وانتصروا عليهم واحتلوا الاسكندرية والقاهرة ومعظم مصر الشمالية . وادعوا أنهم ما جاؤا الا لمحاربة المماليك واظهار حق الدولة العثمانية . لكن المقاومة الشعبيـة المصرية قامت ضدهم باعمال باهرة . واستعمل الفرنسيون العنف الشديد وضربوا الأزهر الشريف وكامل مدينة القاهرة بالقنابل . وقتلوا 13 من علماء المسلمين . والحقيقة أن فرنسا أرادت استعمال أرض مصر في محاربتها للانكليز ، وقطع طريق الهند عنها ، واخيرا اضطر الفرنسيون للجلاء عن مصر سنة 1216 (1801)

(23) كلمة تركية معناها : البحري الاسود

(24) هي مدينة كاديكس الاسبانية

(25) نابليون بونابارت

(26) كلمة فرنسية أصلها تريف

(27) كلمة استعملت نكلية بالخوناجي ، وتعريضا بمحبته لليهود .

(28) رجل دين مقدس

(29) الملك بونابارت

(30) بين الملـوك

(31) نوع من السفن الحربية الخفيفة السريعة الحركة

(32) جمع « برج » في الاصطلاح الجزائري . وصحيحه البروج

(33) 1217 (1802)

(34) هكذا ينطق الجزائريون اسم « محمد علي

(35) قرب مركز البريد العام في قلب العاصمة

(36) الرؤساء ، جمع رايس ، هم قادة السفن الحربية غالبا

(37) 1214 (1799)

(38) النوباتجي ، هو الحارس الذي يتناول الحراسة مداولة

(39) ثقبا ، أو نفقا صغيرا

(40) عالم كبير من علماء ومدرسي الجزائر ـ اسمه الكامل : الحاج محمد بن أحمد بن مالك تولى قضاء المالكية سنة 1210 . وكانت له صلة ود عميق مع نقيب الأشراف . وكذلك أبناؤه . وسيكون لهم ذكر فيما يلي يدل على هذه الصلة . ثم ان له صلة مع عائلتنا .

اذ أنه تزوج السيدة نفيسة بوشناق أرملة جدنا المرحوم محمد بن أحمد المدني ، الذي كان شيخ البلد بمدينة الجزائر واستشهد غرقا أثناء رجوعه من الحجاز .

(41) أي يوالي ذكر اسم من أسماء الله الحسنى

(42) نوع من سيوف التشريفات

(43) يطلقون في الجزائر اسم « صندوق » على قطع كبيرة من الحجر الصلب تنحت على حجم معين متساوي الأضلاع وتستعمل لبناء البروج والحصون .

(44) 1219 (1804)

(45) ليست ثورة بالمعنى المتعارف بل هي وأمثالها محاولات انقلاب ضمن دائرة ضيقة

(46) القياطين ، جمع قيطون ، هي خيام كبيرة تسع جمعا من الناس .

(47) آلات الطرب

(48) المحبوب كما تقدم ذكره قطعة ذهبية وزنها 3 غرامات

(49) 1217 (1802)

(50) في اصطلاح الطرق التي تنسب الى الصوفية ، ان « صاحب الوقت » هو القطب الصوفي الامام الاكبر الذي يجب على الجميع اطاعته والسير تحت لوائه ، يقول بهاء الدين زهير المصري في قصيد غرامي
فأنا اليوم « صاحب الوقت » حقا :: والمحبون شيعتي ورفاقي

(51) أي من المغرب الأقصى

(52) سكان المدن

(53) الكلغلار ، أو ، الكوراوغلية ، أتراك من أب تركي وأم عربية والمشور هو القصر المحصن الكبير بتلمسان . وكان مقر الملوك من بني زيان

(54) بلدة في منتصف الطريق بين مليانة والأصنام

(55) تقدم موجز تاريخ ذلك ، فيما سلف

(56) أهل الواسطة ، هم سكان القطر الجزائري لتوسطهم بين تونس والمغرب

(57) لم يرد شيء عن هذا في المخطوط . ولعله كان ضمن الأوراق التي سودها ، ولم يثبتها في الكتاب . او لعلها كانت ضمن الصفحات التي تركها بياضا .

(58) دفع الضرائب لخزينة الدولة . وقد تقدم وصف ذلك باسهاب في سيرة الداي محمد بن عثمان باشا .

(59) سيدة من بيت ابن كاتة الصحراوي . كانت كثيرة الفضل والخيرات . وتركت وقفا طائلا

(60) المغرب الأقصى

(61) الى فرنسا وايطاليا

(62) 1219 (1804)

(63) مكتب

(64) الحارة في الاصطلاح التونسي والجزائري هي المكان المخصص في المدن لسكنى الطائفة اليهودية أما في المغرب الأقصى فتدعى : الملاح ، بتشديد اللام

(65) 1222 ((1807)

(66) قارا باللغة التركية معناها الأسود .

ذكر ولاية

أحمد باشا

يوم الجمعة جمادى الثانية 1220 (1)

اليوم الثاني من الخريف

استقدمه العسكر لدار الامارة بعد مقتل مصطفى باشا ، فاحضر الديوان ، والعلماء ، واعيان الدولة ، فاجلسوه على سرير الملك ، وخلعوا عليه الخلعة السلطانية ، ورفع العلم العثماني وضربت عليه النوبة ، واطلقت المدافع ، ونادى المنادي بالأسواق ، ورحم على المتوفي ، ودعا بالنصر لمن تولى ، وبايعه من حضر في ذلك الوقت . واخرجت البشائر لجميع العمالة ، وثنى الراتب لجميع العساكر ، واعطى القمح لجميع العسكر المتزوجين ، صاعين لكل واحد مع الراتب وكانت له بطانة من اقاربه واصهاره . واطلع على ما في الخزنة فراى ان يبيع جميع ما بها من مصوغ وحجر كريم وجوهر ، وفرق ذلك على السماسرة ، ينادون به في الأسواق ، وباع من ذلك شيئا كثيرا ، وحصل للناس من ذلك ربح كبير . وبقي على ذلك البيع أياما ، ثم ارجع الباقي للخزنة لأنه شيء كثير .

نفاق (2) مزاية :

خرجت اليهم المحلة ، فقتلوا من العسكر عددا كبيرا . فبعث الآغا الى سيدي محي الدين بن سيدي علي بن مبارك . فتوسط .

الحرب مع البرتغال :

بعث الباشا بالمراكب الجهادية الى البحر المحيط يراقبون مراكب البردقيز فاخذوا منه غنيمة كبيرة تحصل منها نصف مليون دراهم . ثم رجعوا وكان

البردقيز قد بعث يطلب الصلح مع الأمير ، فلم يقبل منه ، الى ان تولى الحاج علي باشا فوقـــع الصلح بينهم علـــى مال كثير ، وسنذكـــر ذلك في محلة ان شـاء اللــه .

الحـــرب مع تونس :

أمر الأمير بقتل عبد الله باي قسنطينة ، وولى مكانه صبيا (؟) من أولاد صـالح باي ، المتقدم ذكره .

وقد كان ملوك تونس ، يبعثون مركـــبا محملا بالزيت ، وبعض الهدايا الرفيعة كل سنة فقطعوها في قيامه . فكتب لهم على ذلك . فامتنعوا عن الاذعان ، ووقع الكلام بينه وبين ملكها حمودة باشا الـــى ان اشتعلت نار الفتنة ، فبعث احمد باشـا المراكب الجهادية لياخذوا ما وجدوه من مراكب تونس الى أن يدفعوا ما عليهم من العادة التي التزم بها ملوكهم ، لملوك الأتراك بالجزائر . فاخذوا منهم مركبين او ثلاثة مراكب . ثم ان حمودة باشا جهز محلة خفية ، وبعث بها لاخذ قسنطينة فحاصرها شهرا كاملا ، وهو يرمي البومبة (3) على البلد ، ومات فيها نسـاء وصبيان ورجال . فلما بلغ الخبر الى احمد باشـا ، بعث محلة على الفور ، في البر ، وجهز ثلاث فراكط من المراكب الجهادية ، وحمل فيها العسكر وآلة الحرب ، وبعث معها خمسة من اللنجور ، على كل واحد مدفعين كبيرين وذهبت كلها لعنابة ، فانزلوا بها العسكر ، ومن هنالك كونوا محلة . وطلعوا الى قسنطينة . ومن قدر الله ان هذه المحلة وصلت مع محلة البر في يوم واحد . الا ان محلة البر عندما اصبحت على مقربة من قسنطينة ، تلقـــاها عسـاكر تونس ، ووقع القتال بينهم ، فكانت الهزيمة أولا على محلتنا ، لأن العسكر لحق في تعب شديد من الطريق ، ومن كثرة البرد . لان الفصل فصل شتاء . لكن اهل تونس سمعوا ضرب البارود من ورائهم فالتفتوا فوجدوا عسكـــر الجزائر قد لحقهم من الوراء ، فالقى الله في قلوبهم الرعب فولوا الأدبار ، ولما راى جندنا المنهزم ذلك ، وعلموا ان اخوانهم قد وصلوا من عنابة ، تقدموا من جديد الى المعركة ، ووقع ما وقع بين المسلمين ، من القتل ، وقطع الأذنين والأسر ، وغير ذلك . وفتحت أبواب قسنطينة (4) .

والذي اتى بمحلة التوانسة هو الباي الانكليز ، بهذا يسمى ، وقد كان بايا بقسنطينة سابقا ، فوقعت النفرة بينه وبين الأمير ، فهرب الى تونس ، ثم جاء مع محلة تونس ليسترجع قسنطينة . فلما دارت عليهم الدائرة ، هرب من جملة من هرب ورجعت المحلة للجزائر بالأسرى وبالأموال والذخائر التي

وجدوها بمحطة تونس ، أما المراكب التي انزلت العسكر بعنابة فغركاطتان منها رجعت على الفور للجزائر ، والفركاطة الثالثة تأخرت لتفرغ ما عندها من الوسق وبقي معها اللنجور .

محـــاولة برتغاليـــة :

وانها كذلك ، اذ دخل عليها المرسى سفينتان من سفن البردقيز ، ليأخذاها ، فمن قدر الله انه كان مع الفركاطة اللنجور فلما اقتربت السفينتان من الفركاطة ووقع بينهم قتال عظـــيم ، ورأت السفينتان البردقيز انها لا تقدر على أخذ الفركاطة سلت خيوطها (5) ورجعت . وقد بقيت الفركاطة الجزائرية الى أن اتمت اشغالها ، ثم رجعت للجزائر ، وبقي اللنجور هنالك .

اطلاق اسرى تونس :

وعندما رجعت المحطة بالاسرى ، كتب الجزائريون الاتراك منهم عسكرا ، الى أن تولى الحاج علي باشا فنفاهم . واما الأسرى من العرب فانهم حبسوهم في برج باب الواد ، أياما ، ثم أرسلوهم في مركب وارجعوهم لبلادهم . وكان اهل مدينة الجزائر يعاملونهم . (أي يحسنون اليهم)

العودة للحرب مع تونس :

ثم ان الأمير ، أمر الفقيه محمد بن العنابي ، قاضي الحنفية ، ان يكتب كتابا الى حمودة باشا ، فكتب الكتاب ، وبعثوا به . وصورته في ورقة صغيرة حتى نثبته في الأصل ، يوم التخريج ان شاء الله (6)

لكنهم (أهل تونس) ، لم يزدادوا الا نفورا وشدة . واشتغلوا بتجهيز محطة اخرى فلما بلغ ذلك الى احمد باشا ، جهز محطة كبيرة ، وبعث بها لكي تلاقي محطة تونس ، وامر ولد صالح باي بتجهيز محطته . وبعث مع المحطة حسن آغا . فعندما التقى حسن آغا مع ولد صالح باي قسنطينة ، واستراحا أياما ، ذهبا بالمحطة الى ناحية تونس ، والتقى الجمعان علـــى وادي صراط فهربوا وتركوا محلتهم خاوية . فلما رأى ولد صالح باي هزيمة عسكر تونس ، وكانت لهم معه كلمة ، رجع بمحطته وترك الآغا وحده يقاتل بعسكره . ثم امر جيشه بحمل المحطة وهرب راجعا لقسنطينة ، وحسن آغا لم يشعر بذلك ، حتى بلغه هروب الباي ، فالتفت اليه والى المحطة فرأى العسكر ينهبون في الوطاق والناس هاربون ، لا يلتفت أحد لأحد ، سارحون في الأرض مثل الغنم ، ولا احد يعرف صاحبه ولا احد يلتحق بالآخر . حتى اجتمعوا بقسنطينة . والآغا ،

عندما بقي وحده ، ذهب من جملتهم . وبقيت المحلة بما فيها من الآلة الحربية والمدافع ، وغيرها الا خزنة الدراهم فكان العسكر قد نهبوها .

اما اهل تونس فانهم عندما انهزموا ، رأوا ان العدو لم يتبعهم فاجتمعوا وبعثوا خيلا لينظروا محلتهم ، فراوها على حالها ، فاقتربوا منها ، فلم يروا بها انسانا ، فبعثوا لكبيرهم واخبروه بهروب اهـل الجزائر ، وانهم تركوا المحلة على حالها ، فرجع اهل تونس لمحلتهم واخذوا محلة عدوهم من غير قتال ولا عذاب . انظر ايها الآخ في هذه الحكمة الالهية ، كيف يجبر المكسور ، ويكسر الصحيح .

ولنرجع الى الآغا ، فانه عندما وصل الى قسنطينة ، قبض على ولد صالح باي وكتب الى الآمير واخبره بما وقع. وان المتسبب في ذلك هو الباي . فعين الأمير علي شاوش بايا على قسنطينة ، بمكان ولد صالح باي ، وامره بقتله ، فلما وصل علي شاوش الى قسنطينة بلغ مكتوب الآمير لحسن آغا .

فتنـة احمد شاوش :

وكان من قدر الله ، ان تركيا اسمه احمد شاوش ، كان هاربا عند القبائل من قضية وادي الزهور ، فبعث له الآمير بعد ولاية على باي كتاب الامان وولاه كبيرا على عسكر المحلة . فلما اتى من القبائل ، ودخل المحلة بوادي الرمل بقسنطينة ، جعل يدا مع رؤساء العسكر ، ثم ثار على الآغا ، والباي ، وقتلهما ، وقتل صهر الآمير ، وفرق جميع ما وجده في الخزنة على العسكر ، فاعطى كل واحد منهم سبعين محبوبا . وأولى خليفته احمد باي ، ويدعى طوبال (7) احمد بايا على قسنطينة ثم ارتحل بالامحال (8) قاصدا الجزائر ، لكي يخلع احمد باشا ويتولى مكانه ، فلما وصل الى حمزة (9) بعث احمد باشا الى طوبال احمد ، وولاه بايا على قسنطينة ، اذا تمكن من قتل احمد القبائلي الثائر فاتفق مع خواصه ، ودخل على أحمد القبائلي (10) ليصبح عليه فلما دخل عليه قتله في الحين وبعث للعسكر بالأمان ، وامرهم بالذهاب الى الجزائر فذهبوا . ورجع هو بمحطة الشتاء الى قسنطينة .

مقتل احمد بـاشا :

في آخر مدته . جهز ثلاث فراقط ، وبعث بها لغزو البردقيز ، وغنموا منه ، ثم اتفق العسكر ، وثاروا على الـرؤساء ورجعوا للجزائر ولم يتموا أيام سفرهم . ثم بعد رجوعهم لستة عشر يوما ثاروا عليه ، وقتلوه بالرصاص يوم

الاثنين 15 رمضان ، وهو هـــارب من دار الملك . فسقط الى قرب مخزن العشور ، فقطعوا رأسه وسحبوه فـــي الزقاق الى السراجين ومن هنالك حملوه ودفنوه .

وكان سفاكا لدماء المسلمين من غير شرع . الا أهل البلد (الجزائر) عصمهم الله منه . ومن ظلمه أنه قتل رجلا كان كبير اعراب البادية ، وقتل ابنه وكان هذا الرجل خديم الصالحين وخصوصا الشيخ عبد القادر نفعنا الله به قتله لكونه اشترى منه بستانه (وهو ابن سحنون) (11)

وكان أنشأ عشرة من اللنجون الكبار بصاري واحد . وجعل على كل واحد زوج مدافع كبار . وجعل اعوانا من الترك والكلغلار ، اربعون رجلا سماهم « القوبجية » .

اهم الحوادث التي لم يذكرها المؤلف

1 ـــ اشتد الخلاف بين أحمد باشا والامبراطور نابليون بونابارت ، حول قضية القرصنة ، فأمر الامبراطور بسجن كل الجزائريين الموجودين بفرنسا ، وأمر بحجز أملاكهم . وقرر أحمد باشا مقابلة العدوان بمثله . فنزع منحة صيد المرجان بالقالة عن الفرنسيين ، ومنحها الانكليز .

2 ـــ حاول الدرقاويون رفع راية العصيان من جديد، ببايليك وهران ، فجهز أحمد باشا جيشا تحت قيادة محمد بوكابوس باي وهران ، فأخضعهم وقضى على عصيانهم .

3 ـــ كان قاضيه المالكي هو الشيخ الحاج علي بن عبد القادر .

أما القاضي الحنفي (الذي كان يرسل من دائرة القضاء باستامبول) فكان الشيخ محمد بن عبد الرحمان (وقد دام في قضاء الجزائر عشرين سنة)

4 ـــ كانت ولايته اواخر أيام السلطان مصطفى الرابع ، وأوائل ايام محمود الثاني . وكانت أياما حالكة الظلام بالدولة العثمانية لتجري الجيش على الدولة ، مما بلغت شظاياه البلاد الجزائرية .

تعـاليق

---

(1) 1220 (1805)

(2) انتفـــــاض

(3) التنبلة ، كما سلب

(4) قلنا في تعليق سابق ، ان حمودة باشا التونسي هو سبب هذه الحروب المؤلمة . ونرى هنا من واجب النزاهة والانصاف ، ان نروي ما يقوله اخواننا أهل تونس عن هذه الحرب الفاجعة وأسبابها . ونحيل الكلام الى العلامة المؤرخ الشيخ احمد ابن أبي الضياف ، الذي يقول في كتابه : اتحاف أهل الايمان (ص 40 من طبعة 1963) :

« ولما أحس من قوته القدرة على دفع الضيم ، صار يتطلل على أهل الجزائر ، وأخذ في ازالة ما اعتادوه من التعدي ، الذي منه ان صاحب الجزائر أو قسنطينة يشتري الأنعام ويبعثها الى البيع بتونس بثمن يلوح بالاشارة اليه ، فيتمطل أهل البلاد عن بيع أنعامهم حتى يباع ما أتى من الجزائر أو قسنطينة والذي يموت من تلك الأنعام في الطريق تزعم رعاته انه سرق منهم في أرض تونس ، فيزاد ثمنه على الثمن المطلوب .

« ومنه أن أهل الجزائر يطلبون مؤاخذة القريب بقريبه ويدعون السرقة والنهب على أهل المملكة ، ويطلبون عقوبتهم بمجرد الدعوى . »

« وكانت رسلهم تنزل بباردو وبدار الضيوف بتونس ، ويلاقــي المأمورون بهم من شدة التعسف والعنف مــا يستفز طبع الحليم . وحمودة باشا في خلال ذلك يتجرع الغصص ويجرعها لرعيته ، واذا اشتكت العربان من عسف الجزائريين ، يقول لهم لم أجد من أتحزم به منكم على دفع هذا الضيم . فتنفعل نفوسهم حتى توغرت صدورهم واشتملوا على بغض الجزائريين ، والظالم مبغوض بالطبع . والله لا يحب الظالمين » .

« وفي اثناء ذلك وفد الحاج مصطفى انقليز ، باي قسنطينة ، طريدا بعد عزله ، ومعه ابنه علي ، فاحسن الباي (حمودة باشا) قبوله ، وأكرم نزله ، وأعطاه بستانا بمنوبة ووعده الاعادة لبلاده . فغاظ ذلك صاحب الجزائر ، فتعلل بارسال عدد من البقر يطلب بيعه بتونس ، وعين الثمن في كتابه ، بصيغة صريحة في الامرة ، على غير الاسلوب الذي اعتيد منهم ، من لطف الخطاب ، وتلوش الأمرة بمقتضيات المحبة . فانف (حمودة باشا) لذلك وامتلأ حوضه ، وضعف تجلده . وجمع رجال دولته وكلمهم في هذا الأمر . فقال له وزيره رئيس الكتبة ، أبو عبد الله محمد الأصرم : « نساعد أحوالنا ، ولا نقطع سياستنا فانها أحسن من حــرب . فقال له الوزير يوسف صاحـــب الطابــــع : عظـــم الامر واتسع الخرق ، والمساعدة هي التي أوصلتنا الى هذه الدرجة من المعرة ، فان سيدنا (حمودة باشا) سمسار لصاحب الجزائر ، وليته وقف عند السمسرة ، بل هو محكوم عليه باداء مال معين . ودفعه بظلم رعيته ، كدفعه . من خزانته »

الى أن يقول :

« . . وكتب لصاحب الجزائر يقول : ان البقر أمرنا ببيعه على يد عدلين . وتجمع من ثمنه كذا . وتولى قبضه رسولكم بامرنا . وان أرسلتم بعده للبيع شيئا . فليكن خطابكم في ذلك لوكيلكم ، وحاله في ذلك كعامة أهل البلد من غير فرق ، وقد كنا نرى ان فعلنا معكم سابقا انما هو ثمرة محبة ، وحيث رأيتموه واجبا ، فلا نسلم هذا الوجوب .

« وأعلن بالحرب ، واخذ في احضار موادها من العدد والعدة وامر اهل الجزائر بالرجوع لوطنهـــم »

(5) أي انسحبت سرا

(6) لم يقع هذا التخريج أصلا . وبقيت المسودة لا غير . وهي التي ننشرها في هذا الكتاب

(7) طوبال كلمة تركية معناها : الأعرج

(8) الفرق العسكرية جمع : محلة

(9) سهل فسيح جميل المنظر ، يقع تحت جبال الجرجرة

(10) ليتدم له تحصية الصباح

(11) وقع ذلك سنة 1223 (1808) ولم تكن ثورة الجند هذه ولا مقتل أحمد باشا ، بالحادث المحلي . فان موجة اضطراب عظيم سادت بلاد الدولة العثمانية ، وخاصة العاصمة استامبول ، وقام جيش الانكشارية بثورات هوجا ضد النظام العسكري الجديد الذي يجعلهم جندا نظاميا ، وينزع عنهم ما ألفوه من امتيازات . واشتدت فتنتهم في نفس هذه السنة ، وهاجموا القصر السلطاني واعلنوا خلع السلطان مصطفى الرابع وسجنوه في قصره ونادوا ببيعة السلطان محمود الثاني . فهذا التجرؤ على دايات الجزائر من قبل الجيش كان في حقيقة أمره حلقة من سلسلة غليظة طوقت جيد الحكم العثماني ، الى أن قضى عليها السلطان محمود الثاني سنة 1240 (1826) بعد معركة هائلة . والغى نظام الانكشارية بصفة نهائية .

ذكر ولاية

علي باشا (1)

15 رمضـــان سنـــة 1223 (2)

وبعدما ثار العسكر علي احمد باشا وقتلوه اتوا بالمذكور وبايعوه اميرا واجلسوه وبدل جميع الوزراء ، وبعد ثلاثة ايام عزلهم ، وعزل جميع العمال ، وجار الأتراك واخذوا جميع ديار أوقاف الحرمين ، التي بيد فقراء البلد ، واخرجوهم منها ، ونفي القبطان حميدو الى الشام لأنه كان يبغظه وكانت مدته اربعة اشهر .

اهـم ما لم يذكره المؤلف

---

1 ــ تولى بواسطة الفتنة الدهماء اوائل أيام السلطان محمود العثماني

2 ــ كان القاضي المالكي ايامه : الشيخ احمد بن علي بن جعدون والقاضي الحنفي الشيخ محمد بن عبد الرحمان .

---

(1) ويعرف أيضا بالغسال . الجوالق هي الخـرق البالية من القماش . وكان رجلا وضيع الرتبة عديم الاخلاق . ولولا الفتنة العسكرية الدهماء ، ما كان يصل لمرتبة الباشوية . ولو لامد قصير .

(2) 1223 (1808)

ذكر ولاية

الحاج علي باشا

في 15 المحرم الحرام سنة 1224 (1)

والحاج علي هذا كان وزيرا ثالثا عند المذكور اعلاه ويسمونه خوجة الخيل ، وهو يدعى الشرف (2) ويلبس عمامة خضراء الى اليوم الذي تولى فيه .

وكيفية ذلك انه خرج من دار الامارة بعد الغداء ، ليستريح ، مثل عادته فلما كان وقت الضحى الأعلى ، خرج من بيته ، واتى الى دار الامارة ، فلم يتعرض له النباجية من حيث انه أتى في غير وقت العمل . فدخل راسا لكرسي الملك ، وجلس عليه ، وبايعه العمال الحاضرون تلك الساعة وامر بالقبض على الباشا (على الباشا السابق) فدخل اليه الشواش وقبضوا عليه واخرجوه لمكان قتل العسكر فخنقوه في الحين .

وعندما سمع الناس المدافع . ورأوا السانجاق العثماني طالعا بدار الامارة ونادى المنادي في الأسواق هرع أعيان البلد والفقهاء اليه واجتمع الديوان وبايعوه بيعة عامة ، ونظم الوزراء والعمال واستقر بالملك وعزل باي وهران وولى مكانه الباي محمد ، من أولاد الباي محمد ، الذي فتح وهران ، وولى نعمان بايا بقسنطينة ، وبعد سنة امر بخنقه وولى مكانه جعفر باي واستقامت له العمالة (3) ووقع الربح لجميع الناس .

اسطول الجهاد :

وقد اجتهد في تنشئة المراكب الجهادية ، وقد انشأ أولا سفينة بلاندرة ، وانشا كريبطا يعرف بالسكران ، وانشا غليوطة (4) ، واتاه كريبط هدية من استامبول . وهذا ما انشا في مدته خلاف ما كان موجودا من المراكب قبل ولايته ، ما اخذ من الغنائم .

ثم بعث الى القبطان حميدو يستقدمه من الشام فقدم ، واركبه الفركاطة الجديدة ، قبطانا كما كان . وكان مغرما بالجهاد والغزو ، ومحبا للغزاة والرؤساء ، وخصوصا القبطان حميدو رحمه الله وحشرنا معه ، لأنه كان ذا صيت في البحر كبير ، وساعدته الأيام في الغنائم ، واخذ القراصنة ، وبقي على تلك الحالة الى أن استشهد كما سنذكره ان شاء الله .

الحرب ضد البرتغال :

ثم ان الأمير امر بتجهيز ثلاثة فراكط ، وبلاندرة (ملاحظة : قال المؤلف في الهامش : **(هنا تقديم وتاخير في الكتابة ونرتب ذلك وقت التخريج ان شاء الله)** وامر القبطان حميدو ان يذهب الى البحر الكبير (5) ليغزو على مراكب البردقيز فخرجت السفن من الجزائر وقصدت البحـــر الكبيـــر ، والتقت مع سفن البردقيز في البوغاز (6) ، فلما تحقق البردقيز ان السفن سفن المسلمين ، ذهبوا لمرسى جبل طارق ، وارسوا به سفنهم . ثم ان نصارى جبل طارق لما راوا سفن الجزائر قاصدة مراكب البردقيز خرجوا ليروا كيف ياخذ البردقيز سفن الجزائر ، لان مراكب العدو كانت كثيرة وكبيرة . وكان رؤساء البردقيز يقولون : ان لقينا مراكب الجزائر نفعل بها كذا وكذا . وهم يفتخرون . فخرج جميع الناس ليروا الأمر . وبيعت المرآة الرادية (7) في ذلك اليوم يضبلون(8) ثم وقعت لهم المعرة في رجوعهم وصاروا مثل الكلاب بين اهل جبل طارق ، وبين الأجناس التي هنالك من اهل المراكب .

وبعد هروب سفن البردقيز ، ودخولها مرسى جبل طارق ، دخلت مراكبنا للبحر المحيط واخذت غنائم مـــن مراكب البردقيز ورجعت للجـــزائر سالمة غانمة ، وقسم الغزاة من دراهم تلك الغنيمة ثلاثة عشر دورو في السهم الواحد ، وكان ذلك في فصل الربيع .

وسافرت بعد ذلك ثلاثة مراكـــب صغار ، يسمونهـــا البراكنتي ، الى سيسيليا ، والتقوا مع مركب قرصان تابع للسارو فهجموا عليه ، واخذوه ورجعوا سالمين . واحسن الأمير للغزاة .

الوقـــائع مع تونس :

وفي سنة 25 (9) سافر القبطان حميدو يقصد الغزو على النصارى . لكنه لقي مركبا من مراكب تونس ، فاخذه ووجده موسوقا بالشماشية ، ثم امر الأمير بتجهيز ستة مراكب ، واربعة لنجور من الكبار ، وعندما اتموا

تجهيزها امر القبطان حميدو بان يذهب الى جزيرة جربة ، وياخذها فسافر حميـــدو بالمراكب ولما وصل الى جربة ، وأرســـى المراكب بمرساها بعث القبطان سفن اللنجور ، وامرها بان ترمي الكور على برها . فلما راها اهل جربة هربوا منها ، وذلك مساعدة لامر الامير وبقي حميدو بمرساها أياما ، ثم أنه غادرها .

وكان أمير تونس عندما بلغه ان سفن الجزائر خرجت الى ناحية بلده ، أمر رؤساءه بان يجهزوا ثلاثة عشر مركبا ، ويخرجوا لأخذ حميدو . والتقى الجمعان على جزيرة قرقنة ، ووقع القتال . فهجم حميدو على فركاطــة من مراكب تونس فاخذها ، وهربت بقية المراكب التونسية ، فاتبعتها سفن الجزائر لكن القبطان حميدو جعل لها اشارة فرجعت . وقال له رؤساؤها : لماذا لم تتركنا نذهب بآثارهم ؟ فقال لهم : نحن اخذنا لهم هذه الفركاطة هذه المرة ، ومرة اخرى ناخذ لهم السفن ، لأنها كانت في حالة هزيمة . ودخلت السفن التونسية للمستير ، ومن هنالك رجعت لتونس ، فمكر بهم اميرهم أشد المكر (10) أما مراكب الجزائر فقد رجعت لبلادها ، وفرح بهم أميرهم ، وخلع عليهم خلعا بالذهب (11) واحسن اليهم غاية الاحسان ، وبالغ في الاحسان للقبطان حميدو ، وأعطى مالا لطائفة المراكب ، فقسموا ثلاثة عشر دورو لكل منهــم .

وفي سنة 26 (12) أمر الأمير بتجهيز ستة عشر مركبا ، خلاف اللنجور ، وأمر القبطان حميدو بالذهاب لمقاتلة أهل تونس . فذهب اليها ، وارسى سفنه بحلق الواد ، ورمى بالكور والبونبة بلدة حق الواد ، فهرب من كان بها . ووقع هول كبير بمدينة تونس . ثم رجعت السفن الى الجزائر .

ثم رأى الامير أن يعمر عمارة في البحر ، ومحلة في البر ، على تونس ، فامر بايجاد كل ما يلزم من آلات الحرب برا وبحرا . وكان الباي محمد قد دنش (13) في هذه السنة ، فامر بتهيئة محلته لتذهب مع عمر آغا وكانت هنالك وحشة بين الباي وبين عمر آغا ، لان الباي كان قتل اخا عمر قبل أن يتولى آغا . فلما كانت سنة 27(14) امر الأمير بتوحيد العمارة ، وخرجت المحلة وبعثوا لباي وهران يستقدمونه ، فتاخر ، وجاءهم خبره بأنه ثار ونافق في وهران ، فذهب عمر آغا اليه بمحلة ، وثلاثة مراكب قرصان في البحر ، وقبل وصول عمر آغا الى وهران ، كتب الى دائرة الباي ، فالقت القبض عليه وأوثقته . فلما وصل عمر آغا ، قتله ، بعدما عذبه . وهرب البعض من أولاده واخواه ، وكانوا يعذبونه ويسالونه عن المال ، فلم يقر لهم بشيء حتى مات رحمه الله . ثم عمروا جلدة راســه بالقطن ، وبعثوا به للجزائر فامر الامير ان يجعلوه على عمود ، ويصلبه فوق باب البلد ، وبقي هنالك سنينا .

مؤامرة لانقاذ تونس :

واما عمارة البحر ، فانه عندما كمل تجهيزها ، أمر الأمير وكيل الحرج بباب

الجهاد (15) ان يذهب مع العمارة لأخذ تونس لكن الله خيب أملهم فيما أرادوه للمسلمين .

وكان عدد المراكب 64 ، ما بين المراكب واللنجون ، فلما دخلوا لعنابة نادى وكيل الحرج المذكور على رؤساء المراكب ، يجتمعون عنده ليتكلم معهم . وكان القبطان حميدو مريضا فلم يذهب معهم . فعندما اجتمعوا عنده قال لهم : اننا قاصدون تونس ويجب علينا ان نكون بمرسى حلق الواد وندخله بعد ثلاثة ايام . ومن تكاسل يقتل .

فلما خرجوا من عنده ، اجتمعوا بموضع آخر ، واخذوا العهد من بعضهم ان لا يقاتلوا الا ما قل ، على مراى منه ، أي من وكيل الحرج . ثم ذهبوا للقبطان حميدو واخبروه بمقالة وكيل الحرج لهم ، وبما اتفقوا عليه ، فشكرهم على ذلك . ولما دخلوا لتونس (بل حلق الواد) وجدوا عند التونسيين ماية من اللنجون ، فلما جاء وقت القتال خــرج اللنجون التونسي ، فتقدم اليه اللنجون الجزائري ، وضرب بعض المدافع . ثم رجــع القهرى ، الى ناحية فركاطة القبطان ووكيل الحرج . وكان القبطان حميدو مريضا ، وصار كور أهل تونس يضرب في الفركاطة . وصار الظالم (وكيل الحرج) ينادي من القامرة (16) على القبطان ، ويقول لهــم : قطعوا المخطاف واخرجوا بنا . فاتاه القبطان حميدو وقال له : هذا لا يكون الا اذا قاتلناهم ، ولا نهرب منهم . فقرب لنجور الجزائر من القبطان ، وجعل لهم اشارة ، فرجعوا الى ان صارت كورة العدو تلحقهم فاجابوه بانهم اقل عددا منهم . ثم انهم وقع لهم السقط (اي فساد في السفن) في اول القتال ، فأمرهم بالضرب بما أمكن لكي يردوا العدو ، فضربوهم من الفركاطة ومن بعض اللنجور ، فردوا العدو عنهم . أما رايس الفركاطة التونسية التى كان اخذها حميدو منهم سابقا ، وصار رائسا مع الجزائريين ، فانه خان العهد الذي تعاهد عليه الرؤساء ، ودخل بالفركاطة وقاتل بلدة حلق الواد وآذى المسلمين . ومن الغد امر وكيل الحرج بالرجوع الى الجزائر ، وجعل الاشارة لجميع المراكب ، واصبح قائد الفركاطة الذي قاتل مريضا اشد المرض ، فلما خرجوا من المرسى وكانوا على الجوامر ، مات ودفنوه هناك في الجامور ، ورجعوا للجزائر .

واما المحلة ، فان عمر آغــا بعدما رجع من وهران ، ذهب بها لناحية تونس ، وكانت العمارة تقدمت عليه . فلما وصل قرب الكــاف بلغه رجوع العمارة الى الجزائر ، فرجع بالمحلة ولم يكن قتال بينه وبين اهل تونس ، وكفى الله المؤمنين القتال . ولقد كان مرادهم قتال أهل تونس برا وبحرا . فنقض

الله عزيمتهم بثورة الباي عليهم ويقال ان سبب ثورة الباي ان الآغا جعل له السحر حتى افسد عقله لانه كان يبغظه ولا يستطيع ان ينفذ فيه كلمته ، لان الامير قال لوزرائه يوما من الايام : لا تاذوني في الباي محمد ولا في القبطان حميدو . واني لا اقبل فيهما اي كلام . وقيل انه لما اراد السفر الى ناحية تونس ، وامر عماله وكبراء رعيته بان يتهياوا للسفر ، فلم يقبلوا الخروج من وطنهم ، فدخلوا على الباي ووسوسوا له من جهة عدوان الآغا . واظهروا له النصح في ذلك ، واشاروا عليه بان يثور على الامير ويستقل بنفسه يدا مع مولاي سليمان سلطان المغرب (17) فاغتر بذلك ، وكانت عاقبته انهم هم الذين قبضوه واوثقوه .

وهذا من قلة عقله ، فانه طمع ان ينصره البربر ، وكم من أحد اغتربهم واوقعوه في بهموت (18) لا قعر له كما تقدم ، مثل واقعة مولاي اسماعيل سلطان المغرب من الاشراف مع من تقدم من الاتراك (19) ، ولله سر في تقلب الزمان ، وهو كل يوم في شأن .

الحرب ضد اليونان :

وفي سنة 28 (20) سافرت المراكب الجهادية بقصد الغزو على الكرايك(21) ومعهم القبطان حميدو ، فاخذوا منهم اكثر من عشرين مركبا موسوقة بالقمح والسلع ، منها ثلاثة كرايط (22) قرصان الا انها من غير مدافع . وعندما وصلوا للجزائر عمرها الأمير بالمدافع وصارت من جملة المراكب الجهادية . وقسموا ما تحصل من دراهم الغنيمة فكان تسعة دورو في كل سهم .

كيفية قسمة الغنيمة :

وكان كل واحد من الغزاة ياخذ ما هو معين له . فمنهم من ياخذ سهما واحدا . ومنهم من ياخذ سهمين ، مثل الطبجي (23) ومنهم من ياخذ سهمين ونصف ومنهم من ياخذ ثلاثة ونصف وهو صاحب الدمان (24) ومنهم من ياخذ اربعة ومنهم من ياخذ خمسة (25) .

الغزو ضد السويد والدانمارك :

ثم سافرت المراكب الجهادية أيضا وغنمت من مراكب السويد وديل المرك (26) عشرين مركبا كانت مشحونة بالسكر ، والقهوة وكوكا ، وغيرها من السلع وبيع ذلك وقسموا دراهمها فكانت 24 دورو في كل سهم .

مشادة من أجل أسير :

كان هرب من الجزائر أسير برتقيز من ناحية خارج باب الواد ، وحمله مركب اسبانولي صغير . فلما بلغ خبره الى الأمير ، أمر بحجز جميع ما وجده في المرسى من مراكب الاسبانيول ، وبعث لراي (27) اسبانيا والزمه بالاتيان بالأسير ، والا فانه يفعل معه الكثير . فبعث به للجزائر . فلما وصلها ، اطلق الأمير سراحه ، اكراما لراي اسبانيا . وأنه اراد ان ينفذ أمره لا غير . فانظر سطوة هذا الملك (الحاج علي باشا) مع النصارى ، وما أعطاه الله من الرعب والنصر .

الصلح مع البرتغال :

وكان البرتقيز قد جاءوا سنة 27 لعقد الصلح ، بعد ان توسطت له الوسائط ، فانعقد الصلح ، ودفع مليونين ونصف ثمن الصلح ، وافتدى جميع اسراه الذين من جنسه بألف دورو (28) لكل واحد وفرق الأمير على العسكر من دراهم الصلح عشرة دورو لكل واحد .

أعمال عمرانية :

وكان الأمير قد بنى باب الجهاد بالمول (29) وبنى المخازن التي بين البلد وبرج الفنار ، وجدد قنطرة وادي الحراش وبني قنطرة وادي شلف .

العودة لحرب اليونان :

ثم أمر بخروج المراكب الجهادية الى غزو مراكب الكرايك فاخذوا لهم مراكب . ثم جاء الأمر من الدولة العثمانية بوجوب ارجاع تلك المراكب واطلاق سراح الأسرى منهم فما كان لوكيل الحرج من جواب على ذلك الا أنه أمر بشنقهم ، وصلبهم على صواري المراكب الجهادية . واجاب الأمير الدولة العثمانية بجواب قبيح حتى أنه قال لهم ان بقيتم على هذه الحالة فان الكريك ياخذون نساءكم . فلما بلغهم الجواب أثر فيهم كثيرا وقالوا ان هذا الرجل عاصي السلطان ، وحصل لهم حقد كبير عليه .

وبعد وفاته بسنتين ، ثار الكرايك على السلطان محمود ، ومكروا بالمسلمين ونسائهم بكيفية لا توصف . وعندما وقع من الكرايك ذلك ، تذكروا كلام الحاج علي باشا ، وصاروا يترحمون عليه .

قتـل وارهـاق :

وفي سنة 36 صلب رجالا من جبل مزاية ، لان أهل الجبل قتلوا عسكريا ، ولم يقروا على القاتل ، ولم يبينوه فقبض على هؤلاء المتهمين وبعث لهم لكي ياتوا بالقاتل ، وان لم يأتوا به فانه يقتلهم في مكانه . فلم يمتثلوا لأمره ، فصلبهم جميعا في يوم واحد وذلك سنة 37 .

ثم انه قتل من كبراء اليهود عددا ، فبعضهم لأنه لبس اللباس الأخضر ، وبعضهم في ليلة عيد الفطر وبعضهم في يوم عاشوراء . وأحرق بعضهم لأنهم اكلوا اموال الناس بالباطل والزم اقاربهم بان يسددوا الأموال .

وفي آخر امره اختل نظامه وصار يقتل الناس . فقتل البعض من اهل البلد، قتل وليد جخطوم وابن صيام ، وابن اللمداني لأجل انهم كانوا اصحابا لمحمد باي وهران (الثائر المقتول) وقتل رجلا غريبا من القدس للسبب المذكور ، ظلما وعدوانا . وقتل البار باري صهر احمد باشا وقتل ترجمانه ايضا . قيل انه ما اختل نظامه ووقع منه هذا الامر ، الا لان عمر آغا سحره . وقيل انه كان منجما وراى نفسه انه يقتل .

وعمر آغا كان يخاف من الأمير خوفا كبيرا . وكان يوما من الأيام ، أمر ببناء قنطرة ابن هيني ، على مرحلتين من الجزائر الى الناحية الشرقية . فخرج ، وابتدأ في بنائها . ورجع للجزائر ليستريح . فامره الأمير بقتل عسكر الزواتنة (30) على ما قيل .

التآمر عليه وقتله :

فاتفق الآغا مع وكيل الحرج عبد الله ، بدار الامارة على قتل الأمير . ثم عاد عمر آغا الى اكمال عمله ببناء القنطرة المذكورة ، وبقي ينتظر خبر موت الامير ، الى يوم الثلاثاء في ربيع الثاني من سنة 30 (31) دخل الامير الحمام ، فاتى وكيل الحرج المذكور واغلق عليه الباب وأمر واقد النيران ، على لسان الأمير ، ان يقويها . فكلما زادها قوة ، امر بالزيادة والأمير ينادي في الحمام على مماليكه ، ولا يسمعه أحد . وصار يخدش في الباب ، الى ان اغمي عليه . ففتح وكيل الحرج عندئذ الباب ، ودخل اليه وذبحه ، واخرجه لسقيفة الحمام ، وأبقاه هنالك واوصد عليه الباب ، وتوعد المماليك بان لا يخرجوا هذا الخبر . وكان وقت الضحى ، فبعث الى عمر آغا وأوصى السيار وقال له : ان لم تكن عند عمر آغا في وقت كذا ، فلا تلومن الا نفسك .

فذهب . ومن الغد قبل طلوع الفجر ، كان الآغا قد دخل الجزائر . ولم يكن عند الخزناجي خبر بذلك . لكبر سنه ، فبعد صلاة الصبح ، ذهب الوزراء لدار الامارة كعادتهم ، وفتحت ابوابها ، ودخلوا وشربوا القهوة . فقام عمر آغا في وسطهم ، واخبرهم بموت الأمير ، وقال لهم : ان الخزناجي هو الذي يتولى ، فوافق الوزراء على ذلك ، الا الخزناجي الذي امتنع كل الامتناع .

اهم ما لم يذكره المؤلف

1 ــ حاول جعفر باي تيطري اخضاع عصيان أهل الأغواط وناحيتها ، فاخفق في اخضاع العصيان الذي ثار فيما بين سطيف والمدية وبوسعادة . ثم اخضعت من بعد .

2 ــ يوم 6 جويلية من سنة 1814 ، جاءت سفينة فرنسية تخبر الداي رسميا عن تنازل الامبراطور نابليون بونابارت يوم 20 افريل من تلك السنة . فتقدم ابناء اليهودي بوشناق (الذي كان أعدمه نفس الباشا) بمطالب جديدة في شأن ديونهم على الحكومة الفرنسية . واقتنع الباشا بصحتها ، وكلم قنصل فرنسا في ذلك ، فلم يجب بشيء وانسحب من البلاد .

3 ــ ثارت خلافات بين الجزائر ودولة الولايات المتحدة الأميركية فاعلن الباشا الحرب عليها ، واطرد قنصلها من البلاد .

4 ــ كانت ايامه كلها اثناء سلطنه محمود الثاني العثماني . وكانت مدة حكم هذا السلطان طويلة كئيبة مضطربة ، تخللتها الى جانب فوضى الجيش ، عدة حروب خاسرة مع الدول الأروبية المختلفة .

5 ــ كان القاضي المالكي ايامه : الشيخ الحاج علي بن عبد القادر والشيخ محمد بن محمد بن علي .

6 ــ من اهم الوفيات التي حدثت في عهده ، وفاة الشيخ العلامة محمد الحفصي القسنطيني .

التعاليق

(1) 1224 (1809)

(2) الذي سمعته من قدماء العارفين بمدينة الجزائر انه كان حقا من سلسلة الأشراف ، ذرية الرسول الاعظم ويقولون انه كان عربيا من الشام .

(3) القطر الجزائري

(4) سفينة حربية

(5) المحيط الاطلسي

(6) مضيق جبل طارق

(7) النظارة المكبرة التي ترى من بعيد

(8) تقدم ذكره ، وهو قطعة فضية تمثل دورو مزدوج

(9) 1225 (1810)

(10) أي عذبهم عذابا شديدا . قال ابن أبي الضياف (ص 15)
ثم بلغ الباي ان صاحب الجزائر يريد غزو تونس في البحر ، فجهز اسطولا به 24 مركبا حربيا ، وشحنها بالعسكر ، وأمر عليها القبطان محمد رايس المورالي . فخرج ليلة الثلاثاء الرابع عشر من ربيع الثاني سنة 1226 (7 ماي 1811) وكان يومئذ أكثر رؤساء المراكب من الأرناووط (سكان الباتيا . المطلق) فانفوا من تقديم محمد المورالي عليهم . فلما التقى بمراكب الجزائر خذلوه وأسلموه فدافع عن نفسه أسطول الجزائر وحده ، ومراكبه تنظر اليه ، لم يعنه أحد منهم بشيء فاستمات للقتال حتى عطبت فركاطته » ورجعت بقية الشقوف لحلق الوادي . بعد ان اسلموا أميرهم ليد العدو . ولما أتوا باردو دخل قبلهم الى الباي رجل شاب اسمه محمد الازميرلي — ادركناه — من سكان قليبية — وكان من عسكر المراكب — فبكى وقال : ان هؤلاء الرؤساء كسونا معرة لا تحتملها النفوس ، فسرحني أرجع لبلادي » وقص عليه الخبر ، وتحقق الباي ذلك من بقية العسكر ، وشاهد الحال بصدقهم ، لأن مراكبهم اتت سالمة كما خرجت ، فاحضرهم وقبح صنعهم ، ونفاهم لقرى تونس ، مرموقين بعين احتقار ، ومذلة ، موسومين بخيانة »

(11) كساهم البسة مطرزة بالذهب

(12) 1226 (1811)

(13) سبق بيانه ، أي دفع ما عليه للدولة من ضرائب وجبايا

(14) 1127 (1812)

(15) الباب الذي كان موازيا للمرسى الحربي بالجزائر والذي كان المجاهدون يخرجون منه للغزو

(16) اصطلاح أروبي : بيت القيادة .

(17) مع أعظم وأشهر سلاطين السلالة العلوية الشريفة تولى الملك سنة 1206 ، وتوفاه الله معتزلا الملك سنة 1238 .

(18) اشتقاق من كلمة البهائم ، على صيغة ملكوت ، وجبروت ، وعظموت .

(19) لم يذكرها المؤلف فيما سبق

(20) 1228 (1813)

(21) الكرايك هم اليونانيون الذين كانوا ثائرين على الدولة العثمانية من أجل الانسلاخ عنها ، مؤيدين في ذلك من طرف : روسيا وانجلترا وفرنسا . وستتوالى اخبارهم فيما يلي

(22) كرابيط سفن حربية صغيرة اسمها الفرنسي كورفيت

(23) الجندي القائم على أمر الضرب بالمدافع . وكلمة « طوب » التركية معناها المدفع

(24) الدمان هو الآلة التي تحرك السفينة .

(25) وذلك بعد دفع الخمس لبيت المال . كما تقدم

(26) الدانمارك

(27) ملـك

(28) سبق ذكر الدورو الذي كان — ولا يزال — العملة الاسمية المعمول بها في الجزائر . فيقولون لك اليوم مثلا ان الدينار الجزائري هو 20 دورو أي خمس فرنكات قبل الحرب العالمية الأولى

(29) مرسى المراكب البحرية

(30) عسكر الزواتنة هم الكولوغلية الذين أسكنوهم وادي الزيتون . وكانوا من اب تركي وأم جزائرية

(31) 1230 (1814)

ذكر ولاية
محمّد باشا

سنـــة 1230 (1)

ولما وقع الاتفاق على الخزناجي اجلسوه على سرير الملك واجتمع الديوان والفقهاء واعيان البلد ، وبايعوه واستقر بالملك . وكان له ابن فادعى الآغا المذكور بان ابنه يخرج المال من السراية وكذا وكذا فذهب اليوم السابع عشر من ولاية الأمير الى قشلة العسكر كانه هارب ، وكـــان مراده خلع الباشا الجديد وان يتولى هو مكانه فثار معه العسكر من اجل هروبه اليهم وذهبوا لدار الامارة ، وبعثوا له بالخلع فاخرجوه من دار الامارة وادخلوه لموضع قتل العسكر وخنقوه رحمه الله وكان رجلا كبيرا دخل في مدة التعمير (2) .

الصاعقــة :

وفي ليلة المولد من سنة الثلاثين نزلت صاعقة على برج الفنار ، وتهدم بعضه ، وتداركنا الله بلطفه والا لكانت البلد تتهدم بالبارود الذي كان هناك .

أهم ما لم يذكره المؤلف

1 ــ الحقيقة ان سبب قتله هو انه كان يعلم ان عددا كبيرا من الجند لم يكن له وجود وكان خزناجيا مدة طويلة واطلع على جلية الأمر وعلم ان عددا من الموجودين كان يتسلم مرتبات ومخصصات الجند المفتعل فامر عندما تولى الحكم بتصحيح دفاتر الجيش والغاء مرتبات الذين لا وجود لهم . فاثار اصحاب الفتنة وعلى رأسهم الآغا ثائرة الجيش . ووقع ما وقع .

2 ــ كانت ولايته ايام السلطان محمود الثاني

3 ــ قضاته كالسالف .

التعليــق

---

(1) 1230 (1814)

(2) أي ارذل العمر

ذكر ولاية عمر باشا (1)

في ربيع الثانية سنة 1230 (2)

ولما قتلوا محمد باشا ذهبوا للقشلة واتوا بعمر آغا وولوه باشا ، واجتمع الديوان والفقهاء ونقيب الأشراف واعيان البلد ، ورؤساء المراكب الجهادية واطلقوا المدافع ورفعوا العلم العثماني وضربت النوبة . وبعد استقراره بالملك اشتغل باحضار الهدية للسلطان محمود (3) .

الجـــــراد :

وجاء الجراد في هذه السنة . اوله اتى طائرا ، ثم غرس (4) واقام اياما في الأرض ثم خرج واكل الزرع والأشجار والثمار ووقع الغلاء في تلك السنة واعطى الأمير القمح لجميع الخبازين وجعل له سعرا على سعر ايام الرخاء وأمر الخبازين ان يقوموا بعمل ما يلزم للبلاد لكن صار الناس يقتتلون (5) على ذلك الخبز . وبقي الأمر كذلك الى ان وجد الزرع الجديد ، وقد اخصبت الأرض تلك السنة ورخصت الاسعار والحمد لله .

الحرب مع الأمريكان واستشهاد حميدو :

وفي ايام غرس الجراد ، امر الأمير بسفر خمسة مراكب وعليها القبطان ، ثم جهز خمسة مراكب اخرى . من اجل غزو النابوليطان . والقبطان عليها هو الحاج عثمان ، من الاتراك (6) .

وعندما دخل القبطان حميدو الى البغاز اخذ خبرا بان عمارة المركان قاصدة للجزائر لطلب الصلح ، وكانت مؤلفة من تسعة فراكط ، وبرايد ، وسكونات فرجع للجزائر ، واخبر الأمير بقدوم المركان لطلب الصلح ، فقال وكيل الحرج للأمير ان رجوع القبطان حميدو قبل اتمام سفره انما هو من اجل العمل على

رأيه الخاص واظهار أنه يفعل ما يريد . فلما سمع القبطان مقالة وكيل الحرج بعث للأمير وطلب الاذن بالسفر فاذن له فسافر بعد ثلاثة ايام وذهبت معه بلاندرة ، والغليوطة ، وبعد أيام افترق مع البلاندرة والغليوطة ، ثم التقى مع الأمريكان على قابواكاطة ، وهي عشرة مراكب ، فاحاطت به ، وابتدأ القتال . فدخلت عليه كورة ، وهو واقف على كرسيه ، فقسمته الى نصفين ، ومات رحمه الله في اول القتال ، فتقدم اليه خليفته احمد ولد عمر ، ويسمونه الباش رايس ، وحمله ، والقي به في البحر ، ووقف في مكانه للقتال فقاتلهم خمس ساعات ، واستشهد الكثير من المسلمين وتكسرت الفركاطة ودخل الماء بخزنة البارود ، وكانت كثرة المجاهدين الباقين جرحى ، فمنهم من قطعت له يد ، ومنهم من قطعت يداه معا ، ومنهم من فقد رجليه . وقل بذلك الضرب عن المسلمين ، فهجم المركان عليهم واخذوهم . فلما صعد النصارى للفركاطة سالوا حالا عن القبطان حميدو ، فاخبروهم بموته فحصل لهم غيظ كبير وقد حكي لنا من شاهد هــذا القتال ان النصارى عنــدما سمعوا بموت حميدو صاروا يضربون الأرض بارجلهم غيظا منهم علــى موته . ثم حملوا بقية المسلمين اسرى الى مراكبهم وادخلوا الفركاطة الى قارطاجنة والتقوا مع البلاندرة فاخذوها الى قارطاجنة (8) ، ثم اتوا الجزائر وطلبوا الصلح مع الأمير ، فامتنع عن مصالحتهم . ولما اخبروه باخذ الفركاطة والبلاندرة وموت القبطان اشتد غضبه ، وقال لا نصالحهم ابدا فبينما هم كذلك ، اذ طلع الكربيط من ناحية تماتفوس (9) ، وكان بعنابة فلما رآه العدو بعث له فركاطتين ، ثم بعث الميزانت (10) زورقا للمرسى ، وقال لهم ان لم تصالحوني فانا آخذ الكربيط ، فعظم الأمر على الباشا بان ياخذ له العدو الكربيط قبالة البلد ، ولا طاقة له على منعه ، فجعل معه الصلح في تلك الساعة وجعل المركان اشارة للفركاطتين بالرجوع عن الكربيط وانزل اسارى المسلمين والتزم باصلاح الفركاطة وارجاعها واما السبانيول ، فقد اتوا بالبلاندرة ورجالها لكونها اخذت قرب بلادهم (11) .

الحــرب ضد نابولي :

امــا المراكب الخمسة التــي ذهبت لناحية المشــرق فدخلت الى غلف بلينسية (12) وبعثوا سرية عــلى ارض النابليطان فقبضوا على اربعماية وخمسين اسيرا من النصارى وفيهم البعض من النساء والذراري نحو الخمسة عشر ، وفزع لهم النصارى ، فتقاتلوا مع من لحق بهم اولا ، ثم خلصوا منهم وركبوا زوارقهم وحملوا الأسرى الــى المراكب . ولما خرجوا من الغلف ،

أخذوا مركبين ، مركب سيسليان ومركب حسونة «ورديار باشي» تونس ، ولما كانوا قرب حلق الواد لقيهم مركب من قرصان الانكليز ، فسلموا له حسونة كي ينزله بتونس ، فلما وصل عمر سكونة (13) قرصان ، وخرج في طلب مركبه الذي أخذه أهل الجزائر . فلحق به عند جزيرة مالطة . وكان القبطان الجزائري عندما أخذ مركب حسونة ، سلمه لقيادة رايس من رؤساء الجزائر اسمه الحاج مصطفى وليد عيسى (14) وكـان تاخر عن قرصان الجزائر فعندما لحقتـه السكونة التونسية وعرفها استقام اليـها ليقاتلها فلما رآه التونسي كذلك رجع عنه ، والجزائري عندما رآه قد رجع عنه ذهب في طريقه والتحق برفقائه في مرسى عنابة ، وقد كانوا سمعوا بموت الرايس حميدو فرجعوا للجزائر .

غـزوة بيضاء :

وفي سنة 31 (15) أمر الأمير بتجهيز عشرة مراكب جهادية وجعل القبطان عليهم دالي حسن ، من الاتراك . وبعث بهم للبحر المحيط لغزو الفلامينك (16) فسافروا ، ودخلوا البحر الـكبير ، وما وجدوا مطلوبهم ، فلـما اتموا أيام سفرهم رجعوا للجزائر .

الانتقام لحميدو :

وبقي الأمير مغتاظا على وكيل الحرج الذي تسبب بكلامه في سفر حميدو حتى لقي حتفه ، فأمر بعزله عن سخط ، وذهب لباب الجهاد بنفسه واجتمع مع قباطين البحر ، وقال لهم : أنا لا اعرف أمر البحر فانتم المكلفون به اما أمر البر ، فانا له . ثم خلع (17) على رؤساء المـراكب الذين كانـوا بالبحر ، كبابيط (18) كلها ذهب .

الغـاء الأسر :

وقد ذكرنا أنه اشتغل باحضار الهدية للدولة العثمانين عند توليه الملك . فلما حضرت ، طلب من الانكليز ان يبعثـوا له بفركاطة لتحمل الهدية الى استامبـول .

وفي تلك السنة ، إتفق جميع الرايات (19) مع السلطان محمود على الغاء الاسر فالمسلمون لا ياسرون النصارى والنصارى لا ياسرون المسلمين واتفقوا على ذلك .

فقدم الانكليز للجزائر بعمارة واخبر الأمير بذلك ، وما اتفقوا عليه مع السلطان محمود وان الأسارى النصارى الذين بكامل الوجاقات كلهم تسرحوا من غير فدية . أما الأسارى الذين بالجزائر فانه أتى لكي يحملهم ، ولكن بعد دفع الفدية . وقالوا للامير : اننا ندفع نصف الفدية هذه المرة وناخذ كامل الأسرى وبعد أيام نكمل بقية اموال الفدية . فقال لهم الأمير : انه لا يعطيهم من الأسرى الا على مقدار ما يدفعونه من المال وعندما يأتي ببقية الدراهم ، يأخذ بقية الأسرى . وكان الميرانتي الانكليزي قد طلب من الأمير حمل كافة الأسرى ، واغتاظ وتكلم بكلام قوي فأطرده الأمير . وقال له لا نعطيك ولا اسيرا واحدا ، ولا نبطل الأسر ، وافعل ما بدا لك .

فلما انفصل الميرانتي من عند الأمير ذهب لوكيل الحرج بباب الجهاد ، ليتكلم معه ، وتكلم معه كلاما فاسدا فاغتاظ وكيل الحرج . واشتدت المناقشة فضرب وكيل الحرج الميرانتي فرجع لعمارته .

اما وكيل الحرج فقد ذهب الى باب الجهاد ، وامر المجاهدين بتعمير الابراج ، وبمقاتلة الانكليز اذا بدأوا القتال — وفي ذلك الوقت جاءت الفركاطة التي تعينت من لندرة لحمل البشكاش (20) فارست ، وذهب رايسها للميرانتي وتكلم معه ، ثم انه ركب زورقه واتى للمرسى . فتلقاه قائدها ، وساله عن مهمته ، فأجابه بانه أتى من لندرة ليحمل الهدية ، فاوقفه هنالك ورجع للأمير فاخبره بامره فاذن له في الدخول فدخل ، والتقى بالأمير ، واخبره بمجيئه لحمل الباشكاش ، ففرح به الأمير ، وقال له : كيف نبعث معكم الباشكاش . وأنتم الآن أعداء ، فقال له : اما انا فلا عداوة بيني وبينك . وانا اتيت في خدمتك . وصار يلاطف الامير ، وقال له : انا أذهب للميرانطي وانظر كلامه . وأصالح بينكما ، ولا تكون العداوة بيننا ، ان استجاب لي . فأجابه الأمير : ان كان من أجل خاطرك ، فيجب ان يدفع نصف المال ، ويأخذ نصف الاسرى وعندما يكمل الدراهم يحمل النصف الآخر . فذهب . ثم رجع اليه ، وقال له : غدا ندفع نصف الدراهم ، ونحمل نصف الأسرى والبقية تدفع على أجل قدره شهر ونحمل بقية الأسرى .

الصلح مع النابليطان :

ثم تكلم معه في أمر الصلح مع النابلطان فاجابه الى ذلك ، ونزل الميرانتي ، وعقدوا الصلح مرة أخرى ، وذهب الميراتطي الى مالطة ونادى رايس الفركاطة ، وواعده بيوم السفر ، وحمل الباشكاش ، واحسن اليه بكبوط محلى بالذهب ، وسيف بالذهب ، فرجع الى جفنه واشتغل برفع الهدية ، بعد

ان عين الأمير آغــا الباشكاتش ، وجعل في السفينة الانكليزية ، الأشياء المهمة . اما مادونها فقد حملها مركب آخر ، وسافروا الى استامبول .

الهدية للسلطـــان :

ويحكى من هذه الهدية التي بعث بها هذا الأمير ، انه لم يقدم مثلها امير قبله ، ولا امير بعده ، وكثرتها من احجار اليواقيت ومن الجوهر النفيس (21) ومن الذهب الابريز ، وقد قدرت حجرة واحدة من الحجارة المرصعة في سرج من السروج بستة وثلاثين الف محبوب أو دورو وهذا شيء لا يقدر بثمن . انما يعبر الناس عنه بالخزائن .

اخذة رابية في ساعة نوم :

ولما انتهى الأجل الذي جعلوه مع الانكليز ، كتب الى جافر باي قسنطينة ، وامره بان يمسك مراكب النابوليطان الذين يصطادون المرجان في ناحية عنابة ، ويبقيهم هنالك عنده ليجبر جنسهم على دفع الفدوة (22) . ثم أمر الانكليز بان يعطوه ما عين لهم ، لان الانكليز يؤدون على ذلك مالا معلوما (23) في كل سنة ، بعضه يدفع لخزينة الجزائر ، وبعضه يدفع لخزينة قسنطينة . وهم مقابل ذلك يسمحون لباركوات (24) النصارى بان يصطادوا لانفسهم المرجان من بحر طبرقة الى بحر سكيكدة . وفي يوم الاحد ، أو في يوم يكون البحر في هيجان يدخلون مرسى عنابة أو القالة ويشترون ما يخصهم ، من المونة . وكانت صيادة المرجان قبل ذلك بيد الفرانسيس ، ولم ادر ما السبب في نزعها عنهم (25) .

فارسل الباي لعامل عناية يامره بقبض مراكب المرجان التي بمرسى عنابة . فلما قرا الكتاب ، امر اهل البلد وجماعة النوبة (26) بقبضهم ، فاذا بهم هجموا على مراكب المرجان وقتلوا منهم نحو المايتي نصراني ، ونهبوا المرجان الذي بداخلها وقد هربت زوج باركوات لبلادها .

وسمع النابوليطان بما وقع لرعيتهم ، وكانوا يجمعون مال الفداء ، فبعث الراي للميرانتي (الانكليزي) بمالطة واخبره بما وقع .

ثم ان الانكليز قدم بعمارته للجزائر . وعندما خرج من مالطة التقى مع عشرة من فراكط الفلامنك ، وكان الانكليز قبل ذلك قد رغب من الأمير ان يجعل معهم الصلح ، فلم يقبل الأمير الصلح ، واشترط عليهم شروطا لا يطيقونها ، فلما لقي الفلامنك عمارة الانكليز طلب منها ان تاتي معها ، لكي يتوسط لهم في الصلح مع الامير مرة اخرى .

ووصلوا للجزائر في اليوم الثالث من عيد الفطر (27) ، قبل الزوال . فلما توسطوا الجون ، ارسى سفنه وبعـث زورقا يحمل رسالة للأمير وجعل الرايات البيضاء فوق السفن علامة الامان الى ان يتكلموا . فتلقاه قائد المرسى وسأله عن مجئيه فناوله الكتاب ، وقال له : نريد الجواب في ساعتين . وبقي هنالك يترجى الجواب عند باب المرسى ، وذهب قائد المرسى للأمير بدار الامارة ، فوجده نائما ولم يوقظوه ، حتى انتهى الأجل ، ورجع زورق الانكليز وكان الامير قبل ذلك يجلس كل يوم في باب الجهاد من الصبح الى المساء . وبعض الليالي يبيت هنالك . لكن اذا اراد الله امرا هيأ اسبابه ، حتى كان ذلك اليوم ، فدخلت العمارة رافعة راية الأمان البيضاء . فبعث القبطان لوكيل الحرج ، وقالوا له ان هذه العمارة داخلة للمرسى فيجب أن نضربها قبل أن تدخل تحت الأبراج لانها ان دخلت تحت المدافع اهلكتنا . فقال لهم : كيف نضربه وهو حامل للراية البيضاء ؟ قالوا له : هذه خدعة . فمنعهم عن الضرب فاغلظوا له القول . فقال لهم : من ضربه بمدفع قتلته . الا اذا اتانا الأمر من الأميـــر .

وهكذا دخلت العمارة تحت الأبراج وارست ، والناس ينظرون اليها الى أن أصبح قريبا من الارض ، وصار يشير للناس بان يختفوا فلم يفهموه حتى ان بعض البهائم (28) من الناس قالوا ان تلك الاشارة مبايعة للأمير . وبعث الاميرانتي سفن الفلامينك تحت بـــرج يسمى براس سفورة ، مقابل باب المرسى ، ورتب مراكبه كيف شاء . فعند ذلك استيقظ الامير من رقدة اهل الكهف ونظر الى البحر ، فراى العمارة ارست بباب المرسى ، فخرج فازعا وهو يهرول حتى خر جمن باب الجزيزة ، وقابل الابراج وهو يجر رداءه وصار يشير وينادي اهل الأبراج ويامرهم بالضرب . فضربوا المدافع في الهواء . الا ما قل قبالة بعض مراكب العدو . فلـــما راى العدو أن الضرب ابتدأ من عندنا ، اخذ يضرب هو ايضا . حتى تصمم جميع الناس ، وبقي يضرب في ظهور الأبراج وفي البلد . فجاء العسكر الى الجامع الأعظم ، وضربوا منه العدو بالرصاص ، لان سفينة الميرنتي كانت تحته ، وقتلوا النصارى الذين كانوا على ظهر السفينة . وكان جانب السفينة محاذيا للجامع ، فصار يرمي الكور على الجامع حتى هدم شطره ، وهرب من كان به من العسكر . وكثر الهدم في الابراج ، وتعطلت المدافع . وفـــي أول المعركة ، ضربت سفينة للعدو ، اللنجون الذي كان بداخل المرسى ، ففسد جله ، واستشهد اكثر رجاله ، فما منع منهم الا القليل ، هربوا للأبراج .



عمر باشا يتفاوض مع رؤساء البحر الانكليز

وبقي القتال من ابراج المرســــى ، ببعض المدافع المقابلة للعدو ، وهو يضرب الأبراج بالبومبة والكور ، بجميع مراكبه ، الا برج راس سفورة ، وبازائه طبانة (29) سيدي مبارك ، وفيها نحو عشرة مدافع مع الماء ، لا يلحقها ضرب العدو . فقاتل رجالها فراكط الفلامينك قتالا عظيما يرضى الله ورسوله . واهلكوا تلك الفراكط ، فاشار اهلها الى الميرنتي بهلاكهم ، فامرهم بالمقام من أجل حمايته اذ لو ذهبت تلك الفراكط لهلكت سفينته من ذلك البرج .

ولما كان وقت الأسفرار بعث فلوكة لداخل المرسى لكي يحرق مراكبنا ، فضربها بعض الناس من سقيفة برج راس المــول . فمات اكثر من فيها ، ورجعت الفلوكة . ثم بعث فلوكة اخرى ، وصار يضرب الموضع الذي ضربوا منه الفلوكة بالمدافع الى أن دخلت وأوقدت النار فــي السفن المحاذية لها ، فالتهبت نارا الا مركبين كانا داخل المرسى قريبين مــن البر . وصار الليل نهارا من ضياء النار ، وبقي الأمر كذلك الى شطر الليل .

وقد رايت طيورا بيضاء ، تحوم على البلد والأبراج وانا بعيد عن البلد قدر ساعة من الزمن ، وما رؤيتي لتلك الطيور الا مــن ضوء النار ، وأنا اذاك ببستاني (30) مقابلا للبحر والمرسى والبلد . وعندما ابتدأ القتال لم يقدر احد من اهل البساتين على الذهاب للبلد لأن الطرقات قد قطعت من ضرب الكور الذي كان كالمطر الغزير ، فكنت لا ترى الا الغبار . وبعدما راينا الطيور تبدل مجرى الريح ، واصبح ريح بر ، واعطى الله المطر في تلك الساعة . وصار الريح يخرج مراكبنا من المرسى ، بعدما احترق رباطها ، وكلها صارت نارا ثم ان العدو قد نفذ له البارود ، فرفع مخاطفه ونشر شراعاته وخرج . فعند ذلك رجعت الحياة للمسلمين ، وقاتلوه قتالا عظيما ولما بعد عن رمي الكور ، ارسى السفن بوسط الجون .

ومن الغد بعث الميرنتي زورقا فيه مكتوب مضمونه : يجب ان ترجعوا لنا ما أخذتم من الدراهم التي دفعناها لكم سابقا . وتعطوني جميــع النصارى الذين هم اسرى عندكم . وتجعلوا الصلح مع الفلامينك . والا فاننا نجدد القتال . فلما وصل الكتاب للأمير ، اجتمع عنده عسكر الأتراك ، وجميع الرؤساء وقرا الكتاب وسالهم ما تقولون ؟ فتكلم الرؤساء لأنهم اهل المشورة في امور البحر ، وقالوا : لا نعطيه الدراهم ولا الأسرى ونقاتله .

فقام رجل من أحقر العسكر واصغرهم ، فقال لهم : باي شيء نقاتله ؟ ان المدافع كلها تحت الردم (الانقاض) فاجابوه بان مراكب العدو كلها تكسرت وعلامة كسرها انها استقبلت البحر ولم تستقبل الريح . ومن عادة المراكب

انها اذا ارست فتكون مستقبلة للريح وهــم الآن مستديرون وقد جعلوا المخاطف من جهة البــر ، وعلى مقدار مـــا يستطيع العدو اصلاح مراكبه ، نستطيع نحن أن نرفع التراب والحجر ، ونظهر مدافعنا ، ونقاتله على البعد ولا نتركه يدخل كالمرة الأولى . فاجاب ذلك التركي وقال للأمير : اعطه ما طلب واجعل معه الصلح . ولا نقاتله . فكثر الكلام ، وعلت الأصوات ، حتى كاد يكون ما يكون .

واخيرا قال لهم الامير : اكتبوا له . واعطوه ما يريد . وهكذا وافق الظالم سفهاء العسكر ، ورد له المال ، واعطاه النصارى وعقد معه الصلح .

الصلح مع الفلامينك :

وكذلك عقد الصلح مع الفلامينك ، ولــم يدفعوا شيئا مما كانوا يطلبونه منهم ، وهو غرامة سبع سنين . وكان الفلامينك يعتزمون ان يدفعوا غرامة ثلاث سنين ، ثمنا للصلح ، تدفع في أجل معلوم .

الصلح مع الانكليز :

وكان اتى قبل ذلك اليوم بورمورت لعقد الصلح . ولم يقبل منه الأمير وبقي أياما قبالة الجزائر ، حتى قدمت فركاطة وكربيـــط جزائريتان ، وكان رايس الفركاطة جلاق حسين ، ورايس الكربيط الحاج أحمد الحداد ، رحمهم الله . فلم يروا العدو ، لأن الفركاطة كانت عندما طلع النهار قرب المرسى ، حتى كادت تصادم البر ، ثم دخلت . أما الكربيط فانه كان عند طلوع النهار ، أمام تماتفوس فعندما راى العدو قريبا منه اقترب من البلد ، ولحقه العدو ، ووقع القتال بينهم ، الى ان وصل الى مرمى الكور من الأبراج ، فرجعوا عنه ، وحفظه الله منهم . واغتاظ الأمير على رايس الفركاطة ، لأنه دخل ، وترك الكربيط وحده أمام العدو ، والله المستعان . وكان ذلك اليوم ضبابا .

ومن ولاية هذا الظالم تقهقرت بلادنا ورجعت الى الوراء . ولو شاء الله لكان الانكليز اخذ البلد هذه المرة ، لكن لازال أجلها . لأنه عندما دخل المرسى وافسد ابراجها ، لم يبق له الا انزال عسكره . والبلد كانت فارغة من الناس لأن أكثرهم ساكن بالبساتين ومقيم فيها لأنها كانت أيام العيد .

وعندما وقع الصلح ونــزل القنصل ، وضربوا مدافع الصلـــح ، حمل المخاطف (31) واستقبلت سفنه الريـــح كعادتها فعند ذلك ظهــر تكسيرها وفسادها ، وحصلت للأمير ندامة . وبقي أياما وهو يرقع مراكبه ، وعندما رجعت مراكب الانكليز فسد بعضها في الطريق ولم تصل بلادها . وهذا كله من فساد راي الأمير ، وراي المفسدين من العسكر .



تلاحم الاسطولين الجزائري والانكليزي امام الجزائر

وقد رايت العسكري الذي اشار بالصلح مع الانكليز ، رأيته لم يمت الا بعد ان اشتاق الى الموت وما وجده ، ولقد عذبه الله في الدنيا ، وكذلك في الآخرة ان شاء الله . ولو ان الأمير اخذ براي الرؤساء لما حل بنا هذا . ولكن لا ينجي من قضاء الله شيء . ولله عاقبة الأمور . فسبحان من لا يزول ملكه ولا يسال عما يفعل .

تجديد الحصون والسفن :

وعندما ذهب الانكليز ، بعث الأمير لعماله بالبلدان وامرهم بان يبعثوا البنائين الذين عندهم . وأمر البنائين بالبلدان ان يصلحوا الأبراج واضاف اليهم بنائي العمالة عندما قدموا ، وكان واقفا معهم . وهم يعملون ليلا ونهارا . فلم ينقض شهر حتى أصلح ما فسد من الأبراج ، وبنى الجامع الأعظم ، وعاد كل شيء لأصله . وانشا كربيطا ، كمل في مدة حسين باشا ، وكتب للسلطان محمود ، واهل الدولة وعين الرسول الحاج علي غرناوط (32) وبعث به في السكونة التي بقيت بعد الحريق . فوصل الى استامبول ، ووجد آغة الباشكاتش لا يزال هنالك . فدفعوا المكاتيب للدولة وأطلعوها على ما وقع لنا مع الانكليز . فأعطاهم السلطان محمود ثلاثة مراكب من نوع فركاطة . وزوج كرابت ، ومدافع وآلات حربية ورجعوا بها للجزائر .

مولاي سليمان سلطان المغرب :

ثم كتب الأمير للسلطان مولاي سليمان ايضا (33) وعين السيد الحاج محمد العنابي قاضي السادة الحنفية رسولا . فلما بلغ المغرب ودفع المكاتب للسلطان ، أمر السلطان باستضافته ، وبعدما استراح التقى مع السلطان ، فأحسن اليه ، واعطاه مركبين من نوع كربيط ، وبلادنرة واعطاه اموالا وامره بتسليمها للمجاهدين ورجع للجزائر .

هدية طرابلس :

اما يوسف باشا ، امير طرابلس فقد بعث بلاكرة اعانة للجزائر . وعندما بلغت المراكب المهدات من استامبول جاء معها الوباء الى الجزائر واشتعلت ناره سنة 32 (34) وفي شوال من السنة المذكورة ثار عليه الأتراك وخنقوه بدار الامارة كما سياتي تفصيله .

وكانت دولته وايامه كلها عكس ومصائب : الجراد ، والغلاء ، ومصيبة موت حميدو ، ومصيبة انكليز ، وكان سفاكا للدماء .

أهم ما لم يذكره المؤلف

1 ــ ارسل الى باي تونس انذارا بطلب :

أ) الاعتراف علنا بتبعيته لباشاليك الجزائر

ب) دفع كامل ما عليه مما كان وقع عليه الاتفاق من قبل

ج) تحطيم حصون ومعاقل الكاف

ولم يرد جواب قطعي من تونس عن ذلك

2 ــ كانت سفن انكليزية تشتغل بصيد المرجان شرقي الجزائر ، فانزلت بحارتها للبر قرب عنابة دون اذن لها بذلك ، فصادمها أهل المدينة وجيرانهم وقتلوا كامل رجال البحر الانكليز . ثم ان الباشا أمر بالاستيلاء على ما بمركز صيد المرجان الانكليزي وساق لـلاسر 800 من رجاله ثم سلمه من جديد للفرنسيين .

3 ــ المعاهدة التي عقدت مع الانكليز بعد الكارثة البحرية الجزائرية ، اطلقت سراح 12000 أسير منهم أسارى اماريتي نابولي وسردينا الذين اطلقوا مقابل دفع 2500 فرنك فدية لكل أسير نابوليطاني و 1500 فدية لكل أسير سردي .

4 ــ كانت أيام امارته كلها في ظل السلطان محمود الثاني

5 ــ كان القاضي الحنفي في أيامه الشيخ احمد بن ابراهيم البابوجي ، ثم الشيخ محمد بن راسيل ثم الشيخ احمد بن حسين واخيرا الشيخ محمد بن محمود العنابي .

أما القضاة المالكية ، فكانوا على التوالي : الحاج علي بن عبد القادر للمرة الخامسة والشيخ احمد بن جعدون .

التعــاليق

(1) يقول ليون روشي ، في كتابه ثلاثون سنة خلال الاسلام : انه روى عن ابن عمر باشا شخصيا قوله : قدم أبي من تركيا الى افريقيا على نفس المركب التي امتطاها محمد علي الذي اصبح باشا مصر ، واتصلت بينهما الصداقة وكانا قاصدين مصر معا ، لاستخلاصها من الجيش الفرنسي ، وأفضى كلاهما لصاحبه بمطامعه واحلامه فقال محمد علي لعمر : لا يجب أن نكون معا في بلد واحد . لاننا لا محالة سنتصادم ونختلف فانا ساذهب لمصر ، وأنت اذهب الى بلد آخر . واتفقا على ذلك فكان عمر ممن قدم الى الجزائر . ووصل الى كرسي الباشوية . لكن أيامه كانت أيام سوء في البلاد ، كما سيمر بك .

(2) 1230 (1814)

(3) كانت العادة ان الباشا عند ولايته يرسل هدية للسلطان ويطلب منه فرمان التولية وكان السلطان يرد الهدية بأحسن منها ، ويبعث للباشا بالتقليد والقفطان (انظر تفاصيل ذلك في كتابنا : محمد عثمان باشا ، داي الجزائر . طبع الجزائر سنة 1937 .

(4) أي حط على الأرض

(5) يتقاتلون ، أي يتزاحمون بشدة حوله

(6) كانت الاغلبية العظمى من رؤساء المراكب الجهادية من ابناء الجزائر ولم يكن بينهم الا القليل من الاتراك .

(7) رأس كاتا ، على الساحل الجنوبي الاسباني مقاطعة المريا

(8) قرطاجنة ، مدينة على الساحل الشرقي الاسباني بناها القائد البونيقي الشهير حنبعل قبل المسيح .

(9) فرضة صغيرة مواجهة لمدينة الجزائر على الطرف الآخر من الجون

(10) الأميرال

(11) السفينة التي استشهد بها الرايس حميدو رحمه الله

(12) هي بلنسية الاسبانية والغلف كلمة افرنجية معناها : الخليج

(13) سفينة حربية متوسطة الحجم

(14) عائلة جزائرية قديمة لا تزال موجودة الى الآن

(15) 1231 (1815)

(16) أهل امارة الفلاندر الموجودة اليوم ضمن دولة هولاندا

(17) اهدي

(18) جمع كبوط بتشديد الباء وهو الرداء الخارجي الذي يلبس فوق الثياب والكلمة افرنجية

(19) الملوك

(20) الهدية السلطانية

(21) وكلها ليست من الجزائر بل واردة من الخارج

(22) الجعل الذي تدفعه الدول الصديقة مقابل السلام وعدم تصدي القرصان لمراكبها

(23) كان اتفاق الانكليز مع الجزائر انهم يدفعون ذلك على رأس كل سنة لاكل ثلاثة أعوام كبقية الدول

(24) جمع باركراي ، سفن صغيرة للصيد

(25) تقدم لنا بيان ذلك فيما سبق

(26) جماعة الحراس المدنيين والعسكريين وهو يتناولون الحراسة مناوبة

(27) هي الحملة المعروفة باسم حملة الأميرال ابكسموت . وقد دخلت كما رأينا مخادعة لمرسى الجزائر وكان ذلك يوم 22 أوت 1816 .

(28) الحميــــــر

(29) حصن . واصل الكلمة طوب خانة : لفظ تركي معناه : مركز المدافع

(30) لا يزال بعضه موجودا للآن مع الدار البديعة التي به . وهو على منتصف الطريق بين المدينة والأبيـــار

(31) المراســــــن

(32) غرناوط ، اصلها ارناوط ، وهم سكان البانيا ولا تزال هذه العائلة الى اليوم

(33) كتب يطلب من سلطان المغرب اعانة عسكرية لتجديد جيشه وعمارته البحرية .

(34) 1232 ، 1816 ،

ذكر ولاية

علي باشا (1)

في شوال 1232 (2)

وعلي باشا هذا كان من خوجات الترك ، وكان مـــلازما للسكوت . الى هذه السنة المذكورة فعندما ثار العسكر على عمر باشا ، وارادوا غيره ، سمع الباشا بأمرهم . وارسل لهم شاوشا من شواش العسكر الى قشلة الخراطين لينهاهم عن ذلك . فعندما دخل الشاوش عليهم ، وجد علي خوجة في وسطهم فقالوا له : ارجع الى الباشا ، وقل له يخرج من دار الامارة فلا حاجة لنا به . واننا قد اولينا من يصلح بنا . واننا قادمون الآن الى دار الامارة ، فان وجدناه هنالك قاتلناه . رجع اليه الشاوش ، ووجده قد تهيأ لقتالهم . فقال له الشاوش : ان هؤلاء الناس لا رجوع لهم عنك ، وانهم قالوا لك يجب أن تخرج من دار الامارة فان أتوا ووجدوك ، قتلوك .

فقال لوزرائه : ماذا تقولون أنتم ؟ فلما رآهم ساكتين ، مطرقين برؤوسهم الى الأرض ، وضع السلاح الذين كان عليه ، وقال لهم : افعلوا ما شئتم ، وذهب لموضع يقال له الجنينة ، واستقبل القبلة ، وامرهم بان يخنقوه . فجاء الحراس وخنقوه . فلما مـــات بعثوا بخنجره الى علي خوجة الذي أولاه الجند ، وكان الرسول هـــو الشاوش الذي ذهب اولا لكي ينهي العسكر : فلقيهم قادمين بعلي باشا . فعندما وصل اليهم قبل يد علي باشا . وجعل له الخنجر في وسطه ، وأخبره بموت عمر باشا .

ثم وصل العسكر الى دار الامارة ، واجلسوا علي باشا على سرير الملك ، وقدم الديوان والفقهاء وأعيان البلد ، والبسوه الخلعة وضربوا المدافع والنوبة

ونادى المنادي في الأسواق بنصره ، وبايعه الفقهاء ، وكافة الوزراء واهل الديوان .

ثم انه بعد ان تفرق ذلك الموكب طلع للسراية ، واتى بمايتين من العسكر وأبقاهم معه ، لا يفارقونه ليلا ولا نهارا . ومن الغد عزل الوزراء ، فمنهم من ابقاه ، ومنهم من قتله ، فاما الخزناجي فقد نفاه الى تلمسان . واما خوجة الخيل فقد نفاه لمستغانم واما الآغا فامر الخليفة بخنقه واولى وزراء آخرين : فعين الخزناجي الجديد رجلا مسنا بلغ الماية سنة ، واولى في منصب الآغا رجلا آخر تركيا اسمه ماسشى القوراجي ووضع في منصب خوجة الخيل حسين خوجة ، وكان كاتب مخزن الزرع ، وهو الذي تولى بعده باشا ، واولى في منصب وكيل الحرج ، تركيا كان يشتغل بصناعة نسج الكتان . وتركيا آخر لبيت المال ، اما نواب وكيل الحرج فقد كانوا اثنين ، وصيرهم اربعة .

ثم انه بدل جميع العمال ، واستقر بدار الامارة .

اتخاذ حصن القصبة مقرا للامارة :

ففي بعض الايام خرج في موكب ، وذهب الى القصبة (3) واقام بها نحو الساعتين . ورجع ولم يعرف احد لاي امر طلع ، ثم امر باش طبجي بان يحمل مدافع ومهاريس (4) للبونبة ، مع ما يلزمها من بارود وكور ، وبونبة ، واتم تحصين القصبة .

وفي يوم من الأيام ، وكان يوم الجمعة ، بعث الى شيخ البلد (5) وامره بان يامر اهل الصنائع البلدية ، ولم يكن فيهم احد من الاتراك ، يامرهم بان يصلوا المغرب بجامع السيدة ، الملاصق لدار الملك ، ويبقون هنالك الى ان ياتيهم امسره .

ثم بعث الى كبراء القشلات بان يغلقوا ابوابها بعد صلاة المغرب ، وكان مراده الانتقال في تلك الليلة الى القصبة ، ولم يطلع احدا على ذلك . وبقي الناس في المسجد ينتظرون ، ولم يعرفوا ماذا سيصنع بهم . وأمر باحضار اربعماية بغل وادخلها لدار الملك . وعندما اغلقوا باب دار الملك بعد المغرب امر المماليك والعبيد والعسكر ، والخدام الذين معه ، ان يحملوا كلهم سلاح الذهب ، ويتهياو . وعندما تهياوا أمرهم بعدما فتح الخزنة ، ان يحملوا على الأربعماية بغل ، ما بها من الذهب ، ففعلوا مــا أمرهم ، وحملوا كل ذلك على البغال ، وحمل كذلك ما بها من بقية المال . والسلاح المحجر (6) والأثاث الثمين ، وأواني الذهب والفضة والفراش .



علــي باشا

ثم أمر بفتح باب دار الملك ، ونادى أهل البلد من المسجد ، وكانوا في قلق فدخلوا لدار الامارة ، وأغلقوا الباب من ورائهم ، ثم كلمهم الباشا وقال لهم : اني أريد أن أنتقل الى القصبة ، وأسكن بها ، لأجل أن تنقطع فتنة العسكر كل يوم من البلد ، ويتهنأ جميع الناس . وقد بعثت لكم لكي تعينوني في هذه الليلة ، وتكون لكم عندي حضوة كبيرة . فأجابوه بالسمع والطاعة ، فأمرهم بحمل السلاح من الذهب والفضة وأعطاهم الشمع ، وأمر بأن توقد شمعة بيد كل انسان وأن يحملوا كل ما قدروا عليه من المال والأثاث خلاف المال الذي على البغال . فلما اتم كل ذلك ، امر بقطع الكندار الذي يحمل السانجاق فوق دار الملك ، فقطعوه ، ثم أخرج جميع الناس والبغال حتى لم يبق بها أحد . ثم خرج بأهله ، وأغلق الباب من ورائه ، فقدم نصف الناس بالسلاح ، وتأخر هو بنصف الناس ، وذهبوا للقصبة ، ولم يتعرض لهم أحد ، حتى دخلوا القصبة ، وادخلوا جميع ما كان معهم ، وأغلقوا الباب ، واستراحوا من تعب العقبة (7) فأتاهم الأمير وشكرهم ، وامرهم بالذهاب الى بيوتهم ، وقال لهم : مهما احتجت لكم تكونون معي ؟ فأجابوه لذلك . وفتح الباب وخرجوا لبيوتهم . فلما صلى صبح يوم السبت . أمـــر بالسانجاق فعلق على باب القصبة ، كما هي عادة دار الملك . واطلاق خمسة مدافع . فعندما سمع أهل البلد والعسكر ذلك تحيروا . وخرج الناس من بيوتهم ، فالتقوا مع الذين طلعوا معه للقصبة في الليل . وأخبروهم بان البـــاشا انتقل في الليل الى القصبة وسكن بها . فتخوف الناس كثيرا .

محاولة فاشلة :

وظهر عندئذ للعسكر ، أن يقوموا عليه ، وان يولوا غيره مكانه ، فوقع الخلاف بينهم في ذلك . واتفق بعضهم دون بعض في الليل ، وفي صبيحة يوم الأحد أصبح كل واحد من البلد في داره ، والأسواق مغلقة ، وبلغ الخبر للباشا ، فادار مدافع القصبة نحو قشلات العسكر ، وامر المنادي في البلد : من كان من حزب الباشا فليطلع ومن كان من حزب هذه الفرقة الباغية فليذهب اليهم . فذهب البراح (8) وصار ينادي ، فهرع الناس الى القصبة ، وفيهم من كبراء العسكر فامتلأت القصبة بهم ، وأعطاهم السلاح ، وكثرة الناس بقوا خارج القصبة ، فلما راى العسكر ذلك ، راوا أنهم لا طاقة لهم عليه ، فبعثوا اليه كبراءهم ليستأذنوه في الطلوع اليه مع جملة الناس ، وياخذون له الثار من عدوه . فلما وصل الكبراء الى القصبة ، وجدوه واقفا على سورها ، مما يلي الباب ، فبلغوا له كلام العسكر . فأجابهم : لا حاجة لي بهم ، وهم الأعداء



قصر الجنينة

فاعتذر الكبراء عنهم ، وقالوا له : ليس العسكر كلهم اعداء لك ، وانت تعرف اصحاب الفتنة ، فمن كان ظالما فانتقم منه ، ومن عصاك فنحن معك . فقال لهم : ان كنتم معي حقا ، وانتم بريئون من هذه الفتنة ، فاذهبوا واتوني بكبراء الفتنة فعند ذلك يظهر صدقكم . وان لم تاتوني بهم ، فالآن نهدم عليكم القشلات ونفعل معكم ما اراده الله . فقالوا له : ابعث معنا الشواش ليقبضوا على اصحاب الفتنة وياتوك بهم . فان اتوك بهم ، ولم يمنعهم منك احد ، فاننا بريئون من ذلك . فامر بكافة الشواش بان يذهبوا لقشلة الخراطين فقبضوا على سبعة نفر من كبراء أصحاب الفتنة وذهبوا بهم للقصبة ، فحين وصولهم أمر بقطع رؤوسهم عند باب القصبة اهانة لهم ، لأن العسكري الذي يستوجب القتل يخنق في دار سركاجي . ثم ذهب الشواش لياتوا بمن بقي من اصحاب الفتنة ، لأنهم كانوا عشرة رجال لا غير . وانطفات نار هذه الفتنة وامر اهل المدينة بان يذهب كل واحد لدكانه ، وان يفتحوا الاسواق ، بعدما شكرهم . ونادى منادي العافية في البلاد ، فرجع الناس واشتغلوا بحرفهم واشتغل هو ببناء القصبة وزاد في تحصينها وعين نحو الثلاثماية من البغال يحملون بقية المال من الخزنة القديمة الى الخزنة الجديدة في كل ليلة . واقام على ذلك ستة وثلاثين ليلة . واستغنى الناس من ذلك المال ، لانهم كانوا يدخلون للخزنة القديمة ، ويحملون السكة من الذهب والفضة ، مثلما يعمرون الزرع في الظروف وصاروا بعد ذلك يعملون السلاح والاثاث الثمين والفرش واواني النحاس وغير ذلك ، حتى لم يترك بها شيء . واصبحت خاوية على عروشها . لانها لم تبق دار امارة .

احكام الشرع :

ثم انه أمر بابطال الزنا والخمر ، ومن وجدوه مخمورا او زانيا ، فيبعث به للقاضي لاجراء الحد الشرعي . وأمر الناس بالصلاة مع الجماعة ونادى مناديه : ان من يبقى بدكانه بعد الأذان ، فلا يلومن الا نفسه .

مع الجيش :

وهو لم يغفل عن أمر العسكر ، وجعل بينهم جواسيس يلتقطون له الأخبار عنهم وقتل منهم خلقا كثيرا بيده ونفي بعضهم . وفي يوم من الأيام اخرج محلة ، وبعث فيها كل من رآه شيطانا . وبعث في اثرهم ، فمنهم من قتلوه ومنهم من اجلوه . واذا نحن اردنا ان نذكر كل اخباره مع الاتراك لم نقدر على الوفاء بذلك . ثم بعث الى باي الغرب وامره بالدنوش ، فلما وصل قرب مليانة بعث له من قتله في وطاقة ودفنوه . وولى حسن باي في مكانه واتى

هو بالدنوش وبعدما خرج ورجع لوهران قدمت محلة الشرق مع الخليفة كما هي العادة . فعندما كان الجيش باثناء الطريق اتفق على خلع الباشا ، وتولية غيره مكانه . فلما وصلوا لحمزة (9) بعثوا للخليفة في أمر تنصيبه باشا فامتنع عن ذلك . فرأوا تولية شاوش المحلة فذهبوا اليه . وامتنع هو ايضا فاولوه جبرا . وجعلوا له وزراء . وتقدموا للجزائر وبلغ الباشا خبرهم فسكت عنها ، الى أن وصلوا لعين الربط ، فعندئذ ضربوهم بالكور من راس تفورة ، والله أعلم انه كانت لهم يد مع العسكر الذين بالبلد . لكن هؤلاء دخلهم الرعب فلم يفعلوا شيئا . فعندما راى عسكر المحلة ان عسكر البلد لم يظهر لهم اثر بل انهم ضربوهم بالكور . فروا الى قرب ضريح الشيخ ابن عبد الرحمان ، فبعث لهم اللنجون في البحر ، ورماهم بالكور ، ونادى مناديه في البلدان من اتاه برأس تركي أو زيتوني من رجال المحلة فله كذا وكذا . فخرج اليهم من يريد الدراهم ، ولما راى اهل المحلة ذلك فسد رأيهم وفروا هاربين . فمنهم من لحقه الناس وقتلوه ومنهم من قبضوا عليه حيا وأتوا بهم بين يديه فقتلهم بيده وكان لا ينزع سلاحه ابدا ، كان يحمل اثنين من البنادق الصغار (11) وسيف معلق بوسطه . فمهما اتوه بتركي . الا قتله بتلك البنادق وبعض الأحيان يجهز عليه بالسيف ثم يجره الزبانية لموضع البناء فيبنون عليه بالجدار ، ذلك هو قبره ، من غير غسل ولا صلاة . فلما تفرق جمع هذه المحلة وهرب الشاوش الذي اولوه باشا مع وزرائه ، واختفوا وبعث في اثرهم . فأمر الخليفة بالدخول اليه مثل بقية الخلفاء ومن الغد قبض على الشاوش ووزرائه واتوه بهم ، فلما مثلوا بين يديه اوقف الشاوش بازائه على كرسي الملك ، وأمر بضرب المدافع وضرب النوبة عليه ، وقال له : لقد علمت انك أجبرت على القبول ، فاذهب بامان الى المرسى ومنها الى بر الترك ، وأمر صهره (الشيخ ابن مالك) بان يعطيه ألف دينار .

وأما وزراؤه فقد قال للخزناجي منهم : انت لازلت على هذا المنصب ، الى أن تخدم وتتعلم احوال الملك ، فاذهب فاني وليتك وقافا على البغال التي تخدم الجير فذهب وبعضهم ابقاهم . ويقال انه قتل بعضهم . وهكذا تتبع امر الفتنة في العسكر . وبطش بهم بين قتيل ومشرد : ولم ينج منهم الا من انجاه الله ، وقليل ماهم . فما أقال لأحد منهم عثرة ، ولا غفر لهم زلة ، واسقط من ديوان العسكر ما كان معهم من الزواتنة .

قتل جافر باي قسنطينـــة :

فلما خمدت هذه الفتنة ورجع خليفة جافار باي قسنطينة عين الأمير محلة ، وجعل عليهم الآغا وامرهم بالذهاب الى قسنطينة وقتل جافار باي . وعين

الأمير مملوكا من مماليك الآغا اسمه أحمد ، بايا على قسنطينة . وعين صهره الحاج مصطفى ابن مالك ، ليكون ناظرا على الآغا . فذهبوا لقسنطينة وقتلوا جافار باي ، ونصبوا أحمد باي المملوك مكانه وحملوا جميع خزائن الدولة بقسنطينة وكتبوا للباشا واخبروه بما فعلوا . ووقع في أهل قسنطينة من المصادرة الشيء العظيم ومن ذلك الوقت ما عمرت تلك الخزنة الى أن قضى الله بامره على الجزائر .

وعندما اتموا ما امرهم به الامير ، خرجوا من قسنطينة واتوا الجزائر بتلك الأموال والذخائر والابكار قيل عشرة ابكار وقيل اثنا عشر من بنات اليهود (12) مما لا يوصف حسنهن . ولما وصلوا ادخلوهن لدار الملك . وقيل انهم اتوا أيضا باولاد اليهود معهن ، فالبسوهم لباس المماليك ، وحملوا سلاح الذهب .
وقد كان قبل ذلك اخذ يهوديات ، بنات اوليد حافو من الجزائر ، واخذ بنتا لنصراني من اتباع القنصل سرقوها من والدها .

محاولة الصلح مع تونس :

ثم انه في يوم من الايام ظهر له ان يجعل الصلح بينه وبين تونس ، فبعث الى تونس الحاج يوسف من كبراء المماليك ، وبعث معه العالم العلامة الشيخ سيدي علي بن النيكرو والباش كاتب . فلما وصلوا لتونس انزلوهم وأكرموهم ودفعوا المكاتيب لباي تونس (13) وتكلموا في شأن الصلح ، وبقي الأمر بينهم سرا لم نطلع عليه (14) ورجع الرسل .

وفي يوم من الايام ، قدمت خمسة مراكب تونسية الى الجزائر ، وارست على بعد خمسة عشر ميلا ، ورفعت الصناجق ، وضربت المدافع لكي يعرفهم الجزائريون . ثم رجعوا لتونس ولم يقتربوا من الجزائر وكانت مراكبنا في ذلك الوقت قليلة لانها احترقت في القتال مع الانكليز فلما وصلوا تونس كذبوا على سيدهم وقالوا له : وصلنا الجزائر ، ورمينا ابراجها وحصونها ، حتى عطلنا مدافعها . فظهر له في عقله الخسيس ، ان يعمر عمارة بجميع مراكبه ليذهب للجزائر فبعد اتمامها ، وهم بمرساهم ، بعث الله عليهم ريحا عميقة ، فاهلكت السفن وتكسرت عن آخرها تحت بلدة رادس واستراح المسلمون من الفتن .

انظر يا اخي ، فان علي باشا رحمه الله ، اراد اطفاء نار الفتنة ، وبعث رسلا ، وعفا عما كان من قبل مع اخوانه الباشوات ، وتواضع لأن العادة ان المغلوب هو الذي يطلب العفو من الغالب . ومـــع ان التونسيين هم الذين ابتدأوا الفتنة كما تقدم في ذكر ولاية أحمد باشا ، لكن باي تونس لا زال على

حقده وكبره واصراره على العداوة ، حتى اهلك الله مراكبه رفقا من الله تعالى بعامة المسلمين .

وفي الوقت الذي اتت فيه مراكب تونس ، كانت عندنا فركاطة واحدة وزوج كرابط التي اهداها السلطان محمود للجزائر . وكانت غير مهياة للقتال . وكان علي باشا رحمه الله لا يحب الفتنة بيـن المسلمين ، ولو أنه أرادها لكان هاجمهم وربما كان يقع ما يقع . لكن الله تبارك وتعالى أصلح قلب علي باشا ، وأزال منه حقد من تقدم ، فلم يغيره ذلك ولا هو التفت الى فعل التونسيين .

وصول السفن الاسلامية :

وبعد ذلك لحقت المراكب التي بعث بها مولاي سليمان سلطان المغرب رحمه الله ، والمركب الذي بعث به يوسف باشا من طرابلس ، وهي المراكب التي تبرعوا بها لعمر باشا (بعد المعركة المؤلمة مع الانكليز)

ومات علي باشا بالقصبة ، بالوباء

(هنا ترك المؤلف صفحة ونصف صفحة بياضا)

أهم ما لم يذكره المؤلف

1 — لم تدم مدته اكثر من سنة ، ولم يقع فيها ما يجب ذكره ، أكثر مما رواه المؤلف وقد ترك لخلفه دولة قوية خالية من الفساد الذي احدثه سفلة الجنود الأتراك ، اسوة برفقائهم في تركيا .

2 — كان السلطان في استامبول يومئذ هو محمود الثاني . وكان يعاني ضغط الأجانب وحربهم من جهة كما كان يعاني فتنة الانكشارية واستهتارهم .

3 — كان القاضي الحنفي أيامه هو الشيخ محمد بن راسيل — ثم الشيخ أحمد بن حسين . أما القاضي المالكي فكان الشيخ الحاج علي بن عبد القادر .

4 — وممن توفاهم الله من كبار العلماء اثناء دولته : الشيخ علي بن محمد الطابي ومفتي قسنطينة وعالمها الشهير الشيخ عبد الملك الراشدي .

التعـاليق

---

(1) ويعرف بعلي خوجة . كان شهما حاسما . قضى على فتنة اراذل الجيش واعاد الدولة الجزائرية لسالف قوتها ومنعتها . لا تزال عائلته الى الآن بالجزائر .

(2) 1232 (1816)

(3) مكان مرتفع يشرف على مدينة الجزائر وجونها . يقع الآن بين المدينة وبلدة الأبيار ولا تزال القصبة كما تركها لخلفه .

(4) تدعى اليوم مدافع الهاون أو المهاريس

(5) هو جدنا الحاج محمد بن أحمد المدني القبي

(6) الأسلحة الثمينة المزينة بالحجارة الكريمة

(7) الطريق الصاعد .

(8) المنادي العام ، الذي يبلغ بصوته أوامر الدولة

(9) تقدم ذكرها . وهي السهل المنبسط جنوب جبال الجرجرة

(10) سيدي محمد بن عبد الرحمان صاحب الضريح والمقبرة الكبيرة في حي بلكور بالعاصمة

(11) التي كانت تدعى الطبنجة — ونسميها اليوم : المسدسات

(12) لم ار ذكر هذه الحادثة في أي تاريخ ، ولم اسمع بها من قدماء مدينة الجزائر ، ولعلها من أحاديث العامة التي تخترع هذه الحكايات .

(13) هو محمود باي ، ابن محمد باي تولى الملك سنة 1229 (1813) .

(14) أي ان المذكرات كانت سرية لم يعلن عنها .

ذكر ولاية

حسين باشا (1)

في 23 ربيع الثاني سنـــة 1233 (2)

وكان حسين باشا وزيرا ثالثا يكنى بخوجة الخيل . وكان رجلا عاقلا . متدينا ، محبا للعلماء والأشراف والصالحين . وفي أول أمره كان بعض وزرائه يتصرفون ، وجميع ما وقع من فساد وظلم فهو منهم .

التوليـــــــة :

ولما مات علي باشا بالوباء ، لم يطلع احد على موته ، فراى صهره السيد الحاج مصطفى بن الشيخ ابن مالك ، ان يذهب الى حسين بمحطه بالعلي (3) ، فدخل عليه ، وأخذ عنه العهد ان لا يضره واخبره بموت صهره الباشا ، فلم يصدقه في مقاله ، وصار خائفا ، لأن علـــي باشا هذا ، كان يخافه جميع الأتراك والعمال لأنه كان فتاكا بالقتل فيهم كما تقدم . فلما رآه خائفا ، اقسم له بالله على موته ، وعلى ان الخبر ليس خديعة منه . فاخرجه من العلي ، وذهب به الى دار الملك ، غير وقت دخول الوزراء ، فلما وصلوا للعسة التي بباب دار الملك ، لم يقدروا على رده ، لأنه جاء مع صهر الباشا ، ظنا منهم ان الباشا هو الذي طلبه . ثم ذهب به الى كرسي الملك ، واجلسه عليه ، والخزناجي ومن حضر من العمال ينظرون ، وهو قائم على راسه بسيفه في يده . ثم أمر الحاج مصطفى برفع السانجاق ، وضرب المدافع ، وامر بضرب النوبة ، ثم التفت الى الخزناجي والعمال ، واخبرهم بموت الباشا ، وأنه اوصى بالولاية لحسين باشا ، ثم تقدم هو وبايعه وتقدم الوزير وكافة العمال وبايعوه ، وبعث للبراح وامره بان ينادي في الأسواق بموت علي باشا ، وتولية حسين باشا ، ثم دعا الديوان ، وآغة العسكر والوزراء .

فلما سمع الوزراء مثل الآغا ووكيل بيت المال ووكيل الحرج بباب الجهاد ، وكافة القضاة والمفاتي واعيان البلاد جاء الجميع اليه ، والبسوه الخلعة ، وبايعوه بيعة عامة .

ثم انه أمر بدفن الباشا في ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي ، فجهزوا المتوفى ودفنوه وكتبوا البشائر لسائر العمال ، وبعث بالخلع لكل البايات واستقر بدار الملك وقدم الحاج مصطفى بن مالك في تلك العشية وطلب من الباشا ان يخرج اهل الباشا المتوفى فاذن له في خروجهم بعد العشاء فاخرجهم واخرج اهله .

ومن الغد ، او بعد الغد عزل الخزناجي ، وكان رجلا مسنا ، وولى مكانه احمد رايس الزمرلي . وكان قبطانا بباب الجهاد ، وعزل الآغة ونفاه الى مليانة ، وولى مكانه القايد يحي ، وعين خوجة الخيل خليل خوجة وعزل وكيل الحرج وبيت المال وعين غيرهم كما عزل وكيلي ببيت الامارة وعزل بعض الكتاب وولى غيرهم .

قضية ابن مالك :

ثم ان العمال المتولين تكلموا مع الباشا في قضية ابن مالك . قيل انه قال لهم انه أخذ علي عهدا ولا يمكنني ان اخدعه . فكلف بامره حسين وكيل الحرج ، فبعث له الزبانية واتوه به ، فسجنه هو وابن اخيه وصار يطلب منهم الا قرار علي المال . فاقر لهم بشيء منه ، وتداولوا عليهم بالسوط مرتين او ثلاث مرات . وبقوا في السجن حتى صاروا الى آخر رمق . فأتى اهلهم الى نقيب الأشراف والحوا عليه ان يتكلم عليهما ، ومع هـذا فانه لا دخل لنقيب الأشراف في هذه الأمور . فاستجاب لهم ، وكتب لهم كتابا للباشا يشفع في المسجونين ، فاجابهم الباشا الى ذلك واطلق سراحهم . قيل ان الحاج مصطفى مات بمجرد وصوله الى بيته وقيل انه مات في الطريق ، وكذلك حفيده ، فلما سمع الاتراك بموتهما تكلموا فيما بينهم ، وقالوا يجب ان نخرجهما من القبور ونحرقهما (4) . فبعد ذلك تكلم نقيب الأشراف مع الباشا فامرهم بان لا يفعلوا شيئا . ثم دفنوا الحاج مصطفى في ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي وابن اخيه في ضريح سيدي محمد الشريف . وفي ذلك الوقت كانت نهاية ملك الاتراك وكل ما زادت مدتهم عن ذلك كان فائدة .

وابن مالك هذا ، كان يستطيع ان يتولى الملك عندما توفي صهره الباشا ، لأن الأتراك في ذلك الوقت لم تكن لهم قدرة على انتزاعه ، وكان يستطيع ان



حسين باشا

يفعل مثل ما فعل صهره علي باشا عند ثورة الترك عليه ، فانه جمع أهل البلاد واولاد العرب ، وزواوة ، والعبيد وهو متحصن في القصبة فلا يلحقه شيء من مكرهم .

وهذا شان الدول . فكلما قرب انقضاء دولة ، تولى الأمر اشرارها والساعة لا تقوم الا على اشرار الخلق . كمثل دولة بني حفص بتونس ، وآخر ملوكها السلطان الحسن وابناؤه ، فانهم لما قدر الله زوال الملك من ايديهم استعانوا بالنصارى وملوكهم البلاد ، كذلك الأتراك لما اراد الله خراب ملكهم ، تولى آخرهم هذا . وكنا نسمع من اسلافنا يقولون : آخر ملك الأتراك ، يتولى علي وعليه تعلى ، يعنون به سكناه القصبة ، وعلي حسن تتحسى ، يعنون به زوال الملك من ايديهم ، فوافق قولهم ما وقع ، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يسأل عما يفعل .

بعض اعماله :

ولنرجع الى حسين باشا . فانه بعدما استقر اياما ، شرع في اكمال بناء القصبة ، وبناء دار لسكناه (5) وديار اخرى بازاء داره ، ورتب السراية وبنى المسجد للخطبة .

واول اعماله الخسيسة واي خساسة انه بنى قنطرة الزنا (6) ، بعدما هدمها من قبله واباحها لأبناء جنسه .

وبعد شهرين ونصف من ولايته أمر بتسريح المراكب للحج ، وعين (أمين) بيت المال أمينا على الصرة (7) ودفع له مال الصدقة التي تدفع كل سنة لفقراء الحرمين الشريفين . وفي هذه السنة ذهب الناس افواجا للحج . منهم الفقير الى ربه . وكان الوباء قد اشتعلت ناره وفي يوم سفرنا ، وقت الضحى ، وصلت مائة جنازة . ثم سافرنا ، نطلب من الله القبول والعودة لنا ولجميع المسلمين .

وبعد سفرنا للحج ، ذكروا لنا انه عزل باي قسنطينة ، وولى مكانه محمد باي المين ، هكذا عرف ، وهو من الأتراك . لأن المعزول كان من علوج (8) بر الاتراك

واستقام له الملك ، ووقعت العافية في جميع البلاد

ثم جاء الانكليز ، يطلبون صداق النصرانية التي اغتصبها علي باشا من أبيها فدفع له صداقها ، وذهب ، وبقيت العافية في تلك السنة .

وفي شعبان من سنة 34 (9) وقع كلام مع السبانيول ، والنابلطان ، واتوا بعمارة بينهم طالبين الكلام مع الأمير ، ولم ينتقض معهم المهادنة ، فرجعوا الى بلادهم .

الهدية للدولـــة :

وفي هذه السنة 34 ، وهي الثانية من ولايته بعث الباشكاتب (10) مع الحاج يوسف وكيل الـــحرج السابق الى الدولة العلـــية ولما وصلوا الى استامبول ، وبلغ خبر وصولهم لحضرة السلطان محمود خان أمر بنزولهم واكرامهم وتلقوهم بالفرح والسرور وأنزلوهم منزل العز والقبول ، ودفعوا ما اتوا به من الهدية لمولانا السلطان ، ودفعوا هدية الوزراء والبسهم مولانا السلطان الخلع واحسن اليهـــم غاية الاحسان ، ومما انعم به (11) على الوجاق (12) : كربيط ومدافع ، مع جميع الآلآت الحربيـــة . وبعث للباشا المتولى : الخلعة السعيدة والقلج (13) والفارمان (14) كما هي عادة الدولة . ثم سرحهم لبلادهم . فقدموا الجزائر وانزل آغة الباشكاتب في الكشك ومعه التقليد والخلعة .

افراح البيعـــــة :

ثم جعلوا نزهة في تلك الليلة في باب الجهاد . واجتمع الديوان والعلماء ونقيب الأشراف والمشائخ وأعيان البلد ومن لزم حضوره من الكرام ثم البسوا الخلعة للباشا وتقلد التلج . وقريء الفارمان جهرا على رؤوس الملا ، واطلقت المدافع باعلان البشارة ، وبسطت الأكف بالدعاء ، وابتهل كل الناس بالطلب من المولى المنان دوام نصرة السلطان . ثم جلس الأمير على كرسي المملكة ، واجريت رسوم تقبيل يده ، وبورك له بالأمر الذ ياستولى عليه . وكان يوما معهودا بالسرور ، لم يشهد مثله في غابر الدهور .

ولادة عبد المجيد :

وفي هذه السنة 1240 قدم قبجي باشي ، من الحضرة العالية ببشارة ولادة السلطان عبد المجيد (15) فانزلوا القبجـــي باشي . ومن الغد قريء مكتوب بشارة السلطان . ففرح جميع المسلمين ودعوا للسلطان بالنصر والتأيد وللوليد الجديد بطول العمر وان يكون خليفة لأبيه من بعده . وضربت المدافع سبعة أيام صباحا ومساءا ، وكتب الأمير البشارة للبايات ولجميع العمال .

الصلــح مــــع تــونس

بعد ايام سافرت المراكب الجهادية فالتقت بمراكب أهل تونس ، وكان مركب منها تحت رئاسة حسونة ورديان باشي من حلق الواد والمركب الآخر فيه هدية للدولة العثمانية . فاخذ الجزائريون المركبين ودخلا بهما الى مرسى عنابة . ثم اطلقوا سراح أهل تونس ممن كان في المركبين ، بعد أن استقامت الريح . ثم رجع الجزائريون لمدينة الجزائر واطلع الأمير على المراكب فأما سفينة حسونة فقد أمر ببيعها ، وأما السفينة الاخرى ، فقد أبقاها على حالها عندما وجد فيها مكاتيب الهدية للدولة العثمانية وارجعها لتونس .

ولقد كان علي باشا أرسل قبل ذلك في آخر سنة 1232 العالم العلامة الشيخ باش كاتب رحمه الله ومعه الحاج يوسف لاصلاح ذات البين كما اسلفنا وبقي الأمر على ما هو عليه ، الى ان بعث مولانا السلطان محمود خان الى أمير الجزائر وأمير تونس بان يرسل كل منها رجلا من الوجاق لكي يحضر عنده لينظر في أمر الجميع . فذهب من تونس رجل من خيارهم . وذهب من الجزائر رجل من أقل الناس عقلا ورأيا . لو ان الأمير بعث برجل من المرسطان (16) لكان احسن من هذا الداب (17) .

ولما وصلوا للحضرة العالية ، أمر السلطان وزيره الأعظم أو احد الوزراء بجمع هذين الرجلين والكلام معهم والاستفسار عن أمرهم . فلما اجتمعوا عند الوزير سألهم عن كيفية هذه العداوة الواقعة بين أمـراء الوجاقين ، فتكلم التونسي (18) واخبره عن القضية ، وعرف كيف يتكلم ، مع خضوع وأدب ، واظهر ان الحق لهم ، وانهم مظلومون وأن التعدي واقع من أمراء الجزائر .

ولما أتم التونسي كلامه ، أمر الوزير بان يتكلم الداب الجزائري ، فأول كلامه انه قال : هذه تونس كنا اخذناها سابقا ، واصبح اهلها رعية لنا . وكنا نأخذ منهم الغرامة كل سنة . ثم انهم عصونا فصرنا نأخذهم ، ولا نزال نأخذهم ونأخذ بلادهم . ان التوانسة رعية لنا مثلما الكريك رعية لكم . فناخذ نحن من التوانسة كما تاخذون من الكريك . وكان كلامه بالعنف والبغض وقلة الأدب . فانفعل الوزير من كلامه ، وقال له ان البلد من بلاد السلطان ، ولا يمكن ان تقع عداوة بين المسلمين . وأهل تونس قائمون بأنفسهم مثلكم . اما العطاء الذي كان اوائلهم يعطونكم فقد كان هدية ، والآن لا حق لكم عليهم .

فازداد الداب حمقا ، وتلجلج لسانه ، ولم يقدر على الجواب ، ثم افترقوا واخبر الوزير السلطان بكلام الرجلين ، ثم أمر بالصلح بينهم ، وكتب لكل امير

كتابا بذلك : وانطفأت نار الفتنة التي كانت بين الفريقين .

ولما وصلت الفرمانات والرسل لأميري البلدين ، عندئذ تم الصلح وفرح جميع المسلمين واستبشروا بأطفاء هذه الفتنة ، والحمد الله على خمود هذه الفتنة ولله عاقبة الأمور . وكان ذلك في سنة خمسة وثلاثين (19) .

السكـــة الجديـــدة

وفي هذه السنة أمر الأمير ببناء دار السكة (20) داخل القصبة . وعندما تم بناؤها أمر أمين السكة أن ينتقل اليها من الدار القديمة . وأمره ان يعين نائبا عنه بدار السكة القديمة من أجل الميزان ومراقبة عيار مصوغ أهل البلد . فانتقل الى الدار الجديدة . وابتدأوا بصنع المعادن على خلاف الطريقة القديمة ولما دخلت سنة 36 ، أمر بصنع قطع السلطاني الذهب ، عوض الدينار ، وميزان السلطاني عشر نواية ، وصنع نصف السلطاني وربع السلطاني .

أما قطع الدورو (21) الفضة فقد أمر بصنع انصاف لها ، واسم النصف : ريال بجة . (بوتشو) كما صنع أرباعا لها ، وصنع سكة النحاس وقيمتها ثمانية عشرة قطعة لثمن الريال . وذلك عوضا عن الدراهم الصغار القديمة . وأمر بان يدفع من السكـــة الجديدة الرواتب لكافة العســـكر ولأصحاب العمالات (22) .

ثـــورة اليونـــان

وفي سنة 35 (23) ثار الكرايك على السلطان محمود في الجزر والمورة ، وقتلوا من كان معهم من المسلمين ومثلوا بهم ، وسبوا النساء والذراري ، وفعلوا بهم ما لم يفعله غيرهم بعدوه . فلم ينج من المسلمين الا القليل الذي تحصن بالقلاع واكثرهم مات جوعا وعطشا ، قيل انهم أكلوا الجلود ، والفئران وهم مع هذا في القتال ليلا ونهارا ، حتى أدركهم الله بلطفه ، وجاءتهم عمارة السلطان ، فمن وجده أصحابها حيا انقذوه أما الذين لم تصلهم عمارة السلطان فعندما عجزوا عن الدفاع واشرفوا على الموت ، دخلوا عليهم ومثلوا بهم حتى قيل انهم كانوا ياخذون المراة ويدخلون الخنجر فـــي فرجها ويقطعونه الى صدرها ، وهي حية تنظر وقتلوا الرجال قتلا ذريعا لا يوصف . ثم ان الكرايك عمروا سفنا عديدة بآلة الحرب ، بحيث لا يقدر احد من مراكب المسلمين ان يلقاهم . وصارت مراكب العدو هذه تقصد المراكب الجهادية ليلا في المراسي

فتلتصق بجانبها وتوقد فيها النار ، فتحترق مرة واحدة مثل البرق . وعندئذ تكون زوارقهم بازاء مركبهم فينزلون اليها ويهربون . واما المسلمون فمنهم من يلقي بنفسه في البحر وينجو عوما اذا كان البـــر قريبا ، ومنهم من يموت غرقا ومنهم من يحترق مع المراكب .

الاستنجـــاد بالجزائـــر

ثم ان السلطان محمود بعث للجزائر وتونس وطرابلس ان تبعث بمراكبها للاعانة على الكرايك . فأمر الباشا بتعمير ستة مراكب وأعطاتها ما يخصها من المونة وآلات الحرب . وعين عليها الحاج علي غرناوط صارى عسكر (24) وسافرت هذه السفن في شهر صفر من سنة 36 .

وفي أثناء سفرهم ، التقت سفننا مع بعض مراكب الفرنج ، فاخبروهم بان قبطان باشا (25) موجـــود على راس ستة عشر مركـــبا ، باحـــدى مدن الأرناوط (26) ، فسارت العمارة صوب تلك البلاد والتقوا بالعمارة ، في مرسى يدعى كمنسية (27) وكانت العمارة التركية خائفة ان يتمكن الكرايك من احراقها ، فخرجوا معا من ذلك المرسى الى بالي بدرة في اليوم السادس عشر من سفرهم من الجزائر ، وارسوا بها ثم بعثوا مراكب صغيرة جزائرية الى بلد من بلاد الكرايك ، فاخذت من مرساها ستة عشر مركبا ورجعوا الى بالى بدرة بتلك الغنائم . فاخذ منها الحاج علي غرناوط رحمه الله مركبا ، وبعث فيه بالحاج احمد الحداد للجزائر .

وكان أهل الجزائر منتظرين اخبار المراكب التي ذهبت ، واخبار الكرايـــك وما فعلوا مع السلطان ، الى صبيحة اليوم السابع من مولده عليه الصلاة والسلام ، فوصل القبطان احمد الحداد رحمه الله ، على مركب الغنيمة واخبر الأمير بما وقع ، والتقائهم مع القبطان باشا في بلد الارناوط ، وخروجهم منها الى بالي بدرة واخذ الجزائريين لستة عشر مركبا من الكريك . هذا احدها . فاستبشر المسلمون بنصر الله وبوصول السفن الجزائرية واجتماعها مـــع مراكب السلطان .

واقامت تلك الظلالمة (28) سنتين وثلاثة أشهر ، ووقع القتال بينهم وبين الكريك اثنتا عشرة مرة ، واحترق اثنان من الظلالمة ، ومات بهما خلق كثير .

وكان الأمير حسين باشا ، قد بعث اليهم بمـــركب فيه كسوة للعسكر ، والطائفة وبعث تاطات (29) بالذهب لرؤساء المراكب وصاري عسكر ، وهدية أيضا الى قبطان باشا (30) ، مع طلب ان يسرحهم من اجل الراحة في زمن الشتاء . وقد ارسل كل ذلك مع مركب طوسكانة أعني الكورنيز (31) . فلما وصلت السفينة بحمولتها الى عمارة السلطان ، وجدت مراكب الجزائريين ذهبت تغزو في ارض الكريك فارست هنالك تنتظر رجوعهم . فسمع بقدومها قبطان باشا ، اخذ منها جميع المكاتيب ، وعندما اطلع عليها امر رايس السفينة بان يحمل اليه جميع ما اتى به من هدية ، ومال ، وكسوة . وعندما رجعت مراكب الجزائر من الغازية اخبر الرايس النصراني بما اتى به ، وانه سلم الى قبطان باشا .

وبعد ذلك جعل قبطان باشا اشارة الى صارى عسكر الجزائر . فذهب اليه فاخبره القبطان بقدوم المركب من الجزائر ، وانه تسلم ما فيها ، واعطاه المكاتيب وقال له : ان كنتم تريدون الذهاب للجزائر من اجل الاستراحة ، فاذهبوا ، وفصل الشتاء ، لا سفر (32) فيه ، ونحن نذهب للبوغاز (33) لقضاء فصل الشتاء ، وترجعون في زمن الربيع . فقال له : ان النظر لك في ذلك . فامره بالرجوع الى الجزائر ، وكتب له كتبا للباشا ، ومن الغد تسلم صاري عسكر الكتب ، وودع قبطان باشا وسافر للجزائر . اما قبطان باشا فقد سافر في ذلك اليوم الى استامبول .

ولما وصلت السفن الى الجزائر استبشر الناس بقدومهم ، والتقى رؤساء المراكب والحاج علي غرناوط مع الباشا ، وسلموا عليه ، ومن هناك ذهب كل واحد لداره واستراح ايام الشتاء .

حراسة فركاطة محمد علي باشا

بعد سفر عمارة الجزائر ، كما ذكرنا ، لنصرة السلطان ، انشأ الأمير فركاطة بزوج بطاريات وكمل صنعها آخر سنة 37 . وعند ذلك قدمت فركاطة جديدة ، صنعت بلوندرة ، لمحمد علي باشا وخاف رايسها ان يذهب وحده فيقع بين ايدي الكريك . فامر الباشا بتجهيز الفركاطة الجديدة ، وكربيط وسكونة ، وجعل رائسها القبطان الحاج علي طاطار واوصاه بان يذهب مع مركب محمد علي الى كريت ثم يرجع من هناك . وعندما خرجوا من الجزائر ، خالف الحاج علي طاطار امـــر الباشا . وذهب مـــع الفركاطة راسا الى

الاسكندرية ومن هنالك ذهب الى ظلالمة السلطان والتقى مع مراكب الجزائر واقام معهم الى أن رجعت الى الجزائر فعاد معها .

وبعد وصولهم ــ كما تقدم ــ بعث الباشا وقبض على الحاج علي طاطار ، لأنه خالف أمره . وكانت مدة سفره تسعة اشهر ووضعه بالسجن .

لكن الحاج علي غرناوط والرؤساء الذين معه تشفعوا فيه لدى الباشا ، فأمر باطلاق سراحه ، اخذا بخاطرهم . اما فركاطته ، فاعطاها لرائس آخر . وفي هذه السنة ، انشا مركبا للجهاد تعرف بالسكونة ، وعليها اثنان وعشرون مدفعا .

داعية شر من تونس

وفي سنة 38 (34) - قدم رجل من تونس يدعي انه من نسل ملوك تونس ، من أولاد يونس ، خائفا من المتولي على تونس (35) فانزلوه واقام اياما ، ثم طلب منهم ان يعينوه بمحلة لأخذ تونس ، واخذ ثاره ، والح على الأمير في ذلك ، فأمهله وقال له : انتظر حتى نرى ماذا يفعل السلطان مع الكرايك ، او ما هذا معناه . ثم خيره بين الاقامة في الجزائر او في قسنطينة ، فاختار المقام بقسنطينة فارسلوه اليها ، وكتبوا للباي وامروه ان يستوصي به خيرا . فأعطاه دارا واجرى له المؤونة من كل ما يحتاج اليه ، مثل الملوك . ثم بعد ذ لكأعطاه وطنا (36) يتصرف فيه ، من احسن الأوطان ودام ذلك مدة سنين

ففي يوم من الأيام جاء رجل الى محكمة الباي والباي فيها ، وكان ذلك الرجل ينادي بالشرع (37) فالتفت الباي اليه ، فوجد رجلا هائل القامة عاري الجسم واظافره مثل أظافر النسر ، فلحقه الشواش واقفوه حتى لا يلحق الباي وهو على تلك الحالة . لكن الباي كلمه ، وسكن روعه ، وآمنه وساله عن قضيته فقال له : أنا منذ سنوات مسجون تحت الأرض ، لم ار النور ، فبقيت طيلة تلك المدة احفر الأرض الى أن تمكنت من الخروج ، واتيتك . قال له الباي : ومن سجنك هذا السجن ؟ قال له سجنني ولد يونس ، قال له : وما قضيتك حتى فعل بك مثل هذا الفعل ؟ فذكر له قضيته . فبعث الباي الى ابن يونس يدعوه للمحكمة ، وقال له عندما أتاه : ماذا فعل هذا الرجل حتى تفعل به ما فعلت ؟ فعندما رأى ابن يونس الرجل المسجون تخرس لسانه مع أنه فصيح اللسان ولم يدر كيف يجيب ، فانتهره الباي وقال له : لو لم تكن غريب الديار لفعلت بك مثلما فعلت به . لكن اذهب الى دارك ، وحسبك

الله . فذهب لداره ، ودخله الرعب حتى جاء الليل فهرب الى بعض الجبال فعندما سمع الباي بهربه . كتب الى الأمير واخبره بفعله ، فتعجب الأمير من أمره وبقي ابن يونس في الجبال الى ما بعد سنة 40 ، ثم كتب للأمير وطلب منه الأمان ، وان يتركه يسكـــن الجزائر . فأمنه الأمير ، واتي الجزائر ، فأعطاه دارا قرب دار الامارة ، وبقي فيها سنين وكان الأمير يرسل له سفرة للغداء وسفرة للعشاء من دار الملك ، كل يوم ، ويبعث له كسوات للشتاء وكسوات للصيف ، وبقي كذلك الى ان انقضت دولة الترك .

انقطـــاع الوباء :

وفي سنة 39 (38) ، انقطع الوباء من الجزائر ، وقد حل بها في رجب من سنة 32 وبقي بها سبع سنين الى آخر سنة 39 .

الحرب مع الانكليز :

وفي هذه السنة وقعت العداوة مـــع انكليز ، والسبب فـــي ذلك هو أن سكونة (39) اميركان قد هاج عليها البحر ، فالتجات الى الساحل ، تجاه جبل مزاية ، قرب مرسى بجاية فنهب السكان ما فيها ، وقتلوا بعض النصارى وكان اهل تلك الناحية خارجين عن طاعة الأمير ، فلما بلغ الامير الخبر ، امر بالقاء القبض على ابناء تلك الناحية بالجزائر ، وسجنهم مع ابناء عمهم الى ان يأتوا بالنصارى ، وبما نهبوه من السفينة . فقبضوا على كل من وجدوه منهم ، وكان منهم اربعة يعملون بالأجرة عند قنصل الانكليز . فذهب الحرس ليقبض عليهم . فمنعهم القنصل ، واغلق دونهم باب البستان ، وقال : ان هؤلاء القبائل في حرم الانكليز . فقال له الحراس : اما ان تمكننا منهم طوعا والا فاننا ناخذهم جبرا ، وهؤلاء الناس رعيتنا ، واكلـــوا اموال النصارى وقتلوهم وهم أهل عهد معنا ، وانت لا دخل لك في امرهم .

وعند ذلك القوا القبض عليهم ، ووضعوا الحديد في ارجلهم ، وبعثوا بهم يعملون في مقطع الحجر ، كما هي عادة من يكون عاصيا لله أو للأمير من الباغية ، الى ان يتوبوا أو يردوا ما اغتصبوا أو منعوا .

ثم ان القنصل كتب للميرانتي بمالطة واخبره بالقضية ، فبعث له الميرانتي مركب قرصان من مراكب الحرب . فلما أرســـى بالجون ، كعادة قرصان النصارى ، اطلق اثنين وعشرين مدفعا من غير كور ، وردت عليه مدافع باب الجهاد باحدى وعشرين طلقة ، كما هـــي عادة النصارى مع المسلمين . والسبب في أنهم يطلقون اثنين وعشرين مدفعا . ونحن نطلق واحدا وعشرين

فقط ، لأننا نمتثل لقوله صلى الله عليه وسلم : ان الله وتر يحب الوتر . وبعد ذلك اتى القنصل مع ترجمانه الى وكيل الحرج ، فذهب معه قائد المرسى ، جاعلا رايته في مقدمة الزورق .

وكانت العادة انهم اذا وصلوا للسفينة القرصان ، فان قبطانها يتكلم معهم من ناصية المركب اذا كانت الكرنتينة (40) . اما ان لم تكن الكرنتينة ، فانهم يصعدون اليه ، ويتسلم مكاتيب القنصل ، ثم يرجعون . فاما قائد المرسى فيذهب للأمير ويخبره بأخبار القرصان ، وبما جاء به ، ومن اين قدم . والقنصل يذهب لوكيل الحرج مع خديم من خدام المرسى ، ويخبره بخبر القرصان ، ثم يرجع لداره . وبعد ثلاثة ايام يبعث للقبطان المؤونة من بقر وغنم ، وخبز ، وخضر ، ودجاج ، مع زورقين . فاذا وصلت اليه المؤونة ، يطلق ثلاثة مدافع ، ويحملها ، وبعد ذهابه يحاسب عنها القنصل ، ويدفع ثمنها مع حق المخطاف ، اعني حق رسو المركب بالجون .

اما هذه المرة ، فعندما وصلوا للمركب القرصان ، صعد القنصل الى المركب ، وقال لقائد المرسى ، ارجع انت ، اما انا فلا اعود معك . لانكم اعتديتم علي ، واخذتم الخدام ، وما راعيتم حرمة الجنس ، ولا البنديرة (41) وان الميرانتي يقول لكم انه يجعل معكم العداوة ، الى ان يأخذ بثاره منكم . ثم سافر القرصان . اما قائد المرسى فقد رجع حالا واخبر الأمير بما تكلم به القنصل . فقال الأمير : ليذهب في سخط الله . ولن يرجع لبلادي ابدا .
اما القنصل فعندما وصل الى مالطة ، والتقى بالميرانتي ، كتبوا لدولتهم واخبروها بالواقع ، فلما بلغ كتابهم لدولتهم واطلع رجالها على القضية ، اجابوهم : بان الحق مع الجزائر ولا مدخل لنا في رعيتهم ، ولا نجعل معهم عداوة فنخسر اموالا ولا نحصل على طائل . ولا بد ان تجعلوا الصلح مع الجزائر ، وتدبروا رؤوسكم (42) .

فتحير رجال مالطة من ذلك الجواب ، وكانوا طلبوا من حكومتهم ان تبعث لهم بالعمارة البحرية . ثم اتفق من أمرهم أن يجمعوا جميع مراكب القرصان ، التي هي في البحر الصغير (43) ويجعلون منها عمارة ، ويأتون بها ، ثم بعثوا مراكب وجعلوها قبالة الجزائر يمنعون الداخل اليها .

وكان مركب من المراكب الجهادية برآسة الرايس قدور باصون (44) خارج الجزائر عندما فر القنصل . فلما رجع — ولم يكن له علم بما وقع — وقابل مدينة الجزائر لحقته فركاطة وبلاندرة ، وتقابلا عليه نحو الساعة قبل

الغروب فتقاتلوا ، وطال بينهم القتال ، ونحن ننظر من البلد ، وعندما نزل الليل وانقطع صوت المدافع ، لم نعرف ما وقع ، وكانت مراكبنا في تلك الأيام بصدد الاصلاح ، استعدادا للسفر ، ولو كانت مراكبنا مهياة لكانت خرجت اليه اعانــــة .

وعندما طلع النهار ، رأينا البلاقرة في وسط الجون ، من غير (شراعات) ولا سانجاق ولم نر اثرا لمراكب العدو . فخرج قائد المرسى لينظر ما هي قضية هذه البلاقرة ؛ فلما قرب منها ، ناداه المسلمون الباقــون فيها احياء وقالوا له : انه عندما استشهد الكثير منا ، وتكسر المركب . ونفذ البارود ، ودخل الماء للسفينة ، اخذونا ، وحمــلوا الرايس وارسوا المركب هنا ، ثم ذهبــــوا .

(كما أنهم قبضوا على مركب للحجاج وذهبوا به الى مالطة ، وبقي هنالك الى ان وقع الصلح) .

وعند ذلك خرجت الزوارق ، وادخلوا المركب للمرسى ، وأمر الباشا بتجهيز اللنجون وجعل العسة في الحصون . وسلح الأبراج ، ووضع فيها ما يكفي من آلة الحــرب .

ودامت هذه العداوة نحو الستة شهور ، ثم جــمع الميرانتي مراكبه في مالطة ، وقدم الجزائر وكان مراده ان يخدعنا كما خدعنا سابقا ، فلما قرب من رمي الكور ، رفع الراية البيضاء علامة انه يريد الكلام ، وشرع في الدخول ، فاطلقت عليه المدافع من جميع الحصون والأبراج ولم تصله الكورة . فعندما رأى ذلك رجع القهقرى ، وبعث زورقا يحمل الراية البيضاء ، وفيها مكتوب ، فتلقاهاقائد المرسى ، ونادى على من في الزورق : الى اين أنتم ذاهبون ؟ فقالوا : عندنا مكتوب من أجل المفاهمة . وناولوه الكتاب ودخلوا الى باب المرسى . فاخذ قائد المرسى الكتاب وطلع للأمير فقرأ الرسالة ومضمونها الصلح بشروط ، ومنها رجوع القنصل القديم لمنصبــه ، والا القتال فقال الأمير : أنا لا احب الصلح ، وأحب القتال لا غير . ثم سلموا رسالة مع قائد المرسى للزورق ، فذهب للميرانتي . ثم أرجعه هذا للجزائر . وبقي الكلام متداولا أياما ، والامير لا يطلب الا القتال . الى ان يئسوا من كل شيء وتحققوا ان الباشا لا رجوع له عن رايه ، طلبوا منه الصلح على ما كانوا عليه من قبل ورجوع القنصل القديم . عند ذلك قال لهم الأمير : انكم طلبتم الصلح مرارا وأنا أقول لا بد من القتال ، لأنكم أنتم الذين بداتم بالعدوان . أما الآن فاقول لكم الكلام الصحيح : يجب ان تاتوا بقنصل جديد ، وتدفعوا العوائد مثل كل

الأجناس . وان لم تقبلوا هذا فلا تعودوا الينا ، ولا نقبل منكم اي شيء دون هذا . وذهب الرسول بالخبر ، فبعثوا له بالقبول . واخبروه ان قنصلا جديدا غير موجود عندهم ، وانهم يقدمون رجلا آخر يقوم مقامه الى أن يحضر ويأتي معه بالعوائد (45) .

فعند ذلك وقع الصلح بيننا وبينهم ، وضربوا المدافع وانزلوا الرجل الذي يقوم مقام القنصل وتكاتبوا معه . ودفعوا هدية للأمير : اثنين من البنادق الصغيرة المذهبة المحجرة ، قيل ان الحجر الواحد منها يساوي ستة وثلاثين الف دورو . وساعة ذهبية محجرة وصنيدقة نفة (46) مثل ذلك . وكانت قيمة الجميع نحو المابة الف دورو .

ثم بعد ثلاثة أيام دفعوا لهم المونة كما هي العادة ، ونزل الميرانتي وتقابل مع الأمير ، وقال له : نحن اصحاب ، والشياطين دخلت بيننا ، والآن صرنا أحباب . فاعطاه الباشا هدية تناسبه ، ورجع الى مراكبه ثم سافر .

وبعد أيام قدم القنصل الجديد ، ودفع العوائد مثل القناصل ، لأن الانكليز كانوا من قبل لا يعطون العوائد . وقد اعلى الله كلمة هذا الأمير ونصره على اعدائه ، وردهم خائبين والظاهر من هذا انه كان لا يريد القتال الا لاعلاء كلمة الله .

غزوة علـــى مركب رومـــا

وبعد هذا الصلح ، انشا زوج مراكب للجهاد . واشترى يحي آغا الوزير الثاني سكونة من الكورنة (47) وجعلها تحت رئاسة الحاج مصطفى وليد عيسى . ثم أمر الباشا بتعمير خمسة مراكب قرصان منها سكونة الآغـــا ، وبعث بهذه العمارة في طلب الزبنطوط (48) لان الكريك كانوا ياخذون المراكب ويقتلون من وجدوه فيها ، ويحملون ما فيها من أثاث رفيـــع ثم يغرقونها . وخرجت المراكب فلم تجد أحدا من العدو . فعندما تمت أيام السفر ، وعزموا على الرجوع . اخذ الحاج مصطفى رائس وهو في سفينة الآغـــا ، مركبا يسمونه « طرباقلو » تابع للرمنيز (49) غنيمة ، وفيه ما يقرب من الستين الف دورو (50) لأن الرمنيز لم يمكن لهم قنصل بالجزائر ، وقد اخذت له من قبل بعض السفن ، وادعى انه زاوية (51) للنصارى ، واستعطف الأمير ، فاطلق لهم مراكبهم ، على ان يبعثوا قنصلا للجزائر . فطال الأمر ولم يعينوا القنصل ، فاخذوا له هذا الطرباقلوا غنيمة ، وقسموا ما أخذوه من مال على رجال المراكب الخمسة ، فكان كل سهم خمسة عشر دورو .

زلزال مدينــة البليــدة

وفي تلك السنة ، اي 41 (53)،كانت الزلزة التي تصدمت منها البليدة،ومات فيها خلق كثير ، وكان ذلك في اواخر شعبان ، وقع الزلزال يوم الاربعاء قرب الزوال ، ثم عند المغرب وعندما بلغ خبر ذلك للأمير ، امر الآغا بان يخرج اليها في الحين . فركب وخرج . وعندما وصل البلد وجده خربة ، فأمر الرعية بالبحث عن الناس الذين تحت انقاض البناء ، فمــنهم من وجدوه حيا ، واكثرهم ميتا . فدفنوا الموتى ، وجعل الآغا اخبية للأحياء ، واخرجوا الاثاث من تحت الهدم ، وأعطاهم ما ياكلون . ثم بنى لهم نوالات لمستقرهم ، وكفل اليتامى والأرامل ثم انه رجع للجزائر فأخبر الأمير بتلك الواقعة على التفصيل ثم انهم تذاكروا في اعادة بناء البلد وكان الزلزال لا ينقطع عنها ليلا ولا نهارا لمدة ايام . وفي نفس مدينة الجزائر لم تنقطع الزلازل مدة ثمانية عشر يوما . لكنها كانت في النهار قليلة ، واما في الليل فهي كثيرة ، بحيث انها تكررت في ليلة من الليالي أكثر من عشر مرات . هذا الذي شاهدته أنا . واما ما سمعت على لسان الأمير ، أنها تكررت تلك الليلة ثماني مرات ، لأن الأمير بات ساهرا وهو لا ينام في الليل الا قليلا . اما بمدينة البليدة فشيء كثير . نسأل الله العــافيــة .

ثم ان الآغا ظهر له ان يبني المدينة الجديدة بعيدة عن المدينة المهدمة بنحو نصف ساعة . تحت بساتين البلد القديم ، وذلك من أجل أن يأتوا بالماء المنحدر من البلدة القديمة ، الى البلد الجديد . فوافقه الأمير على ذلك ، واشتروا الموضع الذي ارادوا به بناء البلد الجديد من اصحابه ، ثم بعثوا للباقين من أهل البلد المهدم ، وقالوا لهم : من كانت له قدرة على البناء فنحن نعطيه موضعا يبني عليه ما يريد دارا او دكاكين . فلم يرضوا بذلك . وقالوا لا طاقة لنا على البناء . واما لو كان في البلد القديم ، فنحن نرقع الأماكن الصحيحة بما أمكن ، ومن لم يقدر على البناء ، وبقيت له بيت فانه يجعل نوالة (54) قبالة انقاض بيته ليستر نفسه على الناس حتى يفرج الله عليه .

ثم ان الآغا خرج للموضع الذي ارادوا بناءه وامر بصنع الجير والآجر وامر بالاتيان بالعمود (55) ، وصنعت الأخشاب من الجبال بالأجرة . وحفر اساس البلد واتى بالبنائين من جميع البلاد وابتداو ببناء سور البلد ، وعندما اتموا حفر اسس البلد ، حفر اساس المسجد ، وبداوا بناءه . فلما قــرب اتمام السور . أعطى الله الشتاء المتهاطلة ليلا ونهارا ، فابتدا السور يتهدم فرجة

من هنا ، وفرجة من هناك ، وهكذا على مدار السور . وتهدم كذلك جانب من المسجد . فابطل البناء في تلك الأيام من أجل المطر ، وذهب للجزائر . وقال اننا في فصل الربيع سنعيد بناء ما تهدم . وبقي الامر كذلك ولم يتم الى الآن . أما أهل البلد القديم ، فمن استطاع منهم بناء الشطر المهدم من داره ، بناه ، ومن لم يقدر ، فقد جعل سترة والبعض رقعوا بالطين والحجر . واما مفتي البليدة ، سيدي بلقاسم بن سيدي الكبير ، رحمه الله ، فقد كان رجلا ينسب الى الخير ويسعى للخير ، فانه ابتدأ بناء مسجد الجامع الكبير ، مع كونه فقيرا ، فاعانه بعض المسلمين بما قدروا عليه ، وعندما سمع الأمير بفعله ، بعث له الدراهم لاعانته ، فاتم بناء المسجد وبقي السور الذي بناه الآغا خربا الى يومنا هذا .

الرجـــوع لاعانـــة السلطان

وفي هذه السنة ، 40 ، امر الأمير بتهيئة ستة مراكب . وتجهيزها بما يخصها من المؤونة ، وآلات الحرب ، وعين مصطفى رايس قبطانا عليها . وعين صارى عسكر الحاج عبد الله صهر مصطفى باشا ، وسلمه قيادة المراكب والجنود واعطاه مالا من اجل المصاريف ، وبعث بهم اعـــانة للسلطان على الكرايك فسـافروا من الجزائر .

وعندما وصلت العمارة الجزائرية لعمارة السلطـــان ،وجدتها متوجهة للاسكندرية ، لكي تحمل عسكرا واثقـــالا . فهاج البـــحر عليهم في مرسى الاسكندرية وتكسر هنالك مركبان من مراكب الجزائر مـــع مراكب أخرى للسلطان ومات فيها خلق كثير ، وقليل من نجا منهم . ثم ان محمد علي ، اعطى مركبين للجزائريين بدل المركبين المكسرين ، وعمروها . ثم سافرت الظلالمة بمجموعها لملاقاة العدو . ووقعت بين الجانبين حروب كثيرة .

ولما جاء فصل الشتاء امر قبطان باشا بالرجوع الى استامبول لقضاء فصل الشتاء بالبوغاز فلما كانوا ذاهبين امر الحاج عبد الله رؤساء المراكب الجهادية ان يجتمعوا على حدة الى انيجيء الظلام فيذهبـــون للجزائر من غير اذن الدولة . وعندما حل الليل اخذوا طريق الجزائر . فلما طلع النهار افتقدهم قبطان باشا فلم يجدهم ولم يعثروا لهم على اثر ، فتحقق عنده انهم ذهبوا للجزائر ، فكتب للسلطان واخبره بهروبهم . فاغتاظ السلطان لذلك . ووصلت الظلالمة الى الجزائر أواخر سنة 41 . وكانت مدة سفرها سنة وشهرين .

غنيمـــة بـــاردة

وفي هذه السنة ، 41 ، دخل مركب صغير ، يلقبونه بالفليجوا (56) ، من جنس بلاكروز (57) ومعه ثلاثة غنائم صغيرة مثله ، لمرسى سيدي فرج . فقدم وكيل سيدي فرج في الليل ، واخبر الأمير بذلك ، فامر الامير حالا بذهاب اثنين من سكنات القرصان ، وبعد شروق الشمس خرجوا اليهم ، فوجدوهم قد غادروا سيدي فرج ، فاستولـــى على مركـــب القرصان وغنائمه لأن هذا الجنس جنس جديد ، خرج عن جنسه الصبانيول ، ورجعوا بغنائمهم الى الجزائر في مدة ست ساعات ، وقسموا الغنيمة على الرؤوس ، فكان كل قسم خمسة دورو . وجعلوا ذلك الفليجوا قرصانا وامر الامير باعداد خمسة مراكـــــب .

قضية اليهودي والانتصار على اسبانيا (58)

كان الذمي مقدم اليهود ، له دين على جنس السبانيول من ثمن قمح ابتاعه منه ايام الحرب بين الأجناس ، وطلب الذمي من السبانيول مرارا ان يسلموا له ما عليهم من دين فماطلوه . فاشتكى للأمير ، واخبره بان عليه ديونا لتجار البلد ، فكتب الأمير الى الراي لكي يعطي دراهم الذمي .

ثم ان التجار اشتكوا بالذمي ، فبعث له الأمير يامره بان يعـــطي أموال التجار ، فادعى الذمي انه لم يكن بيده ما يدفع لهـــم ، فاذا جاءته دراهم السبانيول فانهم يدفع لهم . ودين التجار على مقدم اليهود ، مال كثير ، فامر الأمير بسجنه فسجنوه .

وكان لليهودي امراة جميلة ، فذهبت لقنصل الفرنسيس ، ورجته ان يتكلم على زوجها ، فقال له الأمير : لا مدخل لك في هذا الأمر ، وهذا اليهودي أكل أموال الناس ، فان أردت اطلاقه فاقض ما عليه . فاغتاظ القنصل وذهب ،

ثم ان راي السبانيول اجاب الأمير بعدم الدفع ، وادعى ان هذا المال لم يكن بذمته وانما كان بذمة من قبله ، فبعث الامير بالمراكب الخمسة التي تقدم ذكرها وامرها باخذ مراكب الاسبانيول ، فخرجت المراكب ، واخذت ثمانية عشر مركبا ، ثم بعث ايضا خمسة مراكب اخرى فاخذت مركبين وامـــر ببيع تلك المراكب وسلعها ، وقسمت غنائمها . فكان القسم الواحد لاصحاب السفن الأولى خمسة دورو وربع وكان القسم الواحد لأصحاب السفن الثانية زوج دورو .

ثم ان راي الاسبانيول بعث الى راي فرانصة وطلب منه ان يسلفه مالا ليقضي به هذا الدين ، فأقرضه ثلاثماية الف دورو ، اتى بهـــا الفرنسيس واعتذر عن الاسبانيول وقال ان هذا المال اتيت به من عندي وأما الاسبانيول فليس عنده مال في هذه الساعة . وطلب من الأمير ان يسامح الاسبانيول فيما بقي من العدد ، لأنه فائدة الدراهم .

فقبل منه الأمير الدراهم التي اتى بها ، وقبضها وكانت : ماية الف دورو دفعوها له ثمن الصلح ، ومايتي الف دورو مقابل الدين . وعقد الصلح من جديد مع الاسبانيول .

ثم ان الباشا اخذ المائة الف دورو التي كانت ثمن الصلح ، وفرق منها على العسكر عشرة دورو لكل واحد ، واعطى لرجال دولته على حسب مقاماتهم من الأربعة آلاف دورو الى الخمسماية دورو ، حتى المائة دورو . وفرق على خدامهم ايضا .

ثم انه فرق المايتي الف دورو على اصحاب الديون التي بذمة اليهودي ، ولم يخلص الدين بذلك . ثم اعطى الفي دورو للذمي لينفق على نفسه منها ، وامره بان يعمل على خلاص الدائنين فادعى بمال له عند الفرنسيس ، ثمن قمح باعه لهم مثل الاسبانيول ، واراد استخلاصه . وهذا اول سبب للحرب مع الفرنسيس .

انشـــــاءات عمرانيـــة

صنع طريقا لماء عين الزنبوجة ، واشترى ميـــاها أخرى ، ضمها للماء الوارد على المدينة . فكثر الماء بها ، حتى اعلاها . ثم بنى برج باب البحر ، وطبانة (59) في الصنانجية وبني (60) جامـــع سفير ، ثم تهدمت بعض الصفوف بالجامع الكبير فبناها .

قدوم قبجي باشا ببشارة بنية

وفي سنة 41 قدم قبجي باشي من عند السلطان محمود ، ببشارة بنية ازدادت له وبعث معه الخلعة والقلج للباشـا ، ويوم وصل مبعوث السلطان ، وقع مهرجان في باب الجهاد . ومن الغد احضر الباشا : العلماء ، ونقيب الأشراف ، وكافة أهل الديوان ، وأعيان البلد ، ولبس الخلعة السلطانية ، وضربت النوبة ، واطلقت المدافع صباحا ومساءا من جميع الحصون سبعة

أيام ، وبعث البشائر لجميع البايلات والقياد ، واستبشر كافة المسلمين ، ودعوا للسلطان بالنصر ، وكان الباشا قد بعث له قبل ذلك الباشكات .

ثـــورة التيجينـــي سنة 42

يقال ان التيجني هذا اصله من المغرب ، ويقال انه من الصحراء قرب قصور ميزاب ، وقيل من قرية عين ماضي قرب الاغواط . وكان ابوه رجلا صالحا ، وله مريدون كان يلقنهم الذكر ، وضريحه الآن بفاس ، حرسها الله ، بزاويته هنالك ، وقبره الآن يزار ، وانا ذهبت للزاوية ليلة السابـــع والعشرين من رمضان وزرت قبره نفعنا الله به ، وكنت اذاك بفاس سنة تسع وخمسين ومايتين والف (61) .

ويقال ان هذا الرجل كان بعين ماضي سابقا ، ومن هنالك ذهب لسكنى مدينة فاس ايام مولاي سليمان سلطان المغرب ، وترك اولاده بعين ماضي ، السيد محمد والسيد أحمد ، ولما كبر هؤلاء كانت لهم الطاعة من عرب الصحراء وكثر المريدون بفاس ، وكانت لهم كثرة كبيرة بتونس .

فذهب السيد محمد للحج ، على طريق الصحراء ، وكان ملوك الترك يخافون منهم ان يثورا عليهم لكثرة اتباعهم من العرب ، فعندما سمعوا بذهابه للحج ، امر الأمير حسين باشا ، باي قسنطينة ، ان يعترض طريقه عند قدومه ، ويوقفه . فلم يمكنهم الله منهم في ذلك الوقت . فعندما رجع من الحج الى بلاده ، ظهر له ان ينزع الملك من ايدي الآتـــراك ، فجمع عرب الصحراء ، وجيش جيشا ، وجعل يدا مع حشم غريس لأنهم اصحاب فتن ، ومهما قام ثائر الا وكانوا انصاره ، هذا وطن غريس مجاور لبلدة أم العساكر (62) ، وكان أهل هذه المدينة علماء عاملين وأولياء وصالحين ، وهم اهل فصاحة ، وفيهم بعض الناس من بقية الملوك المتقدمين ، وهم اهل سنة وورع ، خلافا لمن عداهم من الأعراب ، وسنذكر بقية حقيقتهم فيما ياتي ان شاء الله . اما التيجيني الذي كان الترك والكثير من الناس يتهمونه ويتهمون أتبـا عه بالاعتزال لفعلهم الرديء ، فقد قدم الى حشم غريس وبايعوه سرا ، وكان خبره قد بلغ الى باي وهران ، فكتب للأمير بخبره ، وتحيروا كثيرا وانتظر الباي قدومه . فلما وصل الى غريس ، واخذ يقاتل أهل معسكر ، واستولى على اهل بعض الجهات بعث الباي المال لكبراء الحشم لكي يتخلوا عنه ، وخرج اليه من وهران بالقوم وامر المحلة بأن تردفه ، فاصبح الباي متاتلا ، وفر الحشم عن التيجيني وفر الكثير من جيوشه التي أتت معه ، ولم يبق معه الا نحو الثلاثماية من اعراب

زكور ، فثبت هو وثبت من معه من الاعراب ثباتا لم يثبته احد . وكان من عادة هؤلاء الأعراب في وقت القتال ان يعقلوا انفسهم مثل الابل ، وهكذا عقلوا أنفسهم ، وهو معهم ، وقاتلوا قتالا شديدا ، الـى ان قتلوا عن أخرهم ، فقطعوا رؤوسهم وفرقوها على المدن لكي يعتبر الناس ، وبعثوا براس الحاج محمد ولد التجيني ومعه بعض الرؤوس الأخرى للجزائر ، وأتوا بسيفه وبعض الحجابات (63) التي كانت عليه ، وفيها جداول من كل نوع ، حتى اني رايت جدولا منها على صفة السيف ، مكتوبا بالزعفران .

وكان الباي ، قد بعث البشائر للأمير قبل قدوم الرؤوس . فعندما وصلت جعلوا راس ولد التيجني في عمود وصلبوه قبالة السباب الجديد ، وعلقوا الرؤوس الأخرى حوله . ولكثرة ما كان الأتراك يخافونه ، بعثوا للسلطان محمود يبشرونه بقتله ، وبعثوا له سيفه والحجب التي كانت معه واحتوى الباي على اثقال التيجني واموالـه ، ورجع لوهران .

تولية احمد باي على قسنطينة

وفي هذه السنة (42) عزل باي قسنطينة ، وولي مكانه الحاج احمد باي ، ولد محمد الشريف ابن احمد باي قسنطينة سابقا . امـا السبب في تولية الكوراغلي بايا على قسنطينة ، بعدما كان البايات الذين تقدموا عليه كلهم اتراك فذلك لأنه بعد مقتل جافر باي قسنطينة ، وحمل كل أمواله وخزائنه الى الجزائر لم يجمع هنالك مال ، وكل من تولى بايـا ، يجمع مالا ويخفيه ، لعواقبه ولذريته ، واذا قرب وقت الدنوش ياخـذون امـوال الناس ظلما بالمصادرة والنهب والغزو على اموال العرب وتوالت تسمية البايات وعزلهم والوطن لا يزداد الا نقصا وضعفا . وهكذا اضطروا في هذه السنة اضطرارا كبيرا ، لتولية الكوراغلي احمد باي على قسنطينة ، ولم يول كوراغلي آخر بايا منذ ثورة محمد باي وهران الكوراغلي على الجزائر ومقتله .

ذهب احمد باي الى قسنطينة ومعه يحي آغا بمحلة وقصدوا جميـع الاعراش وبدلوا القياد والشيوخ وغزوا على بعض الأعراش والنجوع التي اظهرت النفاق ورتبوا العمال .

وبعد أربعة شهور رجع الاغا للجزائر .



الحاج أحمد باي ولد محمد الشريف

عزل يحي آغا ، والسبب في ذلك

اجتمع يحي آغا بالباشا ، اثر رجوعه ، واخبره بما فعــل مع الباي ، واعادة الراحة لوطن قسنطينة . وقال له انه انفق على المحلة من عنده ، اما جملة ما جمعه من المال فقد تركه للباي . فقال له الباشا : وهل اعانك الباي بشيء على مصاريفك ؟ فقال له : انه لم يعطني شيئا : فقال له : جمعت له كل هذا المال الذي ذكرت ولم يعطك شيء فهذا من العجب . فحلف له براسه انه لم يعطه درهما ، الا هدية من الخيل والبغال والكسوة الجريدي (64) لا غير . ولم يدفع اي شيء للخدام . فاغتاظ الباشا من كلامه ، وكتب للباي يلومه على ما فعل من تقصيره مع الآغا .

فلما وصل الكتاب للباي وقراه وعلم ما فيه ، اجاب الباشا بلين وخضوع ، ووضع فيه اشارات ليمهله ويعذره الى ان يدنش ، لان الباي الجديد يدنش سنة ولايته ، ثم بعد ثلاثة اعوام كالعادة . فسكت الباشا عن تلك القضية .

وكانت قد وقعت قبل ذلك وحشة بين الباشا والآغا ، سببها ان الآغا كان كثير الغيرة ، لكنهما لم يظهرا ذلك لبعضهما . وعندما وصلوا قسنطينة أمر الباي بضيافة المحلة . ثم أمر بتهيئة هدية من المال والأثاث الثمين ، وكتب كتابا بعث به مع الهدية الى الآغا . فعندما وصلته الهدية اجاب عن وصولها ، وذكر كل شيء من الهدية بعينه ، فلما وصل الكتاب للباي ، وكان فطنا طواه وأخفاه عنده ، ثم انه بعد ثلاثة ايام بعث له هدية أخرى ، وكتابا ، فأجابه كالأول وذكر له الهدية . وهكذا الى واصله بمال كثير . وكان الباي قد وعد يحي آغا بانه يسلم له ماية الف محبوب ذهبا ، اذا هو سعى له في توليته بايا ، فلما تولى لم يعطه المابة الف محبوب ، واعتذر بقلة ما بيده ، ووعده بانه يبعث له بالعدد عندما يتسير حاله .

فلما دخل الصيف ، اتى باي قسنطينة مدنشا ، والتقى مع الباشا ، ولبس الخلعة كما هي العادة ، ثم دفع عوائده ، ودفع لزمته ، وفي اليوم الثالث اختلى به ، وساله عن قضيته مع يحي آغا ، فطلب منه الأمان فامنه ، فاخبره بما وقع له ، وبمعاملته معه ، فقال الباشا : ان يحي آغا لا يكذب علي ، وهو مصدق عندي ، وانت كذلك ، فانا لم اعرف الحق من الباطل . عند ذلك اظهر له مكاتيب يحي آغا ، فيما وصله من عند الباي ، فعند ذلك اغتاظ الباشا غيظا شديدا ، لانه كذب عليه ، فبعث له في الحين واحضره لديه . فلما دخل ووجد الباي عنده طار عقله ، فامره بالجلوس وقال له : هذا الباي الذي

ذكرت انه لم يعطك شيئا في مقابلة مصروف المحلة ، يدعي انه أعطاك ما هو كيت وكيت ، فانكر انكارا كليا . فعند ذلك اظهر له مكاتيبه ، فخرس لسانه ولم يقدر على رد الجواب واسود وجهه ، وعندها صالح الباشا بين الباي والآغا ، وخرج لموضع حكمه ثم أمر الباي أن يذهب الى يحي آغا في موضع حكمه ويتسامح معه ولا يظهر له العداوة ، ففعل ذلك ، وجلس عنده ، واظهر له المحبة ، وطلب منه علامة المصالحة .

وكان الخزناجي ذلك الوقت شاوشا عند أحمد باي أيام كان خليفة ، وكان لا يحب الآغا وكان ايضا صهر الباشا ، فاتفق مع الباي ومع صهره وكيل الحرج ضد الآغـا .

فلما أتم احمد باي ضيافته ذهب لقسنطينة ، ثم جاءت مراكب الفرنسيس ووضعت البلونكو (65) وبقي الأمر كذلك . اما يحي آغا فقد خرج الى الأبراج والحصون ورتبها ، وذهب لسيدي فرج وبنى هنالك حصنا من اثني عشر مدفعا ، وجعل العسة من العسكر الجديد (66) في كل حصن وعين لهم المؤونة ، والخزناجي يتبعه بالسعاية شيئا فشيئا لأنه لا قدرة له على مصادمة سيده علي الآغا ، لأنه عزيز عنده اكثر من جميع الوزراء ، الى اليوم الذي اراد الله فيه هلاكه . وكان قد فهم ان الباشا غاضب منه ، فصار يعتذر بالمرض . فقال الخزناجي للباشا ان الآغا لا يعطي المؤونة للعسكر الا البشماط (67) القديم والبرغل الذي نصفه تراب ، والسمن الحار (68) ، فلا يقدر العسكر على اكله فارسلوا قائدا من قواد الآغا وهو مريض فاتاهم بشيء من البشماط والبرغل ، فلما رأى الباشا ذلك اشتد غضبه عليه ، وعزله . ونفاه الى البليدة ، فسكنها ، وولى صهره وكيل الحرج آغا في مكان يحي .

ويحي آغا هذا ، هو احسن رجال تلك الدولة عقلا ومعرفة . ثم انهم بعد نفيه للبليدة بعثوا في اثره وخنقوه في بحيرته .

والـذي تولـى بعده ، مثله مثل الحمار ، لا يعرف الا الاكل والنكاح ، لعنة الله عليه .

الخلاف الأخير مع الفرنسيس

تقدم الكلام على قضية الذمي مع الاسبانيول في أمر الدين ، وان ما دفعوا له لم يف بخلاص ديون الذمي ، وان الباشا امره بان ينظر كيف يدفع للناس ديونهم فقال له ان له مالا بذمة فرنسا . فارسل الباشا للقنصل (69) وتكلم

معه في قضية هذا الدين وتكلم معه ايضا في قضية القالة على ان الفرنسيس أحدثوا بها بناء ووضعوا بها مدافع فأجاب القنصل بانهم لم يحدثوا بها شيئا ولا زالوا بالقالة كما هي عادتهم ، فقال له الباشا : بل لقد اتاني الخبر الصحيح باتكم أحدثتم بها مدافع . وها أنا كتبت للراي (70) على القالة ، وعلى دين الذمي ، فابعث له بهذا الكتاب وسلمه اياه فخرج من عنده وبعث بالكتاب .

فعندما وصل الكتاب للراي أجاب القنصل على القضيتين ولم يجب الباشا ، وقال للقنصل اخبر الباشا ، باننا لا نجيبه ، واذا احتاج شيئا عندنا لا يجب ان يكاتبنا راسا وانما كلامه معك ، وانت تتكلم معنا . فعندما وصل الجواب الى القنصل سكت ، لكونه لا يقدر ان يجيب الباشا بهـذا الكلام . وبقي الأمر مسكوتا عنه الى يوم من الايام ، بعث الباشا للقنصل وساله عن الجواب فاخبره بان الراي لم يجب . وبقي الامر كذلك ثم بعث له ايضا ، فاجابه بان الجواب لم يات الى أن جاء شهر رمضان . فلما كانت ليلة العيد ، طلع القنصل ليهنيء الباشا ، وكان من عادته انه لا يدخل يوم العيد مع القوانصة (71) ، لأنه في القديم كان تخاصم قنصلا الانكليز والفرنسيس على السبق بالتهنئة ، ووقع بينهما ما وقع ، فامر الأمير يومئذ بان يهنئ قنصل الفرنسيس ليلة العيد ، ويهنيء قنصل الانكليز يوم العيد . واصبحت تلك هي العادة .

فلما التقى القنصل مع الباشا وهناه بالعيد ساله الباشا عن الجواب فاجابه اتاني ، وهو كذا وكذا ، فقال له الباشا ، ولماذا لم يجبني انا ؟ فقال له القنصل مقالة الراي ، وما كتب له ، فاغتاظ الباشا لذلك وكانت بيده منشة ينش بها الذباب ، فضربه بها وشتمه وشتم الراي ، ثم رجع القنصل لداره وسكت (72) ولم يفش شيئا من ذلك . الى ان فشا ذلك الخبر ، وسمعه بعض القناصل ، فاجتمعوا وبعثوا لقنصل الفرنسيس وسالوه ، فاخبرهم بالواقع وقال لهم : اني كنت كتمت الأمر ، والآن لما فشا بين الناس ، فانـا سـاخبر دولتي ، وعندئذ أخبر دولته ، وبقي ينتظر الجواب ، وكان ذلك آخر الربيع من تلك السنـة (73) .

استعــــداد

ثم امر الباشا بتعمير الحصون وعين العسكر ، وأعطاهم الصناجق ، وعين العسة متاع الطوبجية (74) يبيتون بالأبراج يعسون ، وكثرت عليهم الخدمة ، وضاق خاطرهم ، حتى صاروا يدعون بالنصر للعدو وظهر لهم انه

اذا أخذ البلد (75) فانهم يستريحون . ومع ذلك فهم كانوا مستورين بستر الله ، يأخذون الراتب والقمح ، ويشتغلون مع ذلك ، حتى صاروا في نعمة من العيش ، وقد أذاقهم الله المكروه لكفر النعمة ، قال تعالى : ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

وكانت حينئذ وقعة المورة (76) . واتفق الرايات على راى واحد ، وبعثوا للسلطان ان الكريك يستقلون بانفسهم ولا يتصرف فيهم احد ، على ان يعطوه الخراج الذي كانوا يعطونه سابقا . فوافقهم السلطان على ما ارادوا وأمر ابراهيم باشا رحمه الله بحمل عساكره ورجوعه الى بلاده . وحمل المدافع التي كانت بالمورة وأمر المسلمين الذين كانوا بالجزران يذهبوا الى ازمير وغيرهـا من البلاد .

وبعد ذلك ظهر لعسكر السلطان الانكشارية (77) ان يخلعوا السلطان وان يولوا غيره فوقع بينه وبينهم ما وقع وقتلهم عن آخرهم ، وقضيتهم معلومة(78) وامر السلطان بكتابة عسكر النظام فكتب ما وجد في تلك الأيام .

الحرب التركية الروسية

وبعد مقتل الانكشارية ، هاجم الموسكو بلاد الدولة ، واخذوا وارنة (79) بعد قتال كبير ، واخذوا أدرنة (80) من غير قتال ، فاتفق الانكليز والفرنسيس وجميع الأجناس على رد الموسكو لبلاده ، وان يرجع للسلطان كل البلاد التي اخذ . فخرجوا اليه ، وردوه لبلاده ، على ان يعطيه السلطان مصروفه والتزموا له بذلك ، وردوه ، والزموا السلطان باعطاء المصروف ، فبعث السلطان الى محمد علي والي مصر والى طرابلس وتونس والجزائر لكي يعينوه .

وفي سنة 44 (81) قدم قبجي باشا كي يأخذ الدراهم ، وسلم للأمير امر السلطان بان يكتب عسكر النظام . لكنه رد القبجي باشي خائبا . وقد قيل انه قال له : ادفعوا انتم للموسكو ما وجب عليكم . امـا ما وجب علينا فابعثوه لكي نعطيه من افواه المدافع . فلما رجع القبجي باشي وأخبر السلطان الأعظم بذلك ، اشتد غضبه على الباشا .

الجيش النظامي

ثم ان الباشا ، بعد رجوع القبجي باشي ، أراد ان يكتب العسكر النظامي من عسكر زواوة (82) القديم فتكلم مع وزرائه وعماله ، وقال لهم اني أريد ان

اكتب العسكر النظامي من جند زواوة بان يبعثوا أولادهم ليكتبوا في دفاتر الجيش النظامي وولى على ذلك العمل اربعة رجال من آغوات الترك وجعلوا كتابا أربعة شواش وامرهم بان ياتوا باولاد زواوة ، فاتـوا بهم في اليوم الموعود ، وكان الباشا حاضرا ، فعندما حان وقت الكتابة استشار خوجة الترك الباشا وقال له اين نكتبهم ، وهل نجعل لهم دفترا وحدهم ، ام نضعهم في دفتر العسكر (83) فامره الباشا بكتابتهم في دفتر العسكر ، فكتب منهم نحو المايتين وهو حاضر ثم ارتقى للسراية فلما غاب عنهم ضرب الخوجة الارض بالقلم الذي بيده ، ودعا بالتركية الله مستحق وارسن ، وذلك من شدة غيضه على كتابة أولاد العرب . وبلغ خبره للأمير . وكان عليه ان يعاقبه في نفس الوقت ، لكنه سكت وصبر ، وكتب منهم نحو الالفين ، ثم قطع الكتابة .

اعمال عمرانية ودينية

وفي هذه السنة ، هدم الأمير مسجد سافير واعاد بناءه في نفس السنة وجعل درسا لصحيح البخاري كل يوم بجامع خضر باشا ، على ان يختم كل شهر ثم جعل حزبا بالجامع الأعظم ، وفيه اربعون طالبا ، يقران سورة انا فتحالك فتحا مبينا كل يوم وقت الزوال .

الحرب مع الفرنسيس

في هذه السنة . قدم الاميرال الفرنسي (84) في سفينة ، وجعل صانجاق احمر فوق صاريها ، ودخل وارسى السفينة تحت الأبراج . وذهب اليه قنصل الساردو ، فقال له الميرانتي انني اتيت من أجل الصلح ، فرجع القنصل واخبر الباشا بمجيء الميرانتي ليجعل معكم الصلح ، ومن الغد ، نزل الميرانتي وطلع للباشا والتقى معه ، وتكلما ، ووقع الوفاق بينهما ، ورجع الميرانتي للسفينة ، واستبشر الناس في ذلك اليوم . وفي اليوم الثالث ، طلع لاتمام شروط الصلح ، فلما تراضوا بينهم ، ولم يبق الا اطلاق مدافع الصلح ، طلب الميرانتي من الأمير ان يعطيه رجلا من اقل خدامه ، يحمله معه الى فرنسا ، على أعين الأجناس (الدول) ، لكونه وهو ميرانتي ، ظهر له أن يجعل معه رجلا ، رفعا لقدرهم ، وليقولوا في كتبهم اننا بعثنا اليهم رجلا ، وهم بعثوا الينا رجلا ، جبرا لخاطرنا .

فاشتد غضب الباشا حينئذ ونفخ فيه الشيطان واخذه العجب والكبر ، وظن ان لا يغلبه أحد وقال له : لا نجعل الصلح بيني وبينكم ، فضلا عن أن اعطيكم

رجلا من عندي . والآن يجب ان تسافر حالا ، فقال له الميرانتي : لا نستطيع السفر الآن من أجل الريح ، فلو خرجت وحملت المخطاف فان السفينة تحرث في الارض . فقال له الباشا : الأجل ساعتان ، فاما ان تحمل مخاطيفك وتذهب أو تغرق سفينتك ، فذهب الميرانتي ولم يقدر على السفر ، وامر الباشا ، وكيل الحرج ، وباش طبجي ، ان يضربوا السفينة اذا انتهت الساعتان ، ولم يخرج ، فلما انتهت الساعتان ضربوه ، فقام في ذلك الوقت وخرج ، وهم يضربونه ، وهو سائر حذاء الأبراج ولا يضرب ، حتى انه أغلق فتحات مدافعه وقد وقع للناس من ذلك حزن كبير ، واهل المعرفة قالوا : الآن اخذنا .

ولما وصل الميرانتي لبلاده ، كتبوا للسلطان محمود ، واخبروه بما فعل معهم ، فقال لهم : هؤلاء الناس طغاة ، فاذهبوا اليهم ، واحملوا جميع من بها من الأتراك وائتوني بهم ، وخذوا مصاريفكم من خزنتهم ، وأتوني بشيء منها ، واتركوا بها نصيبا لمصروف البلد ، واجعلوا عليها من يقوم بامرها من اهلها (85)

اما قنصل الفرنسيس السابق ، فقد كان قد هرب من قبل مع سفينة قرصان فرنسية ، وخلف وكيله قنصل الساردو على داره وامتعته (86) .

وعندما قرا الفرنسيس كتاب السلطان شرعوا في تعمير عمارتهم وعزموا على القدوم للجزائر .

مهمة الحاج خليل

بعد ذلك بعث رجال الدولة العثمانية للحاج خليل افاندي وارسلوه للباشا وأمروه بان يجعل الصلح مع الفرنسيس قبل ان يقدموا بعمارتهم . فقدم الحاج خليل سنة 45(87) وتكلم مع الباشا ، ورغبه في الصلح ، وقال له : اتركني انا اذهب لفرنسا واجعل لك الصلح معهم فلم يقبل منه ذلك . وبعث له محمد علي والي مصر كذلك ، فلم ينصت لكلامه ، وهو لا يزيد ، عدو (89) الله ، الا عنادا وتجبرا .

تلبية دعوة الجهاد

اما سبب تجبره ، فهو انه كان بعث الى زواوة فاجابه بقية جالوت وكتب له كبراؤهم بقية فرعون لعنة الله عليهم وعليه ، فمنهم من قال له انه ياتيه باربعين الف رجل ومنهم من قال له انه ياتي بثلاثين الف رجل ، ومنهم من قال بعشرين الفا . وهكذا سائر الأعراش سهلا وجبلا . فلما قرا ذلك اجتمعت

لديه ملايين يظهرون له الرغبة في الجهاد وهم قوم مثل البهائم ظهر لهم ان ذلك القتال انما هو كقتال بعضهم لبعض ، قتال حمية الجاهلية ، وقد ذكروا له الألوف لأنهم لا يعرفون مقدار الالف ، فظنوا ان المائة هي الالف . والباشا نفسه ظن ان هذا القتال مثل قتال الرعية ، والا فكيف يقابل جنسا قويا كجنس الفرنسيس من غير عدة ولا عدد .

المعـــركـــة الأولـــى

وفي ليلة المولد النبوي الشريف ، بعث الأمير فركاطة ، وسكونات خرجت في الليل لمقاتلة مراكب البلونكو (90) فلما اصبح الله بخير صباح مولده عليه الصلاة والسلام ، تقاتلوا مع السفينة ، وظهر نصر الله على المسلمين في ذلك اليوم ، وذهبت عنهم السفينة بعد القتال ، ورجعوا الى المرسى واعطى الباشا للمجاهدين خمسة عشر ربع سلطاني لكل واحد .

خـــرافـــات وكدر

وبقي الباشا ينصت لشياطينه اهل البدع من الأحرار والعبيد ، يقولون له رأينا في (منامنا) كذا وكذا . والأخبار تتوارد عليه من كل ناحية بانباء العمارة الفرنسية ، وعساكرها ، وانهم سينزلون بسيدي فرج (91) .

وسمعت رجلا من اتباع الآغا يقول : اتى قنصل النابوليطان يوما الى الآغا ، وقال له : ان عمارة الفرنسيس قادمة ، وستنزل بسيدي فرج . فلو جعلتم متارز (92) في كـــل ربوة وعمرتموها بالمدافـــع ومهاريس (93) البومبة ، ووضعتم الف عسكري على كل متارز ، فاذا نزل الفرنسيس في البر فانه لا يستطيع ان يزيد عن موضعه . فضحك الآغا ، وهو صهر الباشا ، واجابه : اذا جاءت عمارة الفرنسيس ونزل جندها ، فاقدم لكي ترى كيف يقص العرب والقبائل رؤوس الفرنسيس فلما خرج من عنده ونزل من ادراج العلي (94) ضرب بيده علي فخذه وقال : هذا الحلوف (95) ، انا اريد صلاحه وهو يقول مثل هذا الكلام (96) !

اما اهل البلد ، فقد كانوا في محنة لا يقدرون على الكلام ، خوفا من الظلم والتكبر والتجبر . وفي يوم من الأيام تكلم رئيس من رؤساء المراكب الجهادية مع بعض الناس في أمر الفرنسيس ، فقال ان هذا جنس قوي لا نقدر عليه ، ولا عندنا عدة ولا عدد مثله او كلام مثل هذا فبلغ خبر ذلك الى الباشا ، فبعث

من يقول له : قسما لو لم يكن رجلا مسنا ، لدفنته في القبر وهو حي جزاء الكلام الذي تكلم .

مؤامـــرة خائبـــة

وبعدما وقع هذا ، اتفق البعض من خوجات الترك على قتل الباشا ، وقدموا واحدا منهم اسمه مصطفى خوجة ، وكان رجلا عاقلا وتعاقدوا مع بعضهم بعضا ، على انهم عندما يدخلون يوم عيد الاضحى علـــى الباشا ، لتهنئته بالعيد ، يقتلونه ويولون مكانه مصطفى خوجة المذكور ، وكان اتفاقهم هذا في ضريح سيدي بنور ، بجبل بوزريعة . ووكيل الضريح التركي اعمى ، خلده الله في النار أعمى على وجهه ، ما دام اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار ، فبعث للباشا واخبره بصنيعهم . وكانت ليلة العيد ، فبعث حالا الى مصطفى خوجة وقتله في تلك الليلة ، ومـــن الغد قبض على لقمان خوجة وابراهيم الدخاخني ، وقتلهما . وقبض على الأعمى ايضا ، فصار يعتذر فنفاه الى قرية من القرى . وعفى عن الآخرين والله أعلم ، انه لولا خوف الفتنة ، وقرب وصول العمارة لكان قتل كل من حضر هذا الجمع من الترك .

وفي الحقيقة ان اللـــه اذا اراد شيئا هـــيأ اسبابه ، فسكت الناس ، وأدخل الله الخوف الى قلوبهم ، وصاروا لا يقدرون على الكلام ، حتى كأنهم نيام أو سكارى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

عظة للسلطان ، ومهمة طاهر باشا

وعندما قرب أوان خروج العمارة الفرنسية من طولون أتت رسائل من تونس تخبر ان السلطان محمود راجعه يوما من الأيام احد عبيده يلقب بفزلار آغاسي وبلساننا قائد الدار ، وقت دخوله للحريم . فلما راى ابناءه ، اخذ منهم واحدا فقبله فقال له العبد : هذا ولدك اخذك الحنان عليه فكيف لا ياخذك الحنان على أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وفـــيهم صبيان ، وكهول وعلماء ، واشراف ، وصالحون ، وشيوخ ، وأيتام ، وارامل ، وقد اذنت للفرنسيس باخذهم ، ولم تشفق عن هؤلاء المسلمين لأجل رجل عصاك . فلو بعثت اليه احد خدامك ياتيك به ، وتنتقم منه . وان منعوه عنك تسلط عليهم من ينتقم منهم (97) ، فبهت السلطان لهذا القول ، وقيل ان دموعه أخذت تنحدر على لحيته ، وبعث في الحين فعين الطاهر باشا ، على أن يذهب لفرنسا ، كي يرد العمارة ، فرحم الله هذا العبد الذي تكلم بكلام الفحول ، حتى رجع السلطان

عما صدر منه ، ولم يصدر هذا الكلام من الأحرار ، وفي هذا القدر كفاية ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

اما طاهر باشا ، فانه ركب فركاطة وقدم مقابلا للجـزائر فعندما لم يجد العمارة هنالك ، ذهب الى مرسيليا ، بقصد ان لا يترك العمارة تقدم للجزائر ، والسلطان هو الذي ياخذ بثار الفرنسيس من الباشا ، فلما وصل الى مرسيليا اوقفوه هنالك ، ثم خرجت العمارة .

وقبل ذلك ، قال الباشا للناس ، من اراد الحج فليتهيأ لذلك (98) ، وعين ثلاثة مراكب من مراكبه الجهادية لتذهب معهم ، لحفظهم من الكريك ، وعين أمين الصرة (99) وامر القبطان مصطفى رايس ان يوصلهم الى الاسكندرية ، ويرجع . فلما ذهبوا وقعت الحرب من ورائهم فبقوا في الاسكندرية الى ان نفذ الله قضاءه فينا .

وقائع أولى قبل قدوم العمارة

قبل قدوم العمارة الفرنسية بايام رفض البحر سكونتي قرصان فرنسيس ، على ساحل يسر ، وكان الباشا قبل ذلك قد نادى في الرعية ، انه اذا اتى الفرنسيس فكل من قطع راسا للعدو واتاه به ، فانه ياخذماية دورو . فسمع الاعراب الذين لا دين لهم ففرحوا بذلك ، وهو مراده السفه عليهم . فعندما توقفت السفينتان على الساحل ، قبض الناس على النصارى ، ونهبوا ما في السفينتين وبعثوا للباشا ، واخبروه بالواقعة ومنهم من قتل النصارى واتوا برؤوسهم ، ومنهم من اتوا بهم أحياء وقدم معهم اعراب ذلك الوطن كلهم ، ثم انهم لما قدموا اليهم ، وهم مايتا رجل فوجب لهم عشرين الف دورو . ووقع النزاع بين الأعراب وكل واحد من القادمين يريد ان يأخذ الدراهم . فدفع البـاشا عشرين الـف دورو للآغا ، وقال له : اخـرج بهـم خارج المدينة وجردهم (100) ، وكنت انا قادما من البستان في ذلك الوقت ، فاخذني الآغا معه من باب البلد ، لكي اعين كاتبه في تجريد الأعراب ، فذهبت معهم الى الفندق الجديد الذي بنوه فوق القصبة خارجا عنها ، وابتدانا نجرد الناس ، ووقع الخلاف بين الأعراب ، ولا قدرنا نعرف هذا من هذا . وكثر اللغط فيهم ، وبقينا كذلك وقتا طويلا ، ولم نحصل على طائل ، فانهينا الأمر الى الآغا ، فقال اتركوا هذا التجريد الى غد . فذهبت انا ، ولم ارجع لهم ، ومن الغد ، اخذوا عدد الأعراب ووزعوا النقود على عدد الرؤوس ، وبعد اتمام ذلك ، بعث لي الآغا خمسة دورو منها ، اجرة ما جردت لهم في اليوم الأول .

ظهور العمارة الفرنسية

وفي يوم السبت الحادي والعشرين من ذي الحجة ، سنة 1245 (101) ظهرت عمارة الفرنسيس ويوم الاحد ، نزل عسكرهم بسيدي فرج ، أعاد الله علينا من بركاته ، وفي الحقيقة ظهرت العمارة عشية الجمعة ، يوم العشرين في الشهر ، وتقدم الرايس أحمد بالجي وكيل ضريح سيدي فرج في الليل ، واخبر الباشا بظهور بعض العمارة ، فقالوا له : ان ذلك سحاب ظهر في الأفق ، ومن الغد راينا كامل العمارة .

ومع هذا كله ، والباشا نائم ، كانه لم يكن عنده عدو ، حتى ان العساكر الذين عنده خرجوا في محلة الشرق ، وغير جميع النوبة التي في كل البلاد ، وكتب له البايات ليستنفروا له العسكر الذي عندهم ، والقوم (102) ، فاجابهم بان لا يستنفروا أحدا للجزائر ، انما يستنفرون الناس من اجل حراسة السواحل التي تليهم .

وفي يوم الاحد الذي نزل فيه العدو بسيدي فرج ، أمر بخروج الآغا فخرج ومعه نحو السبعين فارسا ، فذهب لغرب سيدي فرج ، للحصن الذي بناه يحي آغا ، وضرب الناس بعض الطلقات من المكاحل (103) والمدافع من ذلك الحصن ، وهو يقول لهم : لا تضربوه ، اتركوه ينزل . ونبعث للقبائل ونقوم عليه . عند ذلك بعث للقبائل يستقدمهم للجهاد،وخرجت محلة من مدينة الجزائر ببقية العسكر ، اي نحو الفي جندي ، وهذه مبالغة ، والله أعلم ان الذين خرجوا في اليوم الاول نحو الالف لا غير . أما الالف الأخرى فقد اجتمعت بعد اليوم الاول شيئا فشيئا . وابتدأ العرب يلتقطون للجهاد أهل متيجة واهل القليعة والبليدة .

أما الفرنسيس فقد انزل عسكره وجعل متازر من الأسوار ، وقد رايته بعد ذلك وسنذكره مفصلا (104) ، وحصن نفسه على ما رايت ، بحيث لو اجتمعت عليه كافة اهل العمالة وغيرهم ما دخلوه . والآغا كان اولا بالحصن ولحقته المحلة من الجزائر ، ووصلته المدافع فترك الحصن وتاخر عنه ، ونزل بمحلته قبالة المتارز .

وكان باي قسنطينة قد قدم مدنشا كما هي عادة البابالار (105) وكان تلقى أمرا من الباشا بان لا ياتي معه الا بنحو ماية من القوم لا غير ، اما بقية قومه فيتركهم مرابطين على مدينة عنابة . فخرج يوم الاثنين بمن معه من القوم ، ونزل مع الآغا ، وذهب قومه وأطلقوا النار ثم رجعوا . وكذلك كان كل من

يلحق بالجيش يقترب من المتارز ويضرب وجوها،والآغاد قاعد في الوطاق على الأكل والشرب ، والناس هائمون من غير ترتيب .

ولما نزل باي قسنطينة ، كتب للباشا يخبره بقوة النصارى وبضعف جيوشنا ويستاذنه برجوع محطة الشرق للجزائر ،فاذن له بذلك ، ورجعت المحطة .

وقدم باي تيطري كذلك لأجل الدنوش ، فامره الباشا بان يذهب الى سيدي فرج وأعطى الباشا امره لكامل الجيش بان لا يقاتل الا يوم السبت . فلما كان السبت بعد صلاة الصبح ركب الآغا لناحية ، وركب السبايات كل واحد في ناحيته ، وتقدمت جيوش المسلمين للقتال ، والنصارى ينتظرون قدومهم ، وابتدا القتال ، والصناجق مرفوعة وهجموا الى ان وصلوا الى المتارز ، وقيل ان أهل الصناجق وبعض الجيش قد دخل المتارز ، فانقلب عليهم النصارى ، واخرجوا الشنضاض (106) من المتارز ، وقوى القتال بينهم . ولم يكن الا قليلا حتى نظر المسلمون لكثرة الشنضاض وقد احاطوا بهم من كل ناحية ، وهم من كل حدب ينسلون ، وراوا انهم اصبحوا في وسط النصارى كاللمعة . فعند ذلك انهزموا ، واسودت الوجوه في ذلك اليوم (107) ولا احد لحق الآخر فلما وصلوا لمكان المحطة وجدوا الآغا قد هرب وترك ما عنده في المحطة ، وصار الأعيان من الناس يربصون الجند المنهزم ، والجند لا يزيد الا فرارا . فلما راى النصارى هروب الناس وضعفهم هاجموا المحطة (108) واستولوا على ما فيها . فاما العرب فكل واحد رجع لموضعه ، واهل البلد رجعوا للبلد . ومن الغد اشتغل النصارى بخدمة المتارز ، ولو شاءوا لدخلوا مدينة الجزائر ذلك اليوم . لكنهم يقراون العواقب .

وقد كان الباشا قد اخبر في أول القتال بان الصناجق دخلت المتارز الفرنسية لكن بعد ذلك بنحو الساعة ، اتى الخبر بانهزام المسلمين ، وأما النساء من اهل البساتين فقد تركوا بساتينهم وأمتعتهم ، واتين هاربين للبلاد حفاة عراة ، بحيث ان المراة كانت في وسط الرجال وهي لا تشعر بنفسها . ثم ان العرب المنهزمين ، عندما راوا ان العدو قد اخذ المحلة ، قصدوا البساتين ونهبوا ما في ابراجها من ارزاق المسلمين ثم رجعوا لبلادهم .

وخرج الخزناجي فيذلك اليوم لبرج مولاي الحسن (109) ، وبات هنالك ورجع في الصباح الى دار الامارة ، والآغا بات في بستانه ، والبايات كذلك باتوا في عين الربط ، وبعث لهم الباشا يدخلون للمشورة ، ودخل معهم خليفة باي الغرب وكان لحق ، واجتمعوا في علي الآغا ودخلوا لدار السلطان ، واجتمعوا مع الباشا ، وكان رأيهم قد فسد ، ومن علامة الخراب فساد الراي ،

فاتفقوا على تعمير برج مولاي الحسن ، وكانوا قد بعثوا بي لأجرد لهم ما فيه من المدافع وآلة الحرب ، فذهبت ، ووجدت به عشرة مدافع صغيرة ، ونحو القنطارين من البارود ، وما يقرب من المايتي كورة ، فاتيتهم بالجريدة واطلعوا عليها ، وأمروا بتعميره وقد كانوا يخافون ذلك البرج لكونه أكثر ارتفاعا من القصبة ، ومن خاف من شيء سلط عليه . انما كان خوفهم يومئذ من أجل الأتراك (110) . كما اتفقوا ان يجهزوا الجيش ويخرجوا لقتال العدو . فخرجوا ، وامروا العسكر بالخروج وتقدمت بعض من قبائل زواوة ، وصاروا يقاتلونه من جهة بساتين البلد . اما النصارى فكان شغلهم بناء المتاريز ، وحول كل واحد منها خندقا ، وبين المتارز والآخر قدر رمي كورة ، وكل متارز وسط فيرمة (111) ، فلما حصنوا حصونهم ، وعمروها بما يلزم من الأكل والشراب وآلة الحرب تقدموا ودخلوا البساتين .

اما القبائل الذين كانوا ياتون من اجل القتال ، فلم يكونوا يعطونهم الاكل والبارود الا ما قل فيقيمون يومين أو ثلاثة ويرجعون واذا اتوا يطلبون البارود ، يقول لهم الاتراك : البارود الذي نعطيه اياكم لا تقاتلون به ، بل ترجعون به الى بلادكم . ومن جملة ما فعلوا ، انهم كانوا يبعثون في اثرهم عند رجوعهم ويفتشونهم ، وياخذون ما عندهم من البارود . ومع هذا فان الباشا كان يامر عماله باعطاء الاكل والبارود ، لكنهم كانوا يشحون عنهم .

وبعد ما دخل العدو للبساتين ، اقام نحو السبعة أيام وهو يبني الفيرمات ، مثلما صنع أولا ، ويستقدم اثقاله وابتدا في بناء حصن في ربوع عالية ، فوق برج مولاي الحسن ، وصاروا يرمون عليه البومبة ، وهو لا يعرف الا الخدمة في المتارز . وبعض الاحيان عندما تكثر عليهم البومبة يهربون من المتارز ، فيدخله المسلمون ، فاذا انقطع رمي البومبة يعيدون الكرة ، ويرجعون للمتارز ويخرجون منها المسلمين ، ويعودون لخدمة بناء الحصون . وكان هذا دابهم ليلا ونهارا .

وكانت مدافع القصبة ترمي الكور على هؤلاء النصارى وعلى الذين كانوا بضريح سيدي بنور . ومن اليوم الذي قدمت فيه عمارة النصارى ، لم يخدم ريح الصبا ، ولم نر الا ريح الدبور ، ولم نر علامة النصر ابدا . ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

رمي الجزائر بالقنابل

ثم قدمت العمارة في البحر ثلاث مرات بقصد القتال مع الابراج ، فاول مرة وصلت العمارة قبالة برج تانت الفول واطلقت عليه الكور ، وكنت ارى

الكور ينزل على الارض مثل المطر الغزير وأنا اذاك أنظر من برج مولاي حسن . وكان البرج يضرب السفينة واحدث بها اضرارا . وكذا غيرها من السفن . لكنهم كانوا يضربون من القلاع أما العمارة الفرنسية فيتبع بعضها بعضـــا .

وعندما قربت العمارة من برج الزوينة ، وبرج راس عمار ، أهلكها البرجان بالضرب ، فعادت ادراجها وابتعدت عن موقع الضرب ، ثم رجعت بعد ذلك بيومين أو ثلاثة ايام ، وفعلت ما فعلت أولا ، ولحقت منها ثلاث كنبرات (112) سقطت واحدة على الساعة (113) ، وسقطت الثانية في سوق الحاشية والثالثة لا اذكر اين سقطت . كما سقطت كورة كبيرة في برج باب البحر . لكن عندما قوى رميها بالمدافع من الأبراج ، رجعت للوراء .

اما المرة الثالثة فقد دخلت العمارة ، ولم تصل الى موضع الضرب ، ورجعت

تحطيم برج مولاي حسن

وعندما كان العدو بين المتارز التي هي أعلى برج مولاي الحسن ، دخل الخوف في قلوب الناس واشتد الامر على المسلمين واتم الفرنسيون بناء هذه المتارز واشتد ازرهم بها . ويوم السبت في آخر الليل ، نصب في تلك المتارز ما يزيد على مايتي مدفع ، وصار يضرب البرج الى بعد شروق يوم الاحد ، وتهدم البرج بعد قتال كبير ، ومات خلق كثير من الفريقين واشتد الامر على من بقي في البرج ، فمنهم من هرب ، ومنهم من القي بنفسه من اعلى الجدار ، ومنهمن تدلى بحبل . وخرج من بقي فيه ، ومنهم الخزناجي . لكنه وعد باعطاءماية سلطاني ذهبا لمن يشعل النار في خزنة البارود ، فذهب رجل واخذ قرطيل بارود من الخزنة وأخذ يفرغ ما فيه شيئا فشيئا بصفة متواصلة من الخزنة الى ان ابتعد عن البرج ، ونفذ ما في القرطيل ، فاشعل النار في البارود وهرب ، وعندما وصلت النار لخزينة البارود ، انفجرت ، وطار ما حولها من البناء ونزل حجرها على البلاد ، وبعد ذلك انقطع ضرب المدفع ساعـــة .

ثم ان النصارى هاجموا موضع البرج ، وتمكنوا منه ، واخذوا ما كان فيه من الامتعة وغيرها من آلات الحرب والدراهم التي اخرجوها من تحت الردم .

طلب الامان والتسليم

ولما اخذ هذا الحصن ، قوى ضرر اهل البلاد ، ومن اخذه أخذ البلد . ولما راى الأمير ذلك ، بعث للطاغية وطلب الامان لنفسه وأهله وماله . فاجابوه لذلك ، ولم يكن لاهل البلد خبر بما فعل (114) . ولما جاء الرسول بالجواب ، اخذه وسكت . وبقي العدو مقيما في برج مولاي الحسن . ولما كان وقت العصر ، ذهبت طائفة من النصارى الى برج راس تفورة وكان الامير ينظر اليهم ، فبعث الى اهل البرج ، وقال لهم لا تضربوهم فلما وصل النصارى الى باب البرج ضربهم المسلمون من اعلى الحصن ، وقتلوا منهم اثنين . فلما راى كبيرهم من برج مولاي حسن ذلك ، ضرب لهم مدفعا ، فرجعوا الى منزلهم .

ولما راى الامير رجوع النصارى من راس تفورة بعث لاهل البلد في تلك العشية وجمعهم وقال لهم : كيف ترون العمل مع العدو ، قالوا له : نقاتله . فاعطنا السلاح ونخرج اليه والعسكر يعسون في الأبراج على الأسوار . فتكلم كبراء العسكر وقالوا لهم : نحن نخرج اليه ونقاتله ، وانتم تعسون في الأبراج وعلى الاسوار كما هي العادة فاتفقوا على هذا الامر وافترقوا ، وبعد المغرب ، ابتداء العسكر في الهروب . وشاع خبر عند الناس بان الامير اخذ الامان من العدو على نفسه ، واهله ، وماله فاجتمع اعيان البلد ، وذهبوا اليه بعد صلاة العشاء فقال لهم ماذا أتى بكم ، فقالوا له انت فعلت كذا وكذا ؟ فقال لهم : ان الكلام لا يكون بالليل ، وغدا ائتوني اتكلم معكم . فذهبوا وبات المسلمون في حيرة عظيمة . ولما طلع النهار قدموا اليه ، فامرهم بالدخول للمسجد ليتكلم معهم . فدخلوا وبقوا ينتظرون قدومه . وهو بعث رسوله الاول الى العدو ، وطلب الامان لاهل البلد في انفسهم واموالهم . ويسلمونه البلد دون قتال . فكتب لهم الجنرال (115) كتاب الامان في نفوسهم واموالهم ، ومساجدهم وامور دينهم ، وان لا يتصرف في شيء من أمورهم ، الا في الامور المخزنية . وانه قبل الزوال يدخل بعسكره للبلد ، فان ضربوه بوجه من البارود فانه يقتلهم ويسبى نساءهم وذراريهم ، وان اقام كل واحد بداره ولم يضربوه فهم على الامان مثلما كتب لهم فلما وصل الرسول للامير ودفع له الكتاب ، فبعث به لهم مع ترجمانه ، وقال لهم : ان الامير اعطى البلد (116) للنصراني من غير قصد وهذا ما اراد الله تعالى ، وقد أحاط العدو بالبلد ، ولم تقدر على دفعه لكثرة جيوشه ، وجيوشنا كلها هربت ، والعدو داخل نصف النهار . وقد خاف الامير من كشف النساء والصبيان ، واخذ لكم الامان منه ، وها هو كتابه ، واياكم ان يضربه احد منكم ، ويلزم كل واحد داره حتى يفعل الله ما يريد .

فلما سمع الناس مقالة الترجمان ، خرست السنتهم ، حتى لم يقدر احد ان يجيبه بشيء ، وذهب كل واحد لداره .

سيرة حسن باشا :

وحسن باشا هذا ، وهو آخر ملوك الترك بالجزائر ، قد كان قوي النفس ، لا يتزعزع لعظائم الامور ، ولا يتضعضع لنوائب الدهر . واما سيرته في اهل البلد ، وأهل مملكته فقد سار فيهم سيرة حسنة ، لم يسرها من تقدمه . من لين الجانب ، وسهولة المجاب ، والعفو عن الجرائم والصفح عن الزلات . والكف عن الدماء والمحارم ، ورفع الظلامات ، وتفقد أحوال الضعفاء . وكان تقيا ، محبا للصالحين ولمن انتسب اليهم ، حتى انه كان يغتر باهل البدع فيحسن اعتقاده فيهم . ويكرمهم ، ويستبشر بمقالتهم ، وكان الواجب عليه التغير على اهل البدع وزجرهم على فعلهم القبيح ومخالفتهم للسنة .

وكان يلتزم احكام الشريعة المطهرة ، اما عماله على اهل البادية فقد ظلموا ، وجاروا على الرعية .

الا أن أيام ملكهم اخذت في الادبار ، وانقضت كواكب سعودهم ، وافلت من منازلهم الشموس والاقمار ،وهذه الدنيا لا يدوم نعيمها ،ولا ييأس سقيمها . وبهذا جرت عادة الله في خلقه انما الدهر دول بعد دول ، وهو لا يسأل عما يفعل وهم يسألون صدق الله العظيم . وكانت الجزائر ملكهم ودار سلطانهم . فاتى عليهم ما اتى على غيرهم . واستولت الدولة الفرنسية على بلادهم فابعدت القوم عن اوطانهم واوحشتهم بعد الايناس (117) ، وتلك الايام نداولها بين الناس . واتاهم ما اتى على غيرهم فصاروا عبرة لغيرهم لما خلت منهم الديار ، واراد الله انقراضهم ، وذهبوا فهل ترى لهم من باقية . بعدما شيدوا البناء الذي لم يشيده شداد بن عاد ، في ارم ذات العماد .

فسبحان من لا يزول ملكه ولا يفنى دوامه ، وتصرفت في البلاد احكامه . يفعل في ملكه ما يشاء ، وهو على كل شيء قدير .

وانا استغفر الله فيما زدت او انقصت

خاتمة

فانظر ايها المعتبر كيف كانت اول ايام هـــذه الدولة ، من ضخامة المملكة واتساعها واستفحال الدولة وارتفاعها على سائر الدول اندادها وتامين الافاق لها ، وامتداد الايادي لها بالطاعة ، وما اتفق للأمير خير الدين باشا ، من ذهابه لبقية بني زيان ببلد تلمسان ودخولها تحت طاعة السلطان العثماني ، ثم

هذه مناداة من سار عسكر امير الجيوش الفرانساوية

الى سكان الجزائر واهالي القبائل

بسم الله الهادي المعين وبه نستعين

يا أيها سادات القضاة والأشراف والعلماء وأكابر المشايخ والقبائل اعلموا [illegible] على مزيد العز والإكرام
أما بعد اعلموا هداكم الله الى الرشد والصواب أن حضرة سلطان فرانسه [illegible] انعم علينا بتوليته إيانا سر عسكر
[illegible] سكان الجزائر ومن ينتمي إليكم من عرب القبائل أن الباشا حاكمكم من حيث انه تجرأ على [illegible]
[illegible] بسبب [illegible] ان يحل بكم من الحوادث والمضرات لكونه [illegible] عليكم الحرب من قبلنا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
يا أيها أهل الإسلام [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] عسكرنا المنصور [illegible]
[illegible] وسمن وزيت [illegible] وشعير وما يشبهه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] عسكرنا المنصور [illegible]
[illegible]
[illegible] العداوة [illegible] على البلاد والعباد [illegible]
[illegible]
[illegible] سلطاننا المنصور [illegible] من الله تعالى [illegible]
[illegible] سمع واطاع
والسلام

المنشور الفرنسي الذي وزع بالجزائر قبيل الاحتلال

استيلاءه على تونس ، وقمعه للثوار ، كمثل ابن القاضي وقره حسن وغيرهم وايقاعه بالبربر وغيرهم . وكانت له في الاهبة والجلال،وفي الفتوح والحروب آثار مشهورة **كما تقدم في اول الكتاب** (118) . ثم انظر كيف كانت عاقبة أمرها ، وانقلاب احوالها . حتى صار الامير حسن باشا لا يملك الا موضع قدمه من القصبة ، وعندما دخل عليه النصارى كان كانه أسير أو مسجون بين ايديهم . وهو ينظر الى ذلك ، لا يجد قوة ولا يملك دفاعا ولا يرجو ظهورا . وقد تفرقت عنه الحامية ، وانحلت العصابة ، وانقطعت الجباية وهذا شأن الدول . ثم انظر الى حضرتهم ودار مملكتهم كيف كانت في زمن استفحال دولتهم ، وهي حاضرة واسطة المغرب ، مستمدة لرياح النصر ، وقد اتصلت عمارتها ، وعظمت مصانعها ، وكثر ترف سكانها ، وتوافر علماؤها وشعراؤها ثم آل امرها الى اختلال النظام ، وزوال العمران الاسلامي ، واستيلاء الحرب على اكثرها ، وخروج اهلها الى البراري طالبين النجاة بانفسهم من العدو ، حتى صاروا يتكففون بين خيام الاعراب وقد ذاقوا الباس والجوع والخوف ، وانطمست اعلامها وامحت رسومها وذهبت محاسنها (119) ، وانقرضت أعيانها ، وغيض علماؤها وخرس شعراؤها . وانفحم كتابها وبلغاؤها . وهذا شأن البلدان اذا بلغت القاصية من حضارتها والنهاية من عمرانها وقفت كذلك ما شاء الله تعالى ، ثم ترجع ادراجها وتاخذ في الانحطاط الى ان تبلغ الحال الذي وصفنا . وربما خربت بالكلية ، واصبحت خاوية على عروشها .

وقد عقد ولي الدين بن خلدون في الكتاب الاول من تاريخه الكبير (120) فصلا في هذا المعنى بين فيه ان للعمران اجلا لا يتعداه وان الحضارة ، غاية ونهاية لعمره قال فيه : ان العمران كله من بدواة وحضارة ، وملك وسوقة ، له عمر محسوس ، كما ان الشخص الواحد من اشخاص المكونات له عمر محسوس . وتبين في المعقول والمنقول ان الاربعين للانسان غاية في تزايد قواه وعتوها ، وانه اذا بلغ سن الاربعين ، وقفت الطبيعة على اثر النشوء والنمو برهة ، ثم تاخذ بعد ذلك في الانحطاط . فلتعلم ان الحضارة في العمران ايضا كذلك . لانها غاية لا مزيد عليها . وكذلك ان الترف والنعمة اذا حصلا لاهل العمران دعاهم ذلك بطبعه الى مذاهب الحضارة ، والتخلق بعوائدها . والحضارة هي التفنن في الترف ، واستجادة احواله ، والكلف بالصنائع التي هي تدنو من اصنافه ، وسائر فنونه ، كالصنائع المهياة للمطابخ ، والملابس ، والمباني والفروش ، والانية ، وسائر الاحوال للمنزل . وللتانق في كل واحد من هذه ، صنائع كثيرة لا يحتاج اليها عند البداوة ، واذا بلغ التانق في هذه الاحوال المنزلية الغاية ، تبعه اطاعة الشهوا ت، فتتلون

النفس من تلك العوائد بالوان كثيرة ، لا يستقيم حالها معها . في دينها ولا دنياها . اما في دينها ، فلاستحكام صبغة العوائد التي يعسر نزعها . وأما في دنياها ، فلكثرة الحاجة التي تطالب بها العوائد ويعجز الكسب من الوفاء بها ، وبيانه ان المصر بالتفنن في الحضارة تعظم نفقــات أهله والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران . وقد كنا قدمنا ان المصــر الكثير العمران يختص بالغلاء في اسواقه ، واسعار حاجاته ثم تزيدها المكوس غــلاء ، لان كمال الحضارة انما يكون عند نهاية الدولة في استعجالها ، وهو زمن وضع المكوس في الدول ، لكثرة خراجها حينئذ . والمكوس تعود على البيوعات بالغلاء ، لان السوقة كلهم والتجار يحتسبون على سلعهم وبضائعهم جميع ما ينفقونه في مؤونة انفسهم ، فيكون المكس لذلك داخلا في قيام المبيعات ، فتعظم نفقات اهل الحضارة وتخرج عن القصد الى الاسراف ولا يجدون وليجة عند ذلك . لما ملكهم من اثر العوائد وطاعتها ، وتذهب مكاسبهم كلــها في النفقات ، ويتتابعون في الاملاق والخصاصة ، ويغلب عليهم الفقر ، ويقل المتساومون للبائع فتكسد الاسواق ويعسر حال المدينة . واما فساد اهلها في ذواتهم ، فمن الكمد والتعب في حاجات العوائد ، والتلون بالوان الشرفي تحصيلها وما يعود على النفس من الضرر بعد تحصيلها بحصول لون آخر من الوانها ، فلذلك يكثر فيهم الفسق والشر والسفة والتحيل على تحصيل المعاش من وجهه ، وتنصرف النفس الى الفكر في ذلك ، والغوص عليه ، واستجماع الحيلة له ، فتجدهم اجرياء على الكذب والمقامرة والغش والسرقة والفجور في الايمان والربا في البياعات ثم تجدهم لكثرة الشهوات والملاذ الناشئة عن الترف، ابصر بطرق الفسق ومذاهبه، والمجاهرة به وبدواعيه واطراح الحشمة بالخوض فيه ، حتى بين الاقارب وذوي المحارم ، والذين تقتضي البداوة الحياء منهم وتجدهم ايضا ابصر بالمكر والخديعة ، يدفعون بذلك ما عساه ينالهم من القهر ، وما يتوقعونه من العقاب ، على تلك القبائح ، حتى يصير ذلك عادة وخلقا لاكثرهم ، الا من عصمه الله تعالى . ويموج بحر المدينة بالسفلة من أهل الخلق الذميم ، ويجاريهم فيها كثير من ناشئة الدولة وولدائهم ممن أهمل عن التاديب واهملته الدولة من اعدائها . وغلب عليه خلق الجوار ، وان كانوا اهل نشب . وذلك ان الناس متماثلون وانما تفاضلوا وتميزوا بالخلق واكتساب الفضائل واجتناب الرذائل فمن استحكمت فيه صفة الرذائل باي وجه كان ، وفسد خلق الخير فيه ، لم ينفعه زكا نسبه ، ولا طيب منبته ولهذا تجد كثيرا من اعقاب البيوت وذوي الاحساب والاصالة واهل الدول ، منطرحين في القمار ، مجافين للحرف الدينية ، في معاشهم ، لما فسد من

أخلاقهم ، وما تلونوا به من صفة الشر ، والسفسطة ، واذا كثر ذلك في المدينة والامة فأذن بخرابها ، وهو معنى قوله تعالى ، وان اردنا اهلاك قرية ، أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا . ووجهه ان مكاسبهم لا تفي حينئذ بحاجتهم ، لكثرة العوائد ومطالبة النفس ، فلا تستقيم احوالهم . واذا فسدت أحوال الاشخاص واحدا واحدا اختل نظام المدينة وخربت وهذا معنى ما يقوله بعض الخواص : ان المدينة اذا كثر فيها غرس النارنج تاذنت بالخراب ، حتى ان كثيرا من العامة تتجافى عن غرس النارنج بالدور . وليس المراد ذلك . ولا أنه خاصية في النارنج ، وانما معناه ان البساتين واجراء المياه هو من توابع الحضارة ، ثم ان النارنج ، والليم والسرول ، مثل ذلك لا طمع فيه ولا منفعة ، هو غاية الحضارة اذ لا يقصد به في البساتين الا اشكالها فقط ، ولا تغرس الا بعد التفنن في مذاهب الترف هذا هو الطور الذي يخشى معه هلاك المصر وخرابه ، كما قلناه . ومثل هذا قيل في الدفلا ، وهو مثل هذا الباب ، اذ الدفلا لا يقصد بها الا التلون في البساتين بنوارها ، ومن مفاسد الحضارة ايضا الانهماك في الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف ، فيقع التفنن في شهوات البطن ، من المآكل وملاذها ويتبع ذلك في شهوات الفرج بأنواع المناكح من الزنا ، واللواط ، فيفضي ذلك الى فساد النوع اما بواسطة اختلاط الانساب كما في الزنا فيجهل كل أحد ابنه ، لان المياه مختلطة في الارحام ، فتقل الشفقة الطبيعية على البنين والقيام عليهم فيهلكون ويؤدي ذلك الى انقطاع النوع بغير واسطة ، كاللواط الموجب الى عدم النسل ، وهو اشد في فساد النوع ، ولذا كان مذهب مالك رحمه الله تعالى في اللواط اظهر من مذهب غيره . واذا فسد الانسان في قدرته وفي اخلاقه ودينه فقد فسدت انسانيته . وبهذا الاعتبار كان الذين يقربون من جند السلطان الى البداوة والخشونة ، انفع من الذين يربون على الحضارة وخلقها . وهذا موجود في كل دولة . فقد تبين ان الحضارة سن الوقوف لعمر العالم من العمران . والدولة والملك لله سبحانه وتعالى كل يوم هو في شان لا يشغله شان عن شان .

سمو وانحطاط

هذا كلام ابن خلدون ذكرناه بطوله ، لما فيه من الفائدة . فاذا تاملت احوال هذه الحضرة الجزائرية ووجدتها في أول نشاتها ، ولعهد دخول الاتراك اليها ، لا تمدن لها ولا تمصر فاعتنى بها الامير خير الدين رحمه الله ، فاتخذ بها دار الصناعة لانشاء المراكب البحرية ، لدفع ضرر غارات الروم والفرنج ، فلم

تزل عمارتها تتزايد وكان لهم بها اعتناء فاحكموا سورها وقصبتها وبنوا بها مساجد عظيمة ، نحوا من اثني عشر مسجدا(125) وجلبــوا اليها اعمدة الرخام ومنابر الرخام ، وعظمت بها الدولة ، وبلغت النهاية ، فكثر سكانها ، ورغب الناس في سكناها واجتمع بها من اعلام الناس من اهلها ومن الوافدين عليها من الافاق . متفيئين ظل ملكها . ساعين في اللياذ بها من شاعر مفلق ، وكاتب بليغ . وعالم نحرير . وملك اروع وشجاع أهوج . واحدثت بها المباني الجميلة . والمصانع العظيمة . وغرست الجنات والبساتين ، كرياض حسن باشا بباب الواد (121) وبستان مصطفى باشا ببين الربط (122) . وغير ذلك من المتنزهات . واتخذوا شارات الملك ومراكب الامارة . فغلبوا من عاداهم ، واقتعدوا ارائك السلطنة . وامتدت دولتهم نحوا من ثلاثماية وخمسة وثلاثين سنة (335) سنة وتخلقوا باخلاق النعيم وتقلبوا في البلاد في نظارة العيش . وكثر ترف سكانها . وتانقوا في الملابس والمباني وانواع الفرش والاثاث ، فاستجادوها من الذهب والفضة وتنافسوا في اتقانها الى ان بلغت الغاية .

ثم رجعت ادراجها بعد ذلك . واخذت الدولة في الانحطاط . وتدرج ذلك الى ان انقضت القاضية وقويت شوكة النصارى واخذوها . وجعلوا اماكنها الرفيعة مربطا لخيولهم . ومساجدها سكنى لمرضاهم وكنائس لاصنامهم ، ونبشوا قبور بعض الصالحين . وقبر وليها . وقطب مدارها الاستاذ الاعظم سيدي عبد الرحمان ابن مخلوف الثعالبي رضي الله عنه ، فلم يجدوا به الا الرمل صيانة من الله تعالى لجسده الشريف ان تعبث به ايدي النصارى في اديمه وكذا امثاله رضي الله عنهم . ونبشوا مقابر المسلمين فلم ينج منها الا القليل ، حسبما ياتي الكلام على جميع ذلك مفصلا . ان شاء الله (123) .

صفحة منفــردة

انتهى الكتاب . لكنني وجدت بين صفحاته ورقة منفردة تابعة لما قبلها ، ولكنه ضاع واختفى من سوء الحظ . وهو من اهم ما في الكتاب . لانه يتعلق بحوادث الاحتلال المزعجة الفظيعة . وبالمقاومة الشعبية . وبالعادات والاخلاق والتقاليد في العاصمة الجزائرية الاسلامية وخاصة تراجم رجالها من علماء وشعراء وكتاب وغيرهم. وهذا ما جاء في تلك الصفحة :

وكذلك شهر رمضان المعظم فانهم يحتفلون به غاية الاحتفال ويقومون بواجب حقه أتم القيام . ويختتمــون في غالب المساجــد القرآن العظيم في صلاة التراويح الا ما قل من المساجد وكذلك اعتناؤهم بختم صحيح البخاري رضي

الله عنه . اما صحيح مسلم فكانت له ختمة واحدة ، لان رواية البخاري عندنا اشهر واظهر . وان كانت بقية الاسانيد الستة كذلك ، الا ان أهل الجزائر لهم ولوع برواية البخاري والمشاهير من علمائهم يقراونه دراية ، ويبتدئون قراءته من اوله الى آخره مدة ثلاثة اشهر ، من اليوم الاول من رجب ، ويختمونه في اواخر رمضان على وفق المراد فيكون الختم على بابه . والان ناسب ان نأتي على صورة الختم ليتم به الختم ، ويحصل لنا به حسن الختام ان شاء الله تعـــالـــى .

ثم قال : وبعد هذا نلحق ما كتبته عن ليلة السابع والعشرين (من رمضان) ثم اتعرض لغيرهم من العلماء ممن تقدم وعرفت اسماءهم ولم أتعرض لغير المعاصرين ممن تقدم ، لكثرتهم وفواتهم وربما تمس الحاجة اليهم . فنأتي بهم ان شاء الله . فمن المشاهير : (وبعد هذا بياض) . انتهى

أهم ما لم يذكره المؤلف

1 ــ يوم 5 سبتامبر من سنة 1819 حـــل بالجزائر اسطولان ، فرنسي وانكليزي ، عليهما الامير الفرنسي جوربان ، والامير الانكليزي فريمانتل ، وابلغا الباشا مقررات مؤتمر ايكس لاشابيل ، التي تقتضي الغاء الرقيق وعتق من هو موجود منهم . وكانت الولايات المتحدة الاميركية قد رفضت الامتثال لهذا القرار . فبعد مداولة طويلة بين الباشا وزائريه ، لم يقع الاتفاق على شيء ورجع الاسطولان يوم 5 سبتامبر دون نتيجة .

2 ــ عن قضية بوشناق وبوخريص (باكري) التي لم يعرها المؤلف اهتماما خاصا . انظر تفاصيل هذا الدين والقضايا المتعلقة به في كتابنا «كتاب الجزائر» الطبعة الثانية بدار المعارف المصرية سنة 1963 ــ صفحة 44 .

3 ــ يوم 17 جوان من سنة 1829 ، تمكن الجزائريون اثناء حصار فرنسا بحرا للمدينة من الاستلاء على ثلاث سفن صغيرة تابعة للجيش الفرنسي وادخلوها مرسى الجزائر ، كما ان سفينتين حارستين فرنسيتين ، التجأتا الى الساحل ، فقتل الجزائريون المواطنون 24 من رجالها .

4 ــ كانت ايامه تحت ظل السلطان محمود الثاني العثماني .

5 ــ كان القضاة الاحناف في ايامه على التوالي الشيوخ : محمد بن محمود العنابي ــ احمد بن ابراهيم ــ محمد بن عبد الرحـــمان ــ الحاج احمد بن الحاج عمر ــ محمد بن شعــبان . اما قضاة المالكية فكانوا على التوالي

الشيوخ : الحاج بن عبد القادر ـــ ومحمد ابن الحاج ابراهيم ـــ علي بن محمد المنجلاتي ـــ اما المفتي فكان الشيخ مصطفى بـــن الكبابطي ، الذي وقعت الكارثة في أيامه ، وقد دافع بإباء وشرف عن أوقاف المسلمـــين ، ورفض تسليم سجلها للقائد الفرنسي فاحتجزته الدولة الفرنسية عنفا ، واركبته سفينة قامت بابعاده لمدينة الاسكندرية فتلقاه اهلها على الرحب والسعة ، وتوفى بها ، رحمه الله تعالى .

ملاحظة : وجدت في التاريخ العثماني ، ان السلطان محمود الثاني عين سنة 1821 قبودان باشا : نصوح زادة علي باي ، برتبة « باي لرباي » على الجزائر . لكن هذا التعيين لم يكن له اي اثر في الجزائر التي بقيت تحت امرة حسين باشا الى النهاية المؤلمة .

---

(1) اسمه الحقيقي هو حسن بن الحسن ، وكان نقش علـــى خاتمه الأثر القائل : ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله الحسن .

(2) 1233 (1818)

(3) مقر ادارته

(4) لانهما كانا متهمين عندهم بانهما كانا سبب نكبة الاتراك أيام علي باشا (خــوجة) من جهة وبانهما كانا يبتزان أموال الخزينة من جهة أخرى

(5) لا تزال على حالها كما اسلفنا ، وتدعى « دار الحمراء »

(6) أي حارة خاصة للمومسات ، وذلك عندما راى تفشي الاتصالات المخالفة للطبيعة بين جنود الأتراك اثر نفي علي باشا للمومسات الى شرشال

(7) هي المقدار من المال الذهب الذي يرسل كل عام ، من حصيلة الاوقاف الى فقراء الحرمين الشريفين .

(8) ممالـيـــك

(9) 1234 (1818)

(10) الهدية التقليدية للسلطان العثماني

(11) أي الهدية التي تقابل بها السلطان هدية الجزائر . انظر نموذجا من هذه الهدايا في كتابنا : محمد عثمان باشا

(12) الوجاق ، كلمة تركية أصلها : أوتشـاك أي الموقد وتطلق على الولايات .

(13) السيــف

(14) أمر التقليد الذي يحمل طغرى السلطان

(15) الذي أصبح سنة 1255 (1839) السلطان الحادي والثلاثين من سلاطين آل عثمان ، بين رزايا وارتباكات هائلة ، واخطار تهدد السلطنة من كل جانب

(16) دار المجانيـــن

(17) الحمـــار

(18) لم يذكر الشيخ ابن ابي الضياف اسمه واختصر — اكثر مما يلزم — ذكر هذه الحادثة ذات الاهمية (ص 134 من جزء 3)

(19) وقع امضاء الصلح بين الشقيقين يوم 14 مارس 1821 الموافق 1236 — وهنالك خلاف في سنة بين المؤلف وبين التاريخ الذي ذكرناه

(20) دار ضرب النقود

(21) سبق ذكرها وهي قطع فضية من أصل اسباني ، كانت عمدة المعاملات في الجزائر وقيمتها قبل الحرب العالمية الأولى 5 فرنكات ذهبية

(22) وبقيت هذه العملة الجديدة متدولة الى ان وقع الاحتلال

(23) 1235 (1819)

(24) صارى عسكر ، أي القائد العام

(25) قائد الأسطول العثماني

(26) بلاد البانيا اليوم

(27) من بلاد اليونان

(28) اسم تركي اصله : دونانمة : أي الأســطول الحربي

(29) الطائفة : هي مجموعة رؤساء البحر الغزاة — والقاطات هي الأكسية ، مما يلبسه أهل الجـــزائر

(30) القائد الأكبر لمجموع الأساطيل العثمانية

(31) توسكانة . مملكة من ممالك ايطاليا الشمالية ، قبل توحيد البلاد

(32) أي لا خروج من أجل الغزو ضد مراكب الأعداء زمن الشتاء .

(33) بوغاز الدردانيل

(34) 1238 (1822)

(35) محمود باي الحسيني

(36) ضيعة كبيرة مما يسميه أهل تونس « هنشير »

(37) ينادي باقامة حكم الله الشرعي

(38) 39 (1823

(39) نوع من السفن الحربية الخفيفة

(40) أصل الكلمة فرنسي : الكارنتين : اي الحجز الصحي مدة اربعين يوما

(41) الرايـــــة

(42) اي ان تفعلوا ما بدا لكم

(43) البحر المتوسـط

(44) لا تزال عائلته موجودة بتونس الى اليوم • وكان لنا ارتباط كبير معها ، لان حفيد باصون هذا هو الشيخ قدور باصون الجزائري المهاجر بتونس اثر الاحتلال وقد اخرج جيلا من الطلبة منهم والدي رحمهم الله جميعا • وذريته اليوم بالجزائر تدعى عائلة : ابن البحار •

(45) أي ما تدفعه الدول المتصالحة مع الجزائر كل ثلاثة أعوام

(46) صندوق صغير من الفضة أو الذهب المزين بالحجارة الكريمة ، تستعمل لتعاطي النشوق ، أي مسحوق الطاباق

(47) مدينة ليفورن الطليانية

(48) سفن خفيفة سريعة يستعملها لصوص البحر اليونانيون ، الثائرون يومئذ على السلطنة العثمانية وتطلق الكلمة ايضا على لصوص البحر

(49) مدينة رومـــا • مركز دولة البابا

(50) سبق ذكره مرارا

(51) أي مركز ديني

(52) بعد دفع الخمس لبيت المال

(53) 1241 (1825)

(54) كوخـــا

(55) الأخشاب الطويلة الضيقة التي تصنع من أجل السقوف

(56) سفينة قرصنة صغيرة الحجم

(57) من بلاد اسبانيا

(58) لم أجد ذكرا لهذه الحادثة في التواريخ الافرنجيه التي تصفحتها

(59) حصـــن

(60) جدد بناء جامع صفر باشا الموجود الى اليوم باعالي الجزائر

(61) 1259 (1843)

(62) معسكــــر

(63) الرتائم والتعاويذ

(64) صنع بلد الجريد بتونس (قفصة وتوزر وغيرها) ولا تزال الى يومنا شهيرة بصناعة الحرير والصوف الرقيق

(65) الحصـــار

(66) الذي انشأته الجزائر بسرعة اطاعة لأمر السلطان وخلف العسكر التركي القديم الذي أخلد الى الفوضى وعدم النظام

(67) الخبز المجفف

(68) السمن القديم الذي يتغير طعمه

(69) القنصل دوفـال

(70) ملك فرنسا

(71) القناصـل

(72) تكاد تتفق اراء المؤرخين اليوم على ان « دوفال » القنصل الفرنسي ، كان قائما بتنفيذ مؤامرة متفق عليها مع رجال حكومة فرنسا ، وملكها ، وهي كما يقول المؤرخ الفرنسي كارو : خلق أي سبب يسمح لفرنسا باعلان الحرب على الجزائر قصد الاستيلاء عليها ويشهد الالماني « بفيفر » الذي كان يرى المنظر من الباب : ان الباشا لم يضرب القنصل بالمنشة ، انما اشار بها اليه عندما قال له : اخرج يا كلب .

(73) 27 افريل 1827

(74) عسكر المدافع

(75) مدينة الجزائر

(76) كانت الدولة العثمانية تقاوم اليونانيين الثائرين وتقاوم في نفس الوقت حماة اليونان وهي فرنسا وروسيا وانكلترا . وقد بعثت هذه الدول بأساطيلها الى بلاد اليونان وحصرت الأسطول العثماني التركي والمصري بمرسى نفارين . أما الأسطول الجزائري وهو مؤلف من ثماني سفن تحمل اربعة آلاف مقاتل فلم تستطع الوصول الى المكان . وفجاة يوم 20 اكتوبر 1827 حملت كل السفن الاروبية حملة واحدة على الأسطول العثماني دون اعلان حرب ، مدعين ان رصاصة تركية قتلت ضابطا انكليزيا فتحطم معظم الأسطول العثماني . وبقي الأسطول الجزائري محتجزا في المراسي الشرقية بعيدا عن معركة اليونان وعن معركة الجزائر معا .

(77) الجيش التركي القديم الغير النظامي

(78) وهي تتلهم جميعا دفاعا عن الدولة وعن النظام يوم 15 يونيو 1826 ، والقضاء نهائيا على بقاياهم

(79) مرسى على البحر الأسود

(80) ادرنة اشهر مدن تركية أروبا وقد كانت العاصمة للدولة العثمانية بعد بروسة وقبل فتح استامبول على يد السلطان المجاهد محمد الثاني رحمه الله

(81) 1828

(82) كان عسكر زواوة من بلاد القبائل الكبرى هو عمدة الاتراك وعدتهم الى جانب الاتراك الذين لم يكن عددهم يجاوز الثلاثة آلاف رجل

(83) أي دفتر الجند التركي النظامي وبذلك يصبح عدد الاتراك ضئيلا جدا بالنسبة للجند الجزائري الأصل

(84) هو الاميرال دولابر وتونيير ، جاء راكبا السفينة الحربية « لابروفنص »

(85) قد شاع وذاع هذا القول بالجزائر ، وتناقله اهلها ، لكن الحقيقة غير ذلك ، فان السلطان محمودا عمل ما يجب عمله ، وارسل رسولين للجزائر ، ينصحان الباشا بالاعتدال وعدم الوقوع في الشرك الفرنسي ، فلم يستمع الباشا لهما لشدة ثقته في الانتصار ، ثم ارسل السلطان محمود مبعوثا آخر ربما جاء معه بفرمان ولايته ليكون على رأس الجزائر بدلا من حسن لكنه لم يستطع الوصول الى الارض الجزائرية

(86) اصبح قنصل سردانيا هو المتولى أمر المصالح الفرنسية ، بعد سفر دوفال

(87) 1245 (1829)

(89) عدو الله كلمة تستعمل الى اليوم عند قدماء الجزائريين في وصف القائم باعمال رديئة ولو ان حسين باشا انتصر على فرنسا لا صبح : المجاهد الكبير والبطل العظيم : والناس من يلق خيرا قائلون له : ما يشتهي ، ولأم المخطيء الهبل

(90) الحصار البحري

(91) شبه جزيرة غربي مدينة الجزائر على بعد 30 كيلومتر منها ، وفيها ضريح الولي سيدي فرج ، ومعقل عسكري

(92) استحكامات

(93) مدافع الهاون

(94) مركز الآغا ، القائد العام للجيش

(95) الخنزير

(96) الحقيقة التي لا شك فيها والتي اتضحت الآن ، هي ان العثمانيين كانوا ينفذون خطة محكمة ، ولو أنهم استطاعوا تحقيقها لحصلوا على نصر عظيم ، ذلك انهم قالوا : حسب تحليلهم للموقف : لو اننا دفعنا العدو في سيدي فرج ولم نتركه ينزل فهو سيذهب الى جهة

أخرى من الساحل الجزائري وينزل بها . ولا نستطيع مقاومته عندئذ فالأوفق ان نتركه ينزل بسيدي فرج دون مقاومة . وعندما يتم انزال سلاحه واثقاله ، نهاجمه بجموعنا ميمنة وقلبا وميسرة وهو في شبه جزيزة ضيقة لا يستطيع فيها الحركة فسيكون مضطرا لترك سلاحه واثقاله ، والرجوع من حيث اتى · وارجع الى مذكرات ميرل كاتب الجنرال الفرنسي دي برمون القائد العام ، لترى ان المنهاج كاد ينجح نجاحا مبينا ، لولا حادث بسيط ، قلب الوضعية كلهـا .

(97) هذا مما تحكيه العامة في الجزائر الى اليوم . واظنه من اختراعات العامة

(98) لشدة ثقته في الانتصار ، بصفة تتنافى مع المنطق .

(99) حامل مجموع ما تحصل خلال السنة من اوقاف الحرمين الشريفين

(100) أي أرسمهم في دفتر الجند

(101) 1245 : 1830

(102) الفرسـان المتطوعون للجهاد

(103) البنـادق

(104) ذكره ولا ريب في القسم المفقود من هذا الكتاب وذلك أمر يوسف له كثيرا

(105) لفظ تركي يطلق على الحكام ورجال السلطة . لأن الواحد منهم يدعى « بابا » وجمعه بالتركية « باباالار »

(106) الجنود المسلمون

(107) الحقيقة التي ظهرت تاريخيا ، هي ان الهجوم العام الجزائري على مراكز الفرنسيين قد نجح في أول الامر نجاحا كبيرا . وتمكنت الميمنة الجزائرية وتمكنت الميسرة من اكتساح مراكز الفرنسيين بينما كان قلب الجيش يتوغل بسرعة الى الامام ، الى ان امتطى الكثير من الجيش الفرنسي صهوة سفنهم ، تاركين المعركة ، ولو دام الأمر كذلك مدة ساعة ، لانتهى الأمر حسب الخطة الجزائرية . لكن ثلة من الجيش الفرنسي بقيت في المؤخرة بعد تقدم الجيش الجزائري ورأت من ربوة قليلة الارتفاع ان الجيش اخذ يمتطى السفن فأخذت تصيح وترفع ايديها وأسلحتها كيلا ينساها الجند الفرنسي خلفه . فلما راى الجنود الجزائريون ذلك ظنوا — وهنا النكبة الكبرى — انهم قد احيط بهم ، وان الفرنسيين يهاجمونهم من الخلف فتوقفوا عن التوغل في مراكز العدو ، وأخذوا يتراجعون · واغتنم الفرنسيون الماهرون في علم التكتيب الحربي هذه الفرصة فعادوا الى الهجوم هجوما مستميتا يائسا ، واندحر الجزائريون بغير نظام الى مركزهم العام بجهة مصطفى ولي (اسطاوالي) وهنالك وقعت الكارثة الغير المنتظرة · والتفاصيل في مذكرات « ميرل » ·

(108) باسطى والي وهي بلدة وراء فرضة سيدي فرج

(109) البرج المشرف على المدينة . والذي كان الاسبان قد بنوه اثناء هجومهم الخائب على مدينة الجزائر ، ويعرف التركية باسم « سلطان قلعة سى » أي قلعة السلطان .

(110) خوفا من انتقاضهم وضربهم لقلعة القصبة من الأعلى

(111) مزرعــة محصنة

(112) قنــابــل

(113) الساعة التي كانت موجودة على باب دار الجنينة ، واصبحت الآن على منارة المسجد الحنفــي .

(114) لم يكن الكاتب يعرف يومئذ ان أهل البلد ، قد بعثوا قبل ذلك الى الجنرال دي بورمون يعرضون عليه تسليم المدينة على ان لا يتعرض لها بسوء بعد احتلالها ، ومما قاله أحد رجالهم للجنرال : لو أردت أن نأتيك برأس الباشا في صحن لفعلنا ذلك .

(115) الجنرال دي بورمون : قائد حملة الجزائر ويعرف ذلك الكتاب باسم : « اتفاقية تسليم الجــزائــر »

(116) مدينة الجــزائر

(117) كتب هذا ولا ريب بعد استيلاء فرنسا على متيجة وقسم كبير من البلاد

(118) وهو القسم الاول المفقود من الكتاب

(119) روت لي المرحومة أم السيد عمر بوضربة قالت : تركنا أيام الاحتلال دارنا ، وذهبنا في زي الفقيرات الى سقيفة سيدي عبد الرحمان الثعالبي ، نتسول الناس وبقينا على ذلك أياما الى ان هدأ الروع . ووجدنا هنالك امرأة تبكــي ، قالت : أخذت معي ذهبي وجواهري في صرة ملتجئة للحرم . فرأيت أحد جنود العدو ينظرني بامعان فظننت انه عرف ما أحمل . فالقيت اليه بالصرة وهرولت الى السقيفة لا الوي على شيء .

(120) أي المقــدمة

(121) هي الآن المستشفى العسكري

(122) دار مصطفى باشا اصبحت اليوم قسما من قصر الشعب

(123) وهذا هو القسم الاخير من الكتاب ، وقد فقد لسوء الحظ ، وقد قيل لي — ولست متأكدا من هذا — ان لوسياني ، مدير الأمور الأهلية قد أخذه من السيد الحاج قدور الشريف ، واحتفظ به لنفسه أو أتلفــه .

واركب الباشا حسين ، والجند التــركي الذي أراد مفارقة البلاد معه ، وكانوا 120 شخصا . واختار النزول في مرسى نابولي الايطالي . ومن هنالك أخذ يدير الحركات الجزائرية ضد فرنسا ، ويبتاع الأسلحة ويرسل بها للثائرين والمجاهدين وكانت فرنسا تتبع حركاته ، وتستولي على سفن السلاح التي يرسلها للجزائر . واخيرا وبعد جهود مضنية ، ذهب الى الاسكندرية وتوفي بها سنة 1838 ، عن 72 عاما . (انظر تفاصيل هذا الكفاح في كتابي « كتاب الجزائر » طبع القاهرة ص 54 و 55 .

الفهـــرس

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
الجزائر